وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب

مدارس القدس ومكتباتها



محمد عيد الخربوطلي

تاريخ سورية
دراسات ونصوص
٣

مدارس القدس
ومكتباتها

محمد عيد الخربوطلي

مدارس القدس ومكتباتها

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب
وزارة الثقافة – دمشق ٢٠١١

الإهداء

إلى درة الشرق، ومهوى الأفئدة ومقصد الأحرار الأخيار، إلى المدينة المقدسة،..

إلى المدينة السجينة التي واجب على كل حر نجدتها وتخليصها من الصهاينة الأشرار.

القدس

مدخل الكتاب

فتح العرب المسلمون بيت المقدس سنة ١٧ هـ/٦٣٨م، وخفَّ إليها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ليتسلمها من أهلها، قاطعاً على نفسه عهداً لله أن يصون أموالهم وكنائسهم ويمنع عنها اليهود، ويرعى حقوقهم، ويحقق لهم الأمن والسلامة.

ومنذ الفتح العمري وإلى اليوم يحتضن المسلمون المدينة المقدسة احتضان الأم وليدها، ويَحْنونَ عليها حنوَّ المرضعة على فَطيمها، ولا يعرف في تاريخ الأديان السماوية مدينة ظفرت بما ظفرت به هذه المدينة من تقديس وتكريم وحراسة، وقد أولاها الخلفاء والأمراء والأعيان والعلماء كامل رعايتهم، وأوقفوا عليها معظم الأراضي المجاورة، وجدَّدوا قديمها وزينوه وزخرفوه، كما أسسوا جديداً، حتى أضحت تحفة منقطعة النظير، وذلك لأنها مقر الأنبياء ومهبط الوحي، ومبعث عيسى، ولأنها أولى القبلتين وثالث الحرمين، ولأنها مسرى رسول الله محمد بنص القرآن الكريم.

إنها القدس.. ليست المدينة التاريخية فحسب، إنها من أقدم المدن التي عرفها التاريخ، إنها القدس المدينة التي صمدت لنوائب الزمان بجميع أنواعها، وطوارئ الحدثان بجميع ألوانها، حتى أنه لم يبقَ فاتح من الفاتحين أو غازٍ من الغزاة المتقدمين والمتأخرين، الذين صالوا في هذا الجزء من الشرق إلاَّ ونازلته، فإما أن يكون قد صرعها أو تكون هي قد صرعته.

إنها القدس المدينة المقدسة المطهرة المباركة.

إنها القدس زهرة بلاد الشام وعاصمة فلسطين ومتحف آثارها الدينية، إنها المنارة التي يشع منها نور الهداية والخير، إنها القدس التي لم تمر مرحلة من مراحل التاريخ الإسلامي على اختلاف دوله إلا أقام المسلمون فيها بناءً جديداً، أو أصلحوا بناء قديماً.

ففي عهد الخلفاء الراشدين أقام عمر بن الخطاب مسجداً بعدما أزال بيديه ما تراكم على الصخرة من تراب وأوساخ، وفي العهد الأموي بنى عبد الملك بن مروان مسجد الصخرة، وفي عهد الوليد بن عبد الملك بني المسجد الأقصى وأتم ما بدأ به عبد الملك، ثم توالى على تجديده وتزيينه بالنقوش والقناديل والسجاجيد عدد كبير من الخلفاء والأمراء، وفي العهد العباسي بقي الاهتمام بالقدس قائماً، فقد أمر الخليفة أبو جعفر المنصور بإعادة بناء المسجد الأقصى بعد سقوط الأجزاء الشرقية والغربية منه بفعل الزلزال الذي أصاب المدينة سنة ١٣٠ هـ/٧٤٨م، وعندما زار الخليفة المهدي القدس أمر بإعادة بناء المسجد الأقصى من جديد بعدما تعرضت القدس لزلزال أدى إلى تهدم بعض أجزاء المسجد، كذلك فعل الخليفة المأمون فقد أمر بترميم قبة الصخرة، وأما أم الخليفة المقتدر فقد أمرت سنة ٣١٠ هـ/٩١٣م بصنع أبواب قبة الصخرة الأربعة من خشب التنوب.

وكذلك أولى الفاطميون القدس اهتماماً كبيراً خاصة المسجد الأقصى ومنه قبة الصخرة، فقد أمر الظاهر لإعزاز الله سنة ٤٠٧ هـ/١٠١٦م، بإعادة بناء قبة الصخرة كما أعاد بناء المسجد الأقصى سنة ٤٢٦ هـ/١٠٣٠م، وجدد المنتصر بالله سنة ٤٥٨ هـ/١٠٦٦، الواجهة الشمالية للمسجد الأقصى، كما أنبأنا التاريخ أن الفاطميين بنو المدارس والمشافي في القدس وأهمها البيمارستان الفاطمي ودار العلم الفاطمية.

وفي العهد الأيوبي حررت القدس من الفرنجة (الصليبيين) سنة ٥٨٣ هـ/١١٨٧م، فعاد الطابع الإسلامي العربي للمدينة، ومما فعله الأيوبيون في القدس بعد تحريرها، إعادة قبة الصخرة والمسجد الأقصى إلى حالهما القديم بعدما أزالوا ما وضعه الفرنجة فيهما، ووقف صلاح الدين الأوقاف الكثيرة على المسجد، كما أمر بترميم حجرات الأقصى ووضع فيه المنبر الذي صنعه نور الدين في حلب.

وبنى الأيوبيون أبنية كثيرة في القدس من مدارس وزوايا ـ وبيمارستاناً عرف بالبيمارستان الصلاحي، وتم ترميم ما تهدم منها وأعادوا بناء السور وحفروا الخندق حول المدينة.

ثم تطورت القدس تطوراً ملاحظاً في العهد المملوكي، فأقيمت فيها المؤسسات الدينية والتعليمية، ونالت في عهدهم اهتماماً كبيراً لا يقل عما نالته المدينة ومكة، فمعظم الآثار الموجودة اليوم في القدس هي آثار مملوكية، كما زودوا المدينة بالماء فعمروا قناة السبيل من عين العروب، بالإضافة إلى السُبل والخانات والربط والزوايا والخوانق التي بنوها، فقد بنوا أكثر من عشرين خاناً، واثني عشر رباطاً، وأربعين زاوية وست خوانق، أما مدارسهم فقد بلغت حوالي سبعاً وأربعين مدرسة، لذلك صارت القدس في عهدهم مزاراً للعلماء من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، فعدت من أهم المراكز الثقافية والعلمية في البلاد الإسلامية.

ثم جاء العثمانيون فتعهدوها واعتنوا بها وبمقدساتها، فقد جدد السلطان سليمان القانوني بناء قبة الصخرة، وسور المدينة، ورمم القلعة، وبنت زوجته تكية خاصكي سلطان، وعرفت في عهدهم الزوايا والتكايا والخانات، وفي أواخر عهدهم عرفت القدس المدارس الغربية التي كانت سلاحاً بحدين!

وجاء من بعدهم الإنكليز الذين وطدوا أقدام اليهود ومكنوهم من قيام دولتهم المزعومة على أرض فلسطين الطاهرة، وبعد رحيلهم عن فلسطين كان اليهود قد صاروا أقوياء وترعاهم الدول الكبيرة، فهجرت أهالي القدس وهدمت كثيراً من أمكنة العبادة والمدارس الأثرية، وهم مثابرون بتهويد كامل المدينة، كما يخططون لهدم الأقصى وغيره من المقدسات الإسلامية والمسيحية.

هذه هي مدينة القدس التي يقول عنها (غوستاف لوبون).. إن من يرغب في اجتلاء عظمة القدس وجلالها فليصعد في جبل الزيتون على الخصوص، ثم ليرجع البصر.. ليرى القدس الزاخرة بالقباب والمآذن والأسوار والبروج ذات الشرفات والبيوت ذات الباحات..

مدينة القدس المليئة بالأبنية الأثرية الإسلامية والمسيحية، فقد وجدت فيها الأديرة والكنائس إلى جانب المدارس والمساجد، بل إننا نرى في القدس الكنيسة تعانق المسجد والمدرسة الدينية تعانق الدير، والمكتبة المسيحية إلى جانب المكتبة الإسلامية وترى في مدارس الأديرة الطالب المسلم يجلس إلى جانب الطالب

المسيحي.. إنها القدس التي لم تعرف الفرقة أو التفرقة يوماً، إلا عندما دخلها اليهود وأقاموا دولتهم فيها على أنقاض ما بني وعلى أشلاء أهلها.

وبمناسبة احتفالية القدس عاصمة للثقافة العربية، القدس التي لها حق في رقبة كل عربي ومسلم ومسيحي..، فمن حقها علينا أن نوفيها بعض هذا الحق..

لذلك رغبت في أن أكتب عن مدارسها ومكتباتها، فالمدرسة والمكتبة كلٌ منهما مرتبط بالآخر ومتلازم، فبدأت بذكر شيء عن فضلها وما كتب بذلك، ثم أتبعت ذلك بذكر المدارس الإسلامية وباقي معاهد العلم من زوايا وخوانق وربط، وبعد ذلك ذكرت المدارس المسيحية، وفي آخر هذا القسم ذكرت بعضاً من مدارس اليهود، فهي موجودة ولن نستطع إنكارها، وفي القسم الثاني ذكرت المكتبات في القدس وكيف نشأت، ثم ذكرت بعض المكتبات العامة والمكتبات العائلية، وبعض المكتبات الخاصة، كما ذكرت المكتبات المسيحية الموغلة في القدم والحديثة، وشيئاً عن مكتبات اليهود وما يفعلونه بتراثنا المخطوط والمطبوع. إنها القدس التي إن كتبنا عنها الكثير لم نوفها حقها، وكيف نوفها حقها وهي وجع كل عربي ومسلم ومسيحي، وكيف نرد حقها وهي مرجع كل حر!

... ومما ينبغي ذكره أنه تم نشر ضمن مادة المكتبات عبر صفحات شرفات الشام الكثير عن مكتبات فلسطين، خاصة مكتبات القدس، لذلك شجعت أسرة تحرير الجريدة على نشر هذا الكتاب.

مقدمة

في فضائل بيت المقدس

إن أدب الفضائل أقل أنواع الأدب حظاً من اقبال الدارسين في البلاد العربية، حتى أن كثيراً من المثقفين لا يعرفه، هذا الأدب الذي يتناول محاسن الأفراد أو الجماعات أو الأشياء ويعدد مناقبها، أدب يحتل مكاناً واسعاً وأثيراً في الأدب العربي القديم، فقد صُنف كثيراً بفضائل القرآن والصحابة والأفراد والمتميزين وفضائل الشعوب والقبائل والمدن والأقاليم.

وأدب فضائل المدن من أشهر أصناف أدب الفضائل، وهو نوع من التاريخ المحلي لمدينة معينة يتحدث عنها ويصف محاسنها، وقد تضمنت كثيراً من الأساطير والأحاديث الموضوعة، هذا بالإضافة إلى روايات جغرافية متوارثة غير علمية، لكنه يجمع عناصر من التاريخ والجغرافيا والقصص الدينية والأدب وغير ذلك..

ويرجع الباحثون أدب الفضائل إلى التفاخر بالإنسان وبالقبائل في زمن الجاهلية، ثم حلت المدينة محل القبيلة، وقد بدأ أدب الفضائل في وصف ما يصح أن يسمى بالفضائل الدنيوية للمدن، أي طبيعتها الجغرافية ومحاسن سكانها..، ثم انتقل منذ القرن الهجري الأول إلى الفضائل الدينية، وأخذ يستند إلى الأحاديث النبوية والقصص الدينية التي انتشرت منذ ذلك الوقت، وأخذت روايات الفضائل تتركز في مدن معينة مثل مكة والمدينة والقدس والكوفة ودمشق.

والعناصر التي تقاس بها المدن من حيث قداستها كما ذكر (فون جروبناوم) ثلاثة عناصر أساسية وهي:

١ ـ الفضل الذي تتمتع فيه المدينة بسبب تبركها بقبور الأنبياء أو الصحابة، أو بعلاقتها بالأنبياء والرسل والصالحين.

٢ ـ الدور الذي خصص للمدينة في خَلْق الكون.

٣ ـ الدور الذي ستلعبه المدينة يوم القيامة.

وبمقتضى هذه المقاييس نالت مكة والمدينة والقدس المكانة الأولى بين المدن في فضلها.

بداية تصنيف كتب فضائل المدن:

لم يصلنا أي كتاب مستقل في فضائل المدن خلال القرنين الهجريين الأوليين إنما وصلنا أحاديث نبوية وقصص وروايات، كما تضمنت كتب الحديث الأولى أبواباً في فضائل المدن، مثل كتاب (الفرائض) لسفيان الثوري (توفي سنة ١٦١ هـ) فقد احتوى باباً في فضائل المدينة المنورة.

وأقدم كتاب مستقل وصلنا كتاب (أخبار مكة المشرفة) لأبي الوليد الأزرقي (توفي سنة ٢٢٢ هـ)، وكتاب (أخبار المدينة) لابن شاذان الواسطي (توفي سنة ٢٤٦ هـ)، وكتاب (فضائل البصرة) لعمر بن شبَّة (توفي سنة ٢٦٢هـ)، وكتاب (من نزل فلسطين من الصحابة) لموسى بن سهل بن القادم الرملي (توفي سنة ٢٦١ هـ) وقد ذكره ابن حجر العسقلاني في الإصابة، وكتاب (فضائل البصرة) لأحمد موسى السرخسي (توفي سنة ٢٨٦ هـ) وغير ذلك في فضائل بلخ ومصر والشام.

كتب فضائل بيت المقدس

احتلت كتب فضائل بيت المقدس مكانة هامة بين كتب فضائل المدن، ومع ذلك فإن هذه الكتب لم تحظ باهتمام كبير من قبل العرب والمسلمين في هذا العصر مثلما أولاهما الباحثون الغربيون الذين حققوا ونشروا بعضاً منها، وفي دراسة قام بها الباحث المرحوم كامل جميل العسلي حول مخطوطات فضائل بيت المقدس،

أثبت فيها تسعة وأربعين كتاباً ورسالة صنفت في فضائل بيت المقدس صنفت ما بين القرن الثالث والقرن الرابع عشر الهجريين، ومن كل هذه الكتب لم ينشر إلا ثمانية كتب بنصها الكامل، وكتاب واحد نشر منه جزء فقط، ومن هذه الكتب ما فقد بنكبة من نكبات ومصائب المكتبات الكثيرة.

والملفت للنظر أن هذه الكتب عشرة منها ألفها مقدسيون أو من باقي فلسطين، أما المؤلفون الباقون فهم دمشقيون وبلغوا أحد عشر، ومصريون وكانوا ستة، واثنان من تركيا، وواحد من فارس واثنان من المغرب، ومن العراق كذلك اثنان، وواحد من الحجاز، واثنان من بلاد ما وراء النهر، فالمؤلفون موزعون على مختلف أقطار العالم الإسلامي، كما يلاحظ الباحث أن نصف هذه الكتب صنفت بعد تحرير بيت المقدس سنة ٥٨٣ هـ، حيث انعكست نشوة التحرير والحرص على الحفاظ على المدينة المقدسة.

فضل بيت المقدس

إن المصادر الأولية التي استند إليها كُتَّاب الفضائل لتأكيد قداسة بيت المقدس كثيرة متنوعة، لكن سندها الأساسي القرآن الكريم وتفاسيره، والآية الرئيسية التي يشهد بها في هذا الصدد، هي الآية الأولى من سورة الإسراء }سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله{ (الإسراء، ١)، وهذا نص إلهي صريح بأن المسجد الأقصى مبارك وكذلك الأرض التي حوله.

كما أن هناك عدة آيات فسرها الطبري وغيره من المفسرين السابقين على أنها تشير إلى بيت المقدس، أو إلى موضع من المواضع فيه، ومنها:

}والتين والزيتون وطور سينين{ (سورة التين، ١)، فقالوا: الزيتون هو جبل الطور، }ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين{ (الأنبياء، ٧١) قال المفسرون فيها: هي الأرض المقدسة، بارك الله فيها للعالمين، وهي أرض الشام بأجمعها، وخاصة فلسطين، وقد اختارها الله لهجرة خليله إبراهيم لما لها من بركة وفضل وقدسية على سائر البقاع، وقال الله تعالى في سورة المائدة الآية (٢١)

على لسان موسى عليه السلام مخاطباً قومه }يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين{ قال فيها المفسرون: الأرض المقدسة هنا هي فلسطين وبيت المقدس، وقد سماها القرآن بالأرض المقدسة، والقداسة تشمل التعظيم والبركة والاهتمام العظيم، وقد أشار القرآن الكريم إلى تحويل القبلة عن بيت المقدس فقال: }قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره{ (البقرة، ١٤٤)، فالمسجد الأقصى كان قبلة المسلمين، ثم تحولت القبلة بعد ذلك، وقد جاء في هذا المعنى أحاديث كثيرة، وقال الله تعالى في سورة المؤمنون الآية (٥٠) }وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين{ قال ابن عباس: هي بيت المقدس، وكذلك قال قتادة وغيرهما كثير، وهناك آيات كثيرة في هذا المضمار.

والمصدر الثاني لكتب الفضائل الأحاديث النبوية، وهو أغزر المصادر، فقد حفلت كتب الفضائل بالأحاديث النبوية التي تتصل ببيت المقدس، وهذه الأحاديث من الكثرة بحيث تلفت النظر، فقد ورد في كتاب فضائل بيت المقدس للخطيب أبي بكر الواسطي ١٦٥ حديثاً، وفي كتابي إتحاف الإخصا وباعث النفوس ما لا يقل عن مئتي حديث مشتركة بينهما، والملفت للنظر أن هذه الأحاديث أكثرها غير صحيح، بل هي منحولة وموضوعة وقد بينها علماء الحديث في مواضعها، ولكن نثبت بعض الأحاديث الصحيحة لنبين فضل وقدسية القدس.

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

١ ـ (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى) حديث صحيح رواه البخاري ومسلم وبعدة طرق.

٢ ـ وفي مسألة شد الرحال إلى المساجد أجمعت الأمة الإسلامية على استحباب زيارة المسجد الأقصى لأجل العبادة المشروعة كالصلاة والدعاء والذكر وقراءة القرآن والاعتكاف والصوم فيه، فقد ورد في عدة أحاديث أن العبادة في المساجد الثلاثة تتضاعف بحسب قدر كل مسجد، فالصلاة في المسجد الحرام بمئة ألف صلاة، والصلاة في المسجد النبوي بألف صلاة، والصلاة في المسجد

الأقصى بخمسمئة صلاة، وهكذا جعله الله في المنزلة الثالثة بعد المسجد الحرام والمسجد النبوي، وضاعف فيه الأجر والثواب.

٣ ـ المسجد الأقصى هو ثاني المساجد التي وضعت في الأرض بعد المسجد الحرام، (فعن أبي ذر قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد وضع في هذه الأرض؟ قال: المسجد الحرام، قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون عاماً، ثم الأرض لك مسجد فأينما أدركتك الصلاة فصلِ)، وزاد في رواية البخاري فإن الفضل فيه، حديث صحيح رواه البخاري ومسلم والنسائي.

٤ ـ كذلك هو قبلة المسلمين الأولى في صلاتهم قبل تحويلها إلى بيت الله الحرام، (فعن البراء بن عازب قال: صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، ثم صرفنا نحو الكعبة). رواه البخاري ومسلم.

٥ ـ جاءت أحاديث كثيرة وبروايات مختلفة تدعو للشام بالبركة، منها ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا)، حديث صحيح رواه البخاري.

ولكن لنحذر من بعض ما جاء في كتب فضائل القدس، مثل الحكايات والقصص الدينية والمتوارثة، ومن بينها حكايات تناقلها أهل الشام والعرب القدماء عن أهل الكتاب، وهذه الحكايات هي من نوع الأساطير الشعبية والروايات التي لم يرد أكثرها في الكتب المقدسة من توراة وإنجيل.. وإنما وردت في أساطيرهم.

هذه القصص والأساطير التي ملكت ملامح رائعة من الجمال الفني، الذي ولّدته المخيلة الشعبية، وكان بدوره غذاء لها، وكثير من هذه القصص بالطبع أسطوري ولا أصل له، وهي بمقياس العقل غير قابلة للتصديق، ومن الممكن أن نسميها التاريخ الشعبي لصورة القدس في قلوب محبيها.

لكن وفي آخر هذه المقدمة في فضائل بيت المقدس أنبه القارئ الكريم وأذكره إلى أنه ممن ساعد في نقل هذه الروايات الكاذبة إلى البيئة الإسلامية وساهم في

وضع الأحاديث هما كعب الأحبار ووهب بن منبه، وكلاهما اعتنقا الإسلام بعد أن كانا يدينان باليهودية، ولم يستطيعا أن يتخلصا مما كانا فيه، وبعد انتشارها بين المسلمين في القرن الهجري الأول خشي المحدثون أمرها.

ورأوا فيها خروجاً على المألوف الإسلامي، بل رأوا فيها عناصر غريبة عن الدين الإسلامي أدخلت من الأديان الأخرى، ولذلك نشأ صراع بين المحدثين والقصاص، ومازال حتى اليوم ولكن بثوب آخر.. فاليوم صراع إن صح سميناه فكري بين العلماء الواعين والقصاص الذين لبسوا ثوب التصوف فهؤلاء لا يميزون بين الصحيح والكذب، يتبعون قلوبهم ورؤاهم يقول أحدهم حدثني قلبي عن ربي.. ويا للعجب يتركون الصحيح من الدين ويتبعون مناماتهم وما أوحت به إليهم شياطينهم ورؤاهم الكاذبة.

كذلك وضعت أحاديث مكذوبة لأسباب سياسية وقد ساهم الأمويون كثيراً بذلك، ترسيخاً لملكهم خاصة أثناء حروبهم مع ابن الزبير، وربما استعانوا في ذلك بما ورد من قبل في تراث أهل الكتاب ما يسمى بالإسرائيليات.

وأخيراً هذه لمحة سريعة حول فضل بيت المقدس والمسجد الأقصى، وهذا الباب ليس هو غايتي من هذا الكتاب، إنما غايتي أن أوثق مدارس القدس ومكتباتها.. فإلى القسم الأول وهو مدارس القدس.

القسم الأول

المدارس

نشأة المدارس في القدس :

لم يعثر الباحثون في تاريخ القدس على مدارس عرفت قبل العصر الأيوبي، إلا مدرسة واحدة، أنشأها الفاطميون، خاصة أن مجالس العلم كانت تقام في المساجد وبيوت العلماء والكُتَّاب، لكن عصر المدارس الحقيقي بدأ في القدس بعد تحريرها سنة ٥٨٣ هـ/ ١١٨٤م، فقد كان التحرير حادثاً خطيراً من الوجهتين السياسية والعلمية...

فقد كان من أول أعمال صلاح الدين بعد الفتح تأسيس المدارس والمعاهد العلمية وزاد في خزانة كتب المسجد الأقصى، ويؤكد مجير الدين وأبو شامه أن صلاح الدين حول كنيسة حنة أم مريم إلى مدرسة سماها المدرسة الصلاحية، وجعل فيها وقفا بتاريخ ١٣ رجب سنة ٥٨٨ هـ، وأن وظيفة مشيخة هذه المدرسة

كانت من الوظائف السنية في مملكة الإسلام، وذكر مجير الدين أن صلاح الدين هو الذي بنى المدرسة الحنفية بجدار المسجد الأقصى خلف المنبر، بناها للشيخ جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد الشاشي، وكان وقفها في ١٨ ربيع الأول سنة ٥٨٧ هـ، وزود هذه المدارس بخزائن الكتب ليتم النفع.

ومن بعده سار الأيوبيون سيرته، فأسسوا المدارس وأكثروا من ذلك، وكانوا ينتقون لمدارسهم أنفس المخطوطات وأصحها، كما كانوا يختارون مدرسيها من خيرة أفاضل العلماء.

ومن بعد الأيوبيين جاء المماليك الذين امتاز عصرهم بالعمران وبحركة بناء واسعة النطاق، وكان نصيب القدس من هذا البناء عظيماً، وتدل المدارس الكثيرة التي أنشئت في القدس أيام المماليك، على أن القدس كانت على عهدهم مزدهرة، وأنها كانت مركز ثقافة إسلامية واسعة النطاق، وإن رواد العلم والحكمة كانوا يفدون إليها من جميع الأنحاء من أجل التعبد في مسجدها، ومن أجل انتجاع موارد العلم في مدارسها، فكم من أهل برّ وإحسان (وليس الملوك والوزراء هم وحدهم) أنفقوا أكياس الذهب على مساجد القدس ومدارسها وباحاتها ومعاهدها وربطوا أراضيهم وأملاكهم وقفاً ينفق من ريعه على إدارتها، وعندما نتحدث عن مدارس القدس القيمة سوف نجد أن أكثرها بُني في العهد المملوكي.

ولما زار السائح التركي (أوليا جلبي بن درويش) سنة ١٦٧٠م القدس قال: وفي القدس مئتان وأربعون محراباً (مصلى) وسبع دور للحديث وعشر دور للقرآن، وأربعون مدرسة للبنين، وتكايا لسبعين طريقة صوفية، طبعاً.. هذا العدد الذي بقي من مدارس العهد المملوكي.. فقد تهدم بعضها مع بداية العهد العثماني الذي خلاله خفتت أسهم المدارس وارتفعت أسهم الزوايا والتكايا، حتى كادت أن تعدم في أواخر عهدهم، فقد جاء في حولية نظارة المعارف العثمانية سنة ١٩٠١ حول التعليم في متصرفية القدس وقصبتها في بيت المقدس ما يأتي:

(تتألف إدارة معارف لواء القدس من أربعة عشر موظفاً على رأسهم المدير موظف التفتيش إسماعيل علي حقي بك الحسيني، بينهم محاسب ورئيس للكتبة..، وضمت المدرسة الإعدادية في سنة ١٣١٦ هـ/١٠٣ طلاب فقط يدرسهم ثمانية

مدرسين بمن فيهم المدير، وأكد على ذلك جرجي زيدان سنة ١٩١٣، حيث كتب عن صفة التعليم في القدس، خلال زيارته لها.. فقال.. التعليم الإجمالي ضعيف في فلسطين، مثله في معظم الممالك العثمانية، بل هو في فلسطين أضعف مما في سواها، ويصدق ذلك على المدارس الوطنية الأميرية، ونخص الكلام بالقدس لأنها أرقى سائر مدن فلسطين في التعليم، وليس فيها من المدارس الكبرى الوطنية والأميرية إلا المدرسة الدستورية لخليل السكاكيني، ومدرسة روضة المعارف للشيخ محمد الصالح الحسيني، ومدرسة إعدادية للحكومة، وكلها تشبه المدارس الابتدائية المصرية، وقس على ذلك سائر مدارس فلسطين الوطنية، وليس في فلسطين مدرسة كلية وطنية، أما الأجانب فلهم في فلسطين مدارس كبرى لتعليم أهل تلك البلاد والتابعين لسفاراتهم...

١ ـ المدرسة الأشرفية:

تقع داخل المسجد على ظهر الرواق الغربي المجاور لباب السلسلة من جهة الشمال، وتمتد من باب السكينة أو باب السلام من القبلة حتى المدرسة العثمانية من الشمال، وتسمى السلطانية، يدخل إليها من مدخلها الرئيسي الواقع في الطرف الجنوبي لها والذي تتقدمه قوصرة أو سقيفة مازالت تبهر الزائرين بعناصرها وزخارفها المعمارية.

وقد فصل مجير الدين في الأنس الجليل قصة بنائها وتوسع في وصفها، وإجمالاً تعد من أهم المنشآت التي قامت في القدس في أواخر العهد المملوكي، وقد بنيت مرتان، وملخص ذلك:

أن مشروع بنائها بدأ في أيام السلطان الملك الظاهر خشقدم، وتولى أعمال البناء حسن بن ططر الظاهري ناظر الحرمين الشريفين بالقدس، كما كانت نفقات البناء من مال الناظر أيضاً، وتوفي السلطان خشقدم والمدرسة لم تكتمل بعد، وفي سنة ٨٧٢ هـ/١٤٦٨م عُزل حسن بن ططر الظاهري من أعماله فتوجه إلى القاهرة، وحاول التقرب إلى السلطان الجديد الأشرف قايتباي الذي عُرف باهتمامه بشؤون العلم والعلماء وبحبه لبناء المدارس، ونجح في ذلك فأخبره بأمر المدرسة وأنه بناها من ماله، وسأله قبولها وأن تكون باسمه، فقبل السلطان عرضه وأمره

بإتمام بنائها، وتم بناء المشروع في سنة ٨٧٥ هـ/١٤٧٠م، وعُين الشيخ شهاب الدين العميري شيخاً لها.

وفي سنة ٨٨٠ هـ/١٤٧٥م زار السلطان قايتباي القدس ونزل بمدرسته فلم تعجبه، فأمر بهدمها، ولم ينفذ أمره إلاّ في سنة ٨٨٤ هـ/ ١٤٧٩م، فهدم البناء القديم الذي على رواق المسجد، وشرع المهندسون في عملهم، فبني المجمع السفلي الملاصق لرواق المسجد من جهة الشرق، وأثناء ذلك توجه شيخ المدرسة شهاب الدين العميري إلى مصر ليحرض السلطان على الاجتهاد في أمرها والإسراع في بنائها، فسير السلطان في السنة التالية جماعة من المهندسين والبنائين والحجارين لبناء المدرسة، وكان من بينهم مهندس له خبرة جيدة في الهندسة، فلما رأى المجمع السفلي المبني بالمسجد ملصقاً بالرواق لم يعجبه ذلك فأمر بهدمه كله، وهدَّم ثلاث قناطر من الرواق مما هو ملاصق للباب المتوصل منه إلى المنارة، وبعد عمل دام أكثر من سنة تم البناء وأسس بجهاز كامل من الفرش وما تحتاجه المدرسة، وتم ذلك في سنة ٨٨٧ هـ/١٤٨٢م.

ومن شدة إعجاب مجير الدين العليمي بهذه المدرسة قال عنها (إن الناس كانوا يقولون قديماً مسجد بيت المقدس به جوهرتان هما قبة الجامع الأقصى وقبة الصخرة الشريفة، قلت.. وهذه المدرسة صارت جوهرة ثالثة فإنها من العجائب في حسن المنظر ولطف الهيئة).

وزودت المدرسة بمكتبة كبيرة، وأولاها السلطان قايتباي عناية خاصة، فصار يعين شيخها بمرسوم سلطاني، لذلك حظي شيوخها بمكانة سامية مكنتهم من قيامهم بدور اجتماعي وسياسي متميز.

ويتألف البناء من طابقين (الأرضي والأول) والأرضي يتألف من مدخل رئيسي وسقيفة تتقدمه، ودركاه مؤدية إلى سلم حجري يتوصل بواسطته إلى الطابق الأول، وقاعة رئيسية في جهتيها الشمالية والشرقية باب يؤدي إلى ساحة الحرم الشريف، ويقوم إلى الغرب من هذه القاعة وعلى صف واحد أربع غرف صغيرة، أما الطابق الأول ففيه ساحة مستطيلة الشكل وفيه أربعة أواوين متقابلة، يتصدر أكبرها محراب ونافذتان مطلتان على المسجد الأقصى المبارك، ونافذتان

من جهة الغرب تطلان على جهة صحن الصخرة. وتعد المدرسة متحفاً في تاريخ العمارة المملوكية في القدس لغناها بالعناصر المعمارية والزخرفية.

ويستخدم الطابق الأرضي اليوم مقراً لمكتبة المسجد الأقصى، وذكر عارف العارف أنها كانت حوالي عام ١٩٥٠ مدرسة لأيتام المسلمين.

وممن تولى مشيخة المدرسة الأشرفية خلال العهد المملوكي الشيخ شهاب الدين العميري المتوفى سنة ٨٩٠ هـ/١٤٨٥م وكمال الدين ابن أبي شريف المتوفى سنة ٩٠٦ هـ/١٥٠٠م، وأقام فيها محمد بن محمد بن شرف الدين الخليلي المقدسي بعدما قدم القدس في سنة ١١٠٤ هـ، بعدما كان مقيماً في المدرسة البلدية، توفي سنة ١١٤٧ هـ [١]

٢ ـ المدرسة الأفضلية:

تقع بحارة المغاربة التي كانت تعرف قديماً بالقبة، غرب المسجد الأقصى، أنشأها الملك الأفضل علي بن صلاح الدين، وأوقفها على المالكية.

كانت حارة المغاربة مقراً لإقامة المغاربة الذين يشدون الرحال لزيارة المسجد الأقصى منذ القرون الهجرية الأولى، وبعد أن كثر عددهم بعد تحرير بيت المقدس على يد صلاح الدين عمد الملك الأفضل نور الدين علي بن صلاح الدين إلى وقف الأراضي والمساكن المحيطة بحائط البراق على طائفة المغاربة وذلك عندما صار سلطاناً على دمشق سنة ٥٨٩ هـ/١١٩٣م، وكانت القدس تابعة له، فصار يطلق على ذلك الحي اسم حارة المغاربة أو حي المغاربة.

وأنشأ الملك الأفضل المدرسة الأفضلية، وأوقفها على فقهاء المذهب المالكي كما بنى المسجد العمري الواقع جنوب ساحة كنيسة القيامة، أما منارتها فقد بنيت سنة ٨٧٠ هـ/١٤٦٥م.

صارت المدرسة حوالي عام ١٩٦٠ داراً يسكنها جماعة من فقراء المغاربة، ودفن فيها رجل يسمى الشيخ عيد، وعندما هدمت جرافات الصهاينة حارة المغاربة لكشف حائط البراق هدمت المدرسة مع الزوايا والأبنية [٢]

٣ ـ المدرسة الأرغونية

تقع تجاه المدرسة الجوهرية، قبلي الطريق المؤدية إلى باب الحديد من أبواب الحرم من الناحية الغربية، وهي متصلة بالمدرسة الخاتونية، من الجهة الغربية للمسجد.

شرع في إنشائها الأمير أرغون الكاملي سنة ٧٥٨ هـ (ومعنى أرغون الحديد)، وكان من رجال الملك كامل شعبان، وصار في عهده الحاكم المطلق في الشام وحلب، أوقف في القاهرة وسجن في الإسكندرية، ثم نقل إلى القدس في أواخر سنة ٧٥٥ هـ/١٣٥٤م حيث عاش بلا عمل، وبقي فيها إلى أن مات سنة ٧٥٨ هـ، ودفن في مدرسته، وكان مشروعه فيها في سنة ٧٥٨ هـ/١٣٥٧م، وأتم بنائها الأمير ركن الدين بيبرس سنة ٧٥٩ هـ/١٣٥٨م، والدليل على ذلك ما نقش فوق بابها بالخط النسخي المملوكي الجميل.

كانت المدرسة أيام العهد التركي قائمة، ويقول العارف ولا ندري متى أغلقت..؟ وقال.. وقد عرف الباب فيما مضى بباب أرغون (وهو الحديد بالتركية) نسبة إلى مجدده الأمير أرغون، لذلك استبدل اسم الباب مع الأيام فأصبح يعرف بـ (باب الحديد)، والمدرسة وإن كانت ألغيت، إلا أن بناءها ما زال قائماً، يسكنه جماعة من عائلة العفيفي، كما يسكنون المدرسة الزمنية، وقد دفن في جانب من البناء الملك حسين بن علي موقد نار الثورة العربية ضد الأتراك سنة ١٣٣٤ هـ/١٩١٥م، وكانت وفاته سنة ١٣٥٠ هـ/١٩٣١م.

درست المدرسة الفقه الحنفي، وبقيت تقوم بدورها حتى الربع الأخير من القرن التاسع الهجري، لأنها صارت سكنا للقاضي غرس الدين خليل الكناني شيخ المدرسة الصلاحية، وورد أن الأمير جان بلاط كان يسكن فيها سنة ٨٩٧ هـ/١٤٩٢م، وبعد وفاة أخيه خضر بك نائب السلطنة وناظر الحرمين خزنت أمواله وتَرِكَتُه عند أخيه بالمدرسة الأرغونية.

وممن درس فيها الشيخ علاء الدين أبو الحسن ابن النقيب المقدسي الحنفي، كان يقرئ فيها كتاب الهداية (٧٥١ هـ/٨١٦ هـ)، وكمال الدين محمد بن أحمد بن

النقيب المقدسي الحسني، كما كان مدرساً بالمدرسة التنكزية أيضاً، وزين الدين عبد الرحيم بن النقيب [٣]

٤ ـ المدرسة الإبراهيمية :

تأسست سنة ١٩٣١م بإدارة الشيخ راشد القاسمي وعز الدين الشرف، وإبراهيم عبد المعطي بدر، وهم من أهل الخليل، ودعوها الإبراهيمية باسم خليل الله إبراهيم عليه السلام.

بدأت المدرسة وتدرجت حتى أصبحت ثانوية، وحملت اسم الكلية الإبراهيمية، وتابعت مسيرتها بعد احتلال الصهاينة اليهود سنة ١٩٦٧م [٤]

٥ ـ المدرسة الأباصيرية :

تقع بجوار باب الناظر، كانت المدرسة عبارة عن رباطين، الأول الرباط المنصوري الذي أوقفه السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحي سنة ٦٨١ هـ/١٢٨٢م، والآخر الرباط الأباصيري الذي أوقفه الأمير علاء الدين الأباصيري المتوفى سنة ٦٩٣ هـ/١٢٩٣م، والذي كان ناظراً للحرمين (القدسي والخليلي) من أيام الظاهر بيبرس إلى أيام المنصور قلاوون، وقد أوقفه سنة ٦٦١ هـ/١٢٦١م، في زمن الملك الظاهر بيبرس، ويذكر العارف.. أنه كتب محضراً لوقفه. لدى الحاكم الشرعي بتاريخ ١٨ ربيع الآخر سنة ٧٤٢ هـ/١٣٤١م، وبعد وفاة الواقف دفن في رباطه.

اتخذ الرباطان (الأباصيري والمنصوري) في أوائل العهد العثماني مسكناً للتكارنة، وهم من عرق إفريقي جاؤوا من دارفور وملحقاتها، كانت الحكومة التركية تستخدمهم في شؤون الشرطة، كما عمدت إليهم بحراسة المدارس التي كانت تقوم في الدور والمنازل والأروقة الكائنة حول الحرم من الغرب والشمال، ويذكر أنهم قاموا بواجبهم حق القيام، وكانوا مخلصين للدولة، كما عهد إليهم بحراسة أبواب الحرم، فقد كانوا سود اللون، طوال القامة، أقوياء البنية، منعوا من ليس مسلماً من الدخول إلى الحرم القدسي الشريف، ولو كان ملكاً أو أميراً لدولة

أجنبية، وقد ورد أنه في سنة ١٨٥٥م اضطر متصرف القدس سجن التكارنة ليمكن أحد الملوك من زيارة الحرم القدسي.

حوَّل الحكم التركي هذان الرباطان في أواخر حكمهم إلى سجن، فكان في أحدهما وهو القبلي الموقوفون الذين ينتظرون محاكمتهم، وفي الثاني المحكومون، وكان هذا يدعى سجن الدم، وبقي كذلك حتى الاحتلال البريطاني يومها نقل الإنكليز السجن إلى المكان المعروف بالمسكوبية، وفي سنة ١٩٦٠ سكن فيهما جماعة من فقراء التكارنة، ويعتقد عارف العارف أن الدار التي يقطنها جماعة من آل الخالدي غربي الحرم إلى الشمال، كانت فيما مضى جزءاً من المدرسة الأباصيرية [٥]

٦ ـ المدرسة الأسعردية :

تقع بالغرب من المدرسة الجاولية شمالي الحرم الشريف، على يمين الداخل من باب العتم بجوار المدرسة الملكية فوق رواق النساء.

أنشأها التاجر مجد الدين عبد الغني بن سيف الدين أبي بكر بن يوسف الأسعردي، بنيت حوالي سنة ٧٦٠ هـ/١٣٥٨م، وتم الوقف في ٢٠ ربيع الأول سنة ٧٧٠ هـ/١٣٦٨م يقول عارف العارف أنها كانت في الأزمنة الأخيرة عامرة، رممها المجلس الإسلامي الأعلى، ونقل إليها دار الكتب المسماة باسم المسجد الأقصى، كما سكن في جانب منها قاضي القدس الشيخ نسيب البيطار في سنة ١٩٤٦م، ثم سكن فيها أيضاً الشيخ إبراهيم العدوي.

والأسعردي نسبة إلى بلدة سعرد التركية الواقعة في الجنوب من بحيرة واو في شرقي الأناضول. [٦]

٧ ـ المدرسة الأمينية :

تقع بقرب باب العتم بالنسبة للطابقين الأرضي والأول منها، وفوق الرواق الشمالي للحرم الشريف إلى الشرق من المدرسة الفارسية بالنسبة إلى الطابقين الثاني والثالث منها، ويجاورها غرباً المدرسة العمرية، وجنوباً ساحة المسجد

الأقصى المبارك، وتعتبر من أجمل المدارس المطلة على ساحات الأقصى ومن أهمها.

وطابقها الأرضي عبارة عن مدخل رئيسي وموزع يؤدي إلى غرفة الضريح وإيوان وصحن مكشوف يتوسطه حوض ماء مربع الشكل، وكان هذا الطابق يستخدم للتدريس، والطابق الأول عبارة عن أربعة غرف مربعة الشكل تقريباً، تقوم في الجهة الجنوبية منه ممرات مقببة محيطة بالمنور وقد غطي في العهد العثماني، ومجموعات من الغرف الصغيرة تقوم في الجهة الشمالية، ويصعد إلى الطابق الثاني من خلال السلم الحجري الذي يؤدي إلى ساحة مكشوفة تتقدم الغرف والقاعة الرئيسية المطلة على ساحة الحرم، ويتألف الطابق الثالث من غرف صغيرة وكبيرة شمال وجنوب الساحة المكشوفة. أنشأها الصاحب الوزير أمين الدين عبد الله بن تاج الرياسة بن الغنام سنة ٧٣٠ هـ/١٣٢٩م أيام السلطنة الثالثة للناصر محمد بن قلاوون، وكان يعرف عنده بأمين الملك، توفي سنة ٧٤١ هـ/١٣٤٠م.

وقد مر البناء بمرحلتين تاريخيتين متعاقبتين في الفترة المملوكية وفترة التأسيس، والفترة العثمانية وهي فترة الترميمات والإضافات، حيث أصيب المبنى المملوكي بزلزال سنة ٩٥٢ هـ/١٥٤٦م ورمم.

وقد لعبت المدرسة الأمينية دوراً هاماً في تنشيط الحركة العلمية والحضارية في القدس، حيث اشتهر من شيوخها في العهد المملوكي الشيخ إبراهيم بن أبي بكر الموصلي، وقد عُين وفق مرسوم سلطاني موقع من نائب السلطنة بدمشق، كما استلم مشيختها بعده ابنه برهان الدين في سنة ٧٩٧ هـ/١٣٩٥م، ومن بعده أخوه عبد الملك.

وفي العهد العثماني كان حاكم القدس الشرعي هو من يقوم بالتعيينات السلطانية لوظيفتي المشيخة والتدريس فيها، كما هو الحال في المدارس الأخرى بالقدس، وعرف من شيوخها خلال العهد العثماني الشيخ عبد الله بن الشيخ يوسف الذي عين فيها سنة ١٠٨٠ هـ، والشيخ محمد أسعد الإمام الحسيني وعدد من أقربائه الشيوخ في سنة ١٢٨١ هـ، ومدفون فيها بالطابق الأرضي عدد من آل

الإمام وعلمائهم الغابرين مثل الشيخ أسعد الإمام ويوسف ومحمد صالح وإبراهيم وغيرهم، فهي تعتبر وقفاً ذريا لآل الإمام حيث مازالوا مقيمين فيها حتى اليوم.

أما أوقافها الكثيرة فقد اختلست كما هي العادة من قبل مؤتمينها، وقطعت أقواسها المرتفعة واستخدمت في بناء مدرسة رياض الأقصى، بالإضافة لما جرى عليها من بناء فطمس معالمها الأثرية، وتم أخيراً شراؤها من ورثة آل الإمام لجعلها مقراً للدعوة والتبليغ مع أنها وقف، وقامت الشرطة الصهيونية في الآونة الأخيرة بإغلاق بابها في الفترة التي تغلق بها أبواب الحرم القدسي الشريف، وهي بحاجة إلى ترميم في كل طوابقها [٧]

٨ ـ المدرسة الأوحدية :

تقع في الناحية الغربية عند باب حطة على بوابة الحرم القدسي، وملاصقة لسور الأقصى الشمالي، وإلى الشرق من المدرسة الدوادارية والباسطية، في الرواق الشمالي.

أنشأها الملك الأوحد نجم الدين يوسف بن الملك الناصر صلاح الدين داود بن الملك المعظم عيسى، في سنة ٦٩٧ هـ/١٢٩٨م، وهو أمير أيوبي من أبناء عمومة صلاح الدين، ولد سنة ٦٢٨ هـ/١٢٣٠م، عمل في النظام المملوكي كناظر للحرمين الشريفين (الأقصى والإبراهيمي) وكان عالماً بالحديث، توفي سنة ٦٩٨ هـ/ ودفن في مدرسته.

أوقف عليها أوقافاً جيدة، لكنها فقدت من قبل متوليها، حيث صار الوقف في العهد العثماني إما ملكاً للدولة أو ملكاً لمن يضع يده عليه.

ومبنى المدرسة ضخم له بوابة جميلة باتجاه الشمال على الطريق المؤدي إلى باب حطة، وهي عبارة عن طابقين، الأول فيه ساحة وغرفة تضم قبر المؤسس وغرفة أمامية، أما الطابق الثاني ففيه عدة غرف، وهي اليوم محتلة من قبل عائلة الشرباتي بعدما وضعوا أيديهم عليها وسكنوها، ففقدت وظيفتها ودورها التعليمي، وحل بها ما حل بمعظم مدارس المسلمين بالقدس ودمشق وبغداد والقاهرة...

ومن درس فيها محمد بن محمد اللطفي، وخليل بن أبي الوفا الدجاني، ومحمد بن علي جار الله[8]

٩ ـ المدرسة الباسطية :

تقع شمالي الحرم، قريبة من باب العتم، تطل على المدرسة الدوادارية، فوق الرواق الشمالي للمسجد الأقصى.

بدأ بإنشائها واختط أساسها شيخ الإسلام شمس الدين الهروي شيخ المدرسة الصلاحية، وناظر الحرمين الشريفين، لكن أدركته منيته قبل عمارتها، فقام القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل الدمشقي بإكمال بنائها وذلك في سنة ٨٣٤ هـ/١٤٣١م.

كان عبد الباسط المتوفى سنة ٨٥٤ هـ/١٤٥٠م من أعظم شخصيات السلطنة المملوكية في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، وأكثرهم ثروة، ووصف بحبه للعلم والعلماء، تولى إنشاء عدة مدارس، ومنشآت خدمية في دمشق وغزة والقاهرة، كما خصص لها الأوقاف الكثيرة، ومن أعماله التي عمل بها.. ناظر الجيوش المنصورة.

والمدرسة مازالت موجودة، لكنها ليست عامرة بحلقات العلم، وإنما عامرة بالعائلات التي اغتصبتها، ومنهم عائلة من آل جار الله، وأخذ من ساكنيها قسماً واستعمل كمدرسة للبنين.

دَرَس فيها مجير الدين الحنبلي، وفيها أخذ إجازة من تقي الدين القلقشندي بكتاب (مُلحة الإعراب للحريري).

ومن درس فيها الإمام المحدث شمس الدين محمد بن بهاء الدين الشهير بابن المصري الحلبي الأصلي، نزيل القدس (٧٦٨ ـ ٨٤١ هـ)، وهو أول شيوخها، ومن بعده الشيخ شرف الدين يحيى بن أحمد التنوخي الشهير بابن العطار، توفي سنة ٨٤١ هـ/١٤٣٧م، في نفس العام الذي تولى فيه المدرسة، كما كان من شيوخ المدرسة الصلاحية، ومنهم عبد الله بن محمد بن إسماعيل القلقشندي المتوفى سنة ٨٦٧ هـ/١٤٦٢م، درس في المدرسة الصلاحية، وتولى

مشيخة المدرسة الباسطية، وهو شيخ مجير الدين الحنبلي والسخاوي، وصار مفتي القدس وشيخها [٩]

١٠ ـ المدرسة البدرية :

تقع بخط مزربان بالقرب من المدرسة اللؤلؤية ومن زاوية الشيخ محمد القرمي، في حارة الواد. أنشأها بدر الدين محمد بن أبي القاسم الهكاري، أحد أمراء الملك المعظم، في سنة ٦١٠هـ/ ١٢١٣م على فقهاء الشافعية وكان يتمنى الشهادة فرزقه الله إياها في الغور بالقرب من نابلس في سنة ٦١٤ هـ، وحمل إلى قريته بالقدس ودفن في مدرسته، وهي اليوم دار معد للسكن، تسكنها عائلة علي نصرة التوتونجي وأخوته [١٠]

١١ ـ المدرسة البلدية :

المعروفة باسم مدرسة (منكلي بغا)، تقع في الجهة الغربية من الحرم إلى الشمال من باب السكينة (السلام)، بجوار باب السلسلة، وبجوار المدرسة الشريفية داخل المسجد الأقصى سيف الدين أنشأها وأوقفها الأمير سيف الدين (منكلي بغا الأحمدي، الذي كان يعرف باسم البلدي، كان نائب حلب، توفي سنة ٧٨٢ هـ/١٣٨٠م ودفن في مدرسته وكان الوقف عليها سنة ٧٩٢ هـ/١٣٨٠م،ويذكر البهنسي أنها تعود للعصر المملوكي واستعملت كخزان للمياه، وتحتها صالة كبيرة كانت مغمورة بالأنقاض، فرغت ورممت وأصبحت متحفاً، ويذكر العارف أنها سميت البلدية لأنها صارت مدرسة لأبناء البلد، ويذكر أحمد سامح الخالدي.. أنه دفن فيها مفتي الشافعية محمد الخليلي الذي توفي سنة ١١٤٩ هـ/١٧٣٦ م، وقد ترك خزانة كتب، ثم باعها حسن بك الترجمان للوقف [١١]

١٢ ـ المدرسة البارودية :

تقع بباب الناظر بالقرب من المدرسة التشتمرية غرب المسجد.

أنشأتها الست الحاجة سفري خاتون بنت شرف الدين أبي بكر بن محمود المعروف بالبارودي، وذلك في رجب سنة ٧٦٨ هـ/١٣٦٦م.

لكنها تحولت بعد سنة ١٩٤٠ إلى دار للسكن، فقد اعتدي عليها كما اعتدي على كثير من المدارس في كل الحواضر العربية والإسلامية [١٢]

١٣ ـ المدرسة التشتمرية :

تقع بالقرب من المدرسة الحسنية، خارج الحرم بجواره من الجهة الغربية بخط باب الناظر.

أنشأها الأمير تشتمر السيفي من أمراء الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، أوقفها بتاريخ ١٢ ذي القعدة سنة ٧٥٩ هـ/ ١٣٥٧م، وهي غير المدرسة الطشتمرية التي بناها الأمير طشتمر العلائي سنة ٧٨٤ هـ/١٣٨٢م، والواقعة في طريق باب السلسلة، وهذه بباب الناظر، كما أن تاريخ وقف كل واحدة منهما يختلف عن الآخر.

وممن درس فيها الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن محمد القرقشندي، مدرس المدرسة الميمونية والكريمية والملكية، كما كان معيداً بالصلاحية[١٣]

١٤ ـ المدرسة التنكزية :

من أشهر مدارس القدس وأجملهن بناءاً، تقع على يمين الداخل إلى الحرم الشريف من باب السلسلة، وكان لها بابان واحد يطل على ساحة الحرم والثاني شمالي خارج الحرم، قال عنها العليمي (وهي مدرسة عظيمة ليس في المدارس أتقن من بنائها)، وهي أشبه ما تكون بمجمع علمي، فقد كان فيها خانقاه ودار للأيتام ودار للقرآن ودار للحديث.

أوقفها الأمير سيف الدين تنكز بن عبد الله الملكي الناصري المتوفى سنة ٧٤١ هـ/١٣٤٠م، وتم افتتاحها رسمياً في سنة ٧٣٠ هـ/١٣٢٩م، وقد كتب على واجهتها الخارجية فوق بابها الشمالي اسم واقفها وتاريخ الوقف بالخط النسخي

المملوكي الجميل، وممن أقام فيها السلطان فرج، وفي عهد قايتباي صارت مركزاً للحكام والقضاة والنواب والمسؤولين عن إدارة القدس، كما جعلوها داراً لسكناهم أيضاً، وفي عام ١٩٦٩ صادرتها القوات الصهيونية هي وسبعة عشر عقاراً إسلامياً وجعلتها موقعاً عسكرياً لأفراد حرس الحدود. يقول عارف العارف.. ذكرها السائح المشهور (فابري) فقال أنها كانت ديواناً للقضاء وداراً لسكن القضاة، وكان في داخلها مسجد، تحولت أيام العثمانيين إلى محكمة شرعية، وبقيت كذلك في أوائل الانتداب البريطاني، ثم اتخذت داراً لسكن رئيس المجلس الإسلامي الأعلى الحاج أمين الحسيني.

ولواقفها الأمير تنكز مآثر كثيرة في القدس وغيرها، فقد وضع الرخام في قبلة المسجد عند المحراب، وجانب المسجد الأقصى الغربي، وقناة الماء الواصلة إلى مدينة القدس، والبركة الرخامية بين الصخرة والأقصى، والحمام الكائن بباب القطانين المعروف بالجديد وغير ذلك.. توفي الأمير تنكز بالإسكندرية مسموماً ثم نقل إلى ترتبه بدمشق في ٥ رجب ٧٤٤ هـ.

وكانت المدرسة عبارة عن أربعة أواوين معقودة بالكلس والحجر، في أحدها نافذة تطل على حارة المغاربة، وكل باب من أبواب الأواوين عبارة عن مصراعين مطعم بالعاج والأبنوس، وجعل فيها الرخام الكثير حتى أرضها فرشت بالرخام الملون، وفي وسطها بركة مثمنة.

وكان لا يدرس فيها إلا العلماء القديرون، وقد ضمت عدداً كبيراً منهم، بعضهم فقهاء وبعضهم محدثون وبعضهم الآخر صوفيون بوصفها مدرسة ودار حديث وخانقاه، وقد عرف منهم الحافظ المحدث جمال الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم القدسي الخواصي (٧١٤ ـ ٧٦٥ هـ) مؤلف كتاب (مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام)، والشيخ زين الدين عبد الرحمن بن محمد الأنصاري (٧٨٠ هـ/ ٨٤٦ هـ) وكان مسؤولاً عن أوقاف المدرسة التنكزية، وزين الدين عبد الرحيم بن محمد المشهور بالعجمي توفي سنة ٨٨٧ هـ وقد ذكر في وقفيتها أن من شروط المدرس فيها أن يكون حافظاً لكتاب الله، وعالماً بمذهب الإمام أبي حنيفة، وأن يكون إماماً في الصلوات الخمس. ومن شروط شيخ الحديث فيها أن يكون عالي

الرواية مقصوداً بالسماع عليه حسن الضبط، أما الطلاب فاشترطت الوقفية أن يكونوا من أهل الخير، كما قسمتهم إلى ثلاثة طبقات (مبتدئون، متوسطون، منتهون) وأن يواظبوا على دروسهم، كما اشترط على الطالب في دار الحديث، وهو أحد أقسام المدرسة أن يقرأ صحيح البخاري وصحيح مسلم وأن يحفظ كل يوم حديثاً واحداً.. كما فرض الوقف الرواتب على كل المدرسين والطلاب، وقد خرج من هذه المدرسة عدد كبير من العلماء في بيت المقدس.

وجاء في دراسة فرج الله أحمد يوسف (اغتصاب تاريخ فلسطين وآثارها).. بدأت الدولة الصهيونية الحفريات في القدس بالمرحلة الثالثة سنة ١٩٧٠ ـ ١٩٧٤، حيث تم الحفر أسفل مبنى المدرسة التنكزية (المحكمة الشرعية) واستمروا بالحفر.. إلى أن حفروا تحت خمسة أبواب (باب السلسلة والمطهرة والقطانين والحديد وعلاء الدين البصيري) لمسافة ١٨٠ متراً، ويراوح عمق الحفر بين ١٠ و١٤ متراً، وتم بناء كنيس يهودي أسفل مبنى المدرسة التنكزية، وأدخلوا إليه أسفاراً من التوراة [١٤]

١٥ ـ المدرسة الخاتونية :

تقع بباب الحديد غربي الحرم الشريف وإلى الشمال من باب القطانين، وجنوب المدرسة الأرغونية.

أنشأتها أوغل خاتون ابنة شمس الدين محمد بن سيف الدين المعروفة بالقازانية، وهي من بغداد، وذلك في سنة ٧٥٥ هـ/١٣٥٤م، لكنها لم تكملها إنما أتمت البناء الأميرة أصفهان شاه بنت الأمير قازان شاه سنة ٧٨٢ هـ/ ١٣٨٠م، وقيل إن أصلهما أتراك أو مغول، ولقب القازانية يعني أنها كانت متزوجة من قازان شاه، وقد تكون أصفهان شاه ابنتها.

ويوجد رُبْع من القرآن الكريم موجود في المتحف الإسلامي بالقدس مُهدى من أوغل خاتون في سنة ٧٦٠ هـ لاستعماله في زاوية الخاتونية التي بنتها في القدس، وتشير مذكرة الوقف إلى أن التي أهدت الربع هي بانية لمؤسسات خيرية

ودينية ومربية للأمراء والسلاطين وحاجة وابنة الأمير محمد، وهذا يدل على أن أوغل خاتون عاشت في القدس لعدة سنوات.

والمدرسة عبارة عن مدخل يؤدي إلى غرفة معقودة، ثم إلى ساحة سماوية تحيط بها الغرف من الناحية الجنوبية والغربية والشمالية، وفيها إيوانان متقابلان في الطرف الشرقي للساحة، وفيها غرفة قبر مع غرفة أمامية ملاصقة، وقد خضع مبنى المدرسة لعدة تعديلات.

أوقفت عليها أوغل خاتون مزرعة بظهر الجمل، كما أوقفت عليها أصفهان شاه عدة أراضي في قصر البكجوري في الشام، وبيتاً في حي صهيون، وبيتاً إلى يمين باب الحديد، ودكاناً في سوق القطانين وغير ذلك.

استمر التدريس بالمدرسة حتى نهاية القرن العاشر الهجري، ثم أصبح التعليم فيها متقطعاً، لكنها توقفت نهائياً عن أداء رسالتها مع بداية الاحتلال البريطاني لفلسطين فصارت داراً للسكن، حيث يسكنها جماعة من آل الخطيب، ودفن فيها الأمير خير بك الظاهري الخشقدي الذي تسلطن ليلة واحدة من غير عهد ولا بيعة، وذلك في سنة ٨٧٩ هـ، وفي سنة ٨٨٣ هـ توفي فيها الأمير جاني بك الفقيه أمير سلاح، وأقام بها في سنة ٨٨٦ هـ الأمير قانصوه اليحياوي نائب الشام بعد أن عاد من الأسر ببلاد العجم، حيث كانت تستعمل ولو جزئياً كسكن للأمراء المرسلين إلى القدس، وفي العهد العثماني كانت إدارة المدرسة وأوقافها في أيدي عائلة ابن جماعة، ويسكنها اليوم جماعة من آل الخطيب.

وممن دفنوا بداخلها الزعيم الهندي المسلم الأمير محمد علي بعدما توفي بلندن سنة ١٣٤٩ هـ/١٩٣٠م، وإلى جانبه يرقد الزعيم الفلسطيني موسى كاظم باشا الحسيني الذي توفي سنة ١٩٣٣م، وابنه شهيد معركة القسطل عبد القادر الحسيني في سنة ١٩١٨م، وابنه فيصل عبد القادر الحسيني.

وممن درس فيها الشيخ زين الدين محمود بن الشيخ شهاب الدين أحمد الديري، كما كان مدرساً بالمدرسة اللؤلؤية أيضاً [(١٥)]

١٦ ـ المدرسة الحسينية ـ ١ ـ:

تقع عند باب الأسباط، شمال المسجد الأقصى، غرب المدرسة المنجكية.

أوقفها شاهين الحسني الطواشي قبل سنة ٧٦٢ هـ/ ١٣٦١م، توفي سنة ٨١٥ هـ/١٤١٢ م، أيام دولة الناصر حسن المتوفى سنة ٧٦٢ هـ/١٣٦٠م، قال عارف العارف:

لم يكن لهذه المدرسة دور بارز ولم تكن في حكم المدارس في النظام والشعائر، إنما تحولت لمنزل اتخذ للسكن، واتخذت حديثاً مقراً للمجلس الإسلامي الأعلى، ثم غدت مقراً لإدارة الأوقاف بمدينة القدس.

كان لها باب عند باب الأسباط لكنه سُدَّ، ويظهر أن هذا الوقف قد درس مع الزمن، فانتقلت الدار، ولا يدري أحد كيف تم ذلك، إلى جماعة من غير المسلمين [١٦]

١٧ ـ المدرسة الحسينية ـ ٢ ـ:

تقع بباب الناظر، من الناحية الغربية من الحرم فوق أروقة رباط علاء الدين البصير، بجوار المدرسة المنجكية، مقابل التربة التي يقال أن فيها قبر فاطمة بنت معاوية بن أبي سفيان.

أنشأها الأمير حسام الدين الحسن بن محمد الكشكيلي الحنفي، سنة ٨٣٧ هـ/١٤٣٤م، وأوقفها في السنة التالية ٨٣٨ هـ، وكان وقتها نائباً للسلطنة في القدس وناظراً للحرمين، وكان من الأمراء المعتبرين، أوقف عليها أوقافاً كثيرة، توفي بالقدس بعد تركه للنيابة في سنة ٨٤٢ هـ.

وعرف من شيوخها تقي الدين أبو بكر بن محمد الحسيني، طلب العلم بدمشق وحلب وبعلبك والقاهرة، وعرف في وقته كأعظم عالم في فلسطين والشام توفي سنة ٨٦٩ هـ/١٤٦٥م، وحظي بمكانة عالية عند أولي الأمر، واستلم المدرسة من بعده ابنه تاج الدين محمد المتوفى سنة ٨٩١ هـ/ ١٤٨٦م[١٧]

١٨ ـ المدرسة الحنبلية :

تقع بباب الحديد غرب المسجد.

أوقفها الأمير بيدمر نائب الشام في سنة ٧٨١ هـ/ ١٣٧٩م، وكان تولى نيابة دمشق أيام الأشرف شعبان بن حسين في سنة ٧٧٧ هـ، وممن تولى التدريس فيها الشيخ برهان الدين أبو الصفا إبراهيم بن علي الأسعردي المتوفى سنة ٨٥٧ هـ/١٤٥٣م بدمشق، والذي قرره مدرساً فيها الملك الظاهر جقمق.

أما وضع المدرسة اليوم فهي مسكونة من قبل عائلة آل القطب[١٨]

١٩ ـ المدرسة الحمراء :

تقع في حارة النصارى فوق المسجد العمري المطل على ساحة كنيسة القيامة من جهة القبلة.

يقول عارف العارف: (... جاء في السجل رقم ٢٤١ الصفحة ٦١ أنه كان لها إمام في سنة ١١٧٠ هـ/١٧٥٦م).

وقال.. حدثني مفتي القدس الشيخ سعد الدين العلمي سنة ١٩٥٦ أن هذه المدرسة كانت في حارة النصارى، في نفس الموقع الذي كانت تقوم عليه مدرسة في العهد التركي، وقد تلقى فيها علومهم الأولية كثيرون من أبناء القدس، وهي واقعة فوق المسجد العمري المطل على ساحة كنيسة القيامة من جهة القبلة، وقال... وقد اتخذت مع الزمن مسكناً يسكنه جماعة من آل العلمي، أعرف منهم في يومنا هذا (١٩٥٦) الحاج عبد القادر العلمي و... وقد رأيت آثار محراب قديم في الغرفة التي يقيم فيها، وهي مطلة على الطريق العام المعروفة بطريق حارة النصارى، تجاه الدرج المؤدي إلى خان الأقباط[١٩]

٢٠ ـ المدرسة الحكمية :

ذكرها عارف العارف فقال... لا نعلم عنها سوى أن القاضي حسام الدين الحنفي عيَّن في صفر ٩٧١ هـ/١٥٦٣م الشيخ زين الدين محمود بن الديري الحنفي قارئاً فيها بأجر يومي قدره عثماني واحد...

وقد ذكر ذلك بناءً على ما وجده في السجل ٤٤ من سجلات المحكمة الشرعية بالقدس، الصفحة ٥٠٠ (٢٠)

٢١ ـ المدرسة الجراحية :

تقع في الحي المعروف بحي الشيخ جرّاح، على بعد ٢ كم من سور المدينة نحو الشمال، وعلى الطريق المؤدية إلى نابلس.

أنشأها الأمير حسام الدين الحسين بن شرف الدين عيسى الجراحي، أحد أمراء السلطان صلاح الدين الأيوبي، توفي سنة ٥٩٨ هـ/ ١٢١٠م ودفن في مدرسته المذكورة.

وقد ذكرها عبد الغني النابلسي في رحلته فقال عنها ما تقدم ناقلاً عن موسوعة مجير الدين، وذكر أن لها وقفاً ووظائف مرتبة.

وقيل إن هذا الأمير كان طبيباً لصلاح الدين، وقد أبلى في معركة القدس بلاءً حسناً (٢١)

٢٢ ـ المدرسة الجاولية :

تقع في الرواق الشمالي للمسجد الأقصى، وبالتحديد في الزاوية الشمالية الغربية بجانب المدرسة العمرية على الجزء الصخري من الحائط، وقريبة من درج الغوانمة.

أوقفها سنة ٧١٥ هـ/١٣١٥م الأمير علم الدين سنجر الجاولي الآمدي المتوفى سنة ٧٤٥ هـ/١٣٤٥م، وهو من مواليد آمد في ديار بكر، كان أيام الناصر محمد حاكماً لغزة، ثم اعتقل وبعد الإفراج عنه عادت إليه إمارته، فعمل مفتشاً لمدرسة ومشفى قلاوون بالقاهرة، وبعد وفاة الناصر محمد وليَ حماة، ثم غزة ثانية ثم عاد إلى القاهرة ليترأس القوات المحاصرة لأحمد بن الناصر في الكرك.

بنى الأمير علم الدين مدرسة وتربة في القاهرة، ومسجداً وأروقة وساحة عامة وحماماً وخاناً ومشفى في غزة، وخاناً ومسجداً في اللد، وقناة مياه في أرسوق، ومسجداً في الخليل، وكان عالماً فقيهاً شافعياً ذكره السبكي في أكثر من مكان في طبقاته لفقهاء الشافعية، وعرف عنه أنه روى مسند الإمام الشافعي وحدث به ورتبه وشرحه بمجلدات.

أعيد ترميم المدرسة في بداية القرن الخامس عشر الميلادي، واستعملت مقراً لحاكمية القدس، ثم استخدمها العثمانيون مقراً لحكمهم حتى سنة ١٨٧٠م، استخدمت كمدرسة ابتدائية سنة ١٩٢٢م، كما صار فيها كلية روضة المعارف، وفي أيام حكومة الانتداب البريطاني اتخذت مقراً للشرطة، وفي سنة ١٩٣٨م اتخذها المجاهدون مقراً للجهاد المقدس، ثم صارت جزءاً من المدرسة العمرية.

وهي عبارة عن إيوان كبير على جهة القبلة، وعلى جانبيه غرفتان تطلان على الحرم عبر خمس نوافذ، ولها واجهات من الحجر الأبلق، وأقيمت مباني جديدة في شرقيها تخص المدرسة العمرية، وفيها ساحة مستطيلة، وعدة غرف من النواحي الشرقية والشمالية والغربية للساحة، وقد أضيفت غرفة زمن الاحتلال الصليبي لاستعمالها كنيسة لفرسان الهيكل، استعملت هذه الغرفة بعد التحرير الصلاحي كتربة ففيها قبر أمير أيوبي يدعى درباس الهكاري.

ويذكر العارف في موسوعته عن القدس أن أول من اتخذها داراً للنيابة هو شاهين الذباح حوالي سنة ٨٠٠ هـ/١٤٠٠م، وقرأ على مدخلها بلاطة نقشت عليها.. رسم بتجديدها المقر الشجاعي شاهين، وفي زمن مجير الدين كانت سكناً لنواب القدس.

ويقول العارف.. يعتقد علماء الآثار أن هذا البناء مشيد على عهد المكابيين، شيده جون هركانوس ١٣٤ ق.م، وجعله قلعة يحمي بها الهيكل..؟ وقد أسماها يومئذ (بارس) ثم جاء هيرودوس الملك ووسعها وأضاف إلهيا برجا أسماه (برج أنطونيا)، وقد حصنها تحصيناً متيناً، واتخذها الرومان، مقراً لولاتهم، وفيها أقام الوالي الروماني (بيلاطس) الذي حاكم السيد المسيح، وفي عهد المماليك صارت مدرسة، ثم صارت داراً للنيابة، ثم اتخذها الأتراك قشلاقاً وداراً للحكم، وكان ذلك

حوالي القرن السادس عشر، ودعيت على زمانهم (السرايا القديمة) وبقيت كذلك حتى بداية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م..

والمدرسة اليوم خربة.. ولم يبق منها إلا غرفتان فقط، وقد تم افتتاح نفق من تحتها على يد الصهاينة المغتصبين، وصاروا يستخدمونها كبرج من قبل شرطتهم لمراقبة ما يجري داخل المسجد.

أما مدرسو المدرسة ومتولوا أمرها، فلم تذكر المصادر شيئاً عنهم..؟ [٢٢]

٢٣ ـ المدرسة الجالقية :

تقع في الزاوية الشمالية الغربية عند ملتقى طريق باب السلسلة بطريق الواد تجاه المدرسة الطازية.

أنشأها ركن الدين بيبرس الجالق الصالحي بتاريخ ١٠ جمادى الأولى سنة ٧٠٧ هـ/١٣٠٧م.

ذكرها مجير الدين، لكن عارف العارف يقول.. إنها اليوم (حوالي سنة ١٩٥٠م) في حوزة آل الخالدي، باعوا جانباً منها إلى جماعة من أهل الخليل، واحتفظوا بالجانب الآخر لأنفسهم، والسؤال كيف باعوها وهي وقف لا يملكونها..؟ والحكم الشرعي من باع شيئاً لا يملكه فبيعه باطل..! [٢٣]

٢٤ ـ المدرسة الجهاركسية :

تقع بجوار الزاوية اليونسية من الشمال وفي الجهة الشمالية من ساحة الحرم قرب المدرسة الأسعردية المتخذة اليوم مكاناً لمحكمة الاستئناف الشرعية الإسلامية، وهي واليونسية بقايا كنيسة من بناء الروم قسمت قسمين: الأول جعل المدرسة الجهاركسية، والثاني جعل الزاوية اليونسية.

أوقفها قبل سنة ٧٩٠ هـ/ ١٣٩٨م الأمير جهاركس الخليلي، أحد أمراء الملك الظاهر برقوق، وقد توفي مقتولاً بدمشق في ربيع الاخر سنة ٧٩٠ هـ/١٣٨٨ م، والمدرسة ما تزال إلى يومنا هذا.

وممن درس فيها الشيخ سعد الدين الديري، وولده الشيخ تاج الدين الديري (٢٤)

٢٥ ـ المدرسة الجوهرية :

تقع بباب الحديد، تجاه المدرسة الأرغونية، على بعد بضعة أمتار من باب الحديد نحو الغرب.

أنشأها وأوقفها صفي الدين جوهر القنقبائي الخازندار زمام الأدر في عهد السلطان الظاهر سيف الدين جقمق المتوفى سنة ٨٥٧ هـ/١٤٥٣م، وقد وقفها على رباط كرد في سنة ٨٤٤ هـ/١٤٤٠م.

تعد المدرسة من مدارس القدس الرئيسية، فقد قامت بدور فعال في الحركة الثقافية، وكان لها شأن كبير، لذلك استلم أمورها ودرس فيها خيرة العلماء، وكان منهم الإمام شمس الدين محمد بن خليل القباقي الحلبي المتوفى سنة ٨٤٩ هـ/ ١٤٤٥م، ترك عدة مؤلفات نظماً ونثراً، خلفه من بعده ابنه العلامة برهان الدين أبو اسحق إبراهيم، ترك كأبيه مؤلفات عديدة أهمها شرح ألفية ابن مالك في النحو والصرف، والشيخ شمس الدين محمد بن محسن اليمني، وشمس الدين محمد بن حسن الناصري. وكمال الدين بن أبي شريف الذي كان من شيوخ المدرسة الصلاحية أيضاً، وكان بالمدرسة قسم خاص لتعليم الأطفال وتأديبهم.

في سنة ١٩٤٦ كان مقيماً فيها جماعة من عائلة الخطيب، بعد أن تحولت داراً للسكن (٢٥)

٢٦ ـ المدرسة الدوادارية :

تقع شمالي الحرم وإلى الشرق من الطريق المؤدية إليه عند الباب المعروف بباب العتم (وعرف بباب شرف الأنبياء وباب الملك فيصل وباب الدوادارية نسبة للمدرسة)، وهي ملاصقة لسور الحرم وتعرف باسم المدرسة البكرية.

أوقفها في عهد المماليك البحريين الأمير علم الدين أبو موسى سنجر بن عبد الله الدوادار الصالحي النجمي في سنة ٦٩٥ هـ/١٢٩٥م، وذلك أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب، ولد بعد سنة ٦٢٠ هـ ووصل إلى دولة المماليك بعد سنة ٦٤٠ هـ، صار أميراً لحلب تحت بيبرس، ثم بدمشق، وبعد وفاة بيبرس، استلم قلعة دمشق، وفي سنة ٦٨٠ هـ توسعت صلاحياته تحت سلطة السلطان قلاوون، ثم عزل عن منصبه بعد ذلك بثلاث سنوات، ثم استلم دواوين دمشق، ثم والياً لبهسنة بمصر، وكان مسؤولاً عن تنظيم حصار عكا في سنة ٦٩٠ أيام السلطان خليل، ثم سن في قلعة القاهرة، وفي أواخر سنة ٦٩١ هـ أصبح أميراً، وعرف عنه أنه كان إدارياً جيداً وتقياً ومحباً للعلم، أنشأ أوقافاً بدمشق والقدس، وكان مسؤولاً عن إعادة بناء مسجد ابن طولون بالقاهرة، توفي سنة ٦٩٩ هـ، ودفن في حصن الأكراد بحمص.

والمدرسة عبارة عن مبنى لها مدخل من جهة الغرب يؤدي إلى ساحة يحيط بها من جميع نواحيها الغربية والشمالية والشرقية غرف في الطابق الأول، أما الطابق الثاني ففيه ثلاث غرف تطل على المسجد الأقصى وقاعة فيها درج يؤدي إلى السطح وساحة سماوية صغيرة، ذكرها العمري ووصفها العليمي، وهي من ضمن ما ذكره الرحالة فان برشام في رحلته.

لها نقش على بابها الخارجي من جهاته الثلاث بخط نسخي مملوكي قديم، فيها الوقف وتاريخه وأوقافه التي منها قرية طبرس من قاقون وحمام الملكة من نابلس، وقرية بيرنبالا من القدس، وقرية حجلا من أريحا، وغير ذلك... وذكر فيها أيضاً أن المدرسة موقوفة لتدريس الفقه الشافعي والحديث النبوي والقرآن.

كانت المدرسة في سنة ١٩٤٦ عامرة، وقد اتخذتها مصلحة الوقف مدرسة لتعليم البنات أما بعد دخول الصهاينة للقدس، تحولت من مدرسة ابتدائية إلى مدرسة لتدريب الصم والبكم والمعاقين حركياً، واستولت بلدية القدس على هذا

المبنى الرائع وتعاونت مع جمعية ألوين لتنفيذ هذا البرنامج، ومؤخراً قامت الأوقاف بمنح هذه الجمعية حق البناء على قطعة أرض للوقف الإسلامي في الصوانة لمدة خمسة وعشرين سنة، مقابل أن تقوم البلدية وألوين بإخلاء المدرسة، وقد نفذت المدرسة على أرض الصوانة ولكن.. هل ستخلي البلدية وألوين المدرسة الأثرية أم سنتحسر عليها مثلما تحسرنا على القدس وغزة وسائر فلسطين..؟

وممن درس في المدرسة الدوادارية القاضي برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن قاضي القضاة جمال الدين عبد الله.. بن جماعة الكناني، ولد بالقدس سنة ٨٥٠ هـ، درس بالمدرسة وخطب بالمسجد الأقصى نيابة عن والده، كما ناب عنه في قضايا القدس، وفي أيام الملك الأشرف إينال تولى قضاء القدس في سنة ٨٥٧ هـ، توفي سنة ٨٧٢ هـ، كذلك تولى أمر المدرسة ودرس فيها شرف الدين قاسم بن علم الدين سليمان بن قاسم الحوراني نزيل القدس [٢٦]

٢٧ ـ المدرسة الرشيدية :

تقع قرب باب الساهرة، كانت تعد أحسن مدارس الحكومة في فلسطين، وهي أولية، وكان فيها سنة ١٩٤٧م قسم للدروس الثانوية..

وفي اسمها قولان، أحدهما لأنها بنيت على يد متصرف القدس رشيد بك سنة ١٩٠٦م، زمن السلطان عبد الحميد الثاني العثماني، والآخر أنها بنيت في زمن السلطان محمد رشاد العثماني سنة ١٩٠٨م، ولكنهم حرفوها ونسبوها إلى هارون الرشيد، والأول أرجح [٢٧]

٢٨ ـ المدرسة الرصاصية :

تقع عند ملتقى طريق الواد بطريق. باب الناظر وعقبة التكية، أنشئت في عهد السلطان العثماني سليمان الأول، أنشأها الأمير بايرام جاويش بن مصطفى سنة ٩٤٧ هـ/١٥٤٠م، الذي كان مناظراً لعمارة السور، توفي بالقدس ودفن فيها، ومازالت المدرسة قائمة.

كانت في بداية الأمر رباطاً، وكانوا يسمونه رباط بايرام، ثم صارت مدرسة، وقد اتخذها الأتراك طوال وجودهم في القدس مدرسة لتعليم أبناء القدس التعليم الابتدائي،ممن درس فيها المؤرخ الباحث عارف العارف[٢٨]

٢٩ ـ المدرسة الزمينيّة :

تقع غربي الحرم، فوق الإيوان الذي بباب القطانين، وبابها من داخل الحرم الشريف.

أنشأها الخودجكي الشمسي محمد بن الزمردخان في سنة ٨٨٦ هـ/١٤٨١م، ومنقوش على بابها اسم منشئها وتاريخ إنشائها، لكنها تحولت كمعظم المدارس إلى دور للسكن، حيث كان يسكنها في سنة ١٩٤٦ جماعة من آل العفيفي [٢٩]

٣٠ ـ المدرسة الزمنية :

تقع غربي الحرم، وبابها من داخل الحرم تجاه المدرسة العثمانية فوق الإيوان الكائن بباب القطانين، وعدَّها البعض رباطاً.

أنشأها في سنة ٨٨١ هـ/ ١٤٧٦م التاجر شمس الدين محمد بن عمر بن الزمن الدمشقي المتوفى سنة ٨٩٧ هـ/١٤٩٢م، فقد كان مهتماً بالعلم محباً للعلماء، تعلم على علماء دمشق، فأنشأ عدة مدارس في القاهرة ومكة والمدينة والقدس.

وقد جمعت المدرسة طابعاً مزيجاً من صفات المدرسة وصفات الرباط، فكانت مقراً لإقامة المتصوفة، كما كانت مدرسة لتعليم الفقه والتصوف[٣٠]

٣١ ـ المدرسة السُّلامية :

تقع بباب شرف الأنبياء تجاه المدرسة المعظمية، وبجوار المدرسة الدوادارية من جهة الشمال.

أنشأها الخواجا مجد الدين أبو الفداء إسماعيل السلامي، وذلك في سنة ٧٠٠ هـ/١٣٠٠م، ويرجح بكيرات أنها أنشئت بعد سنة ٧٣٨ هـ، وآلت كغيرها من مدارس العرب والمسلمين، فقد تحولت إلى دار من بعده سكنها كمال الدين أبو البركات [٣١]

٣٢ ـ المدرسة الصامطية :

تقع بوادي الطواحين، قال عنها عارف العارف.. جاء في السجل رقم ٢٤١ الصفحة ٥٣ أنها كانت تقع بوادي الطواحين بالقدس الشريف، وذلك في سنة ١١٧٠ هـ/١٧٥٦م [٣٢]

٣٣ ـ المدرسة الصلاحيَّة :

تقع على بُعد بضعة أمتار من السور الشرقي عند باب الأسباط في أول درب الآلام قبالة الحرم القدسي، كانت كنيسة إما للروم أو للصليبين، ويظنون أن الكنيسة بنيت في مكان بيت حنة والدة السيدة مريم، ثم تحولت هذه المدرسة أيام الأتراك إلى كنيسة عرفت باسم القديسة حنة، ومع ذلك فإن مسيحيي القدس يطلقون عليها اسم كنيسة الصلاحية.

وقد كشفت الآثار في محيطها إلى قدم تاريخها وتنوع الأدوار الذي لعبته منذ عهود سحيقة، لذلك فمن الصعب تتبع تاريخها، فقد كشفت الآثار أن أصل البناء معبد وثني لآلهة الشفاء، وفي القرن الخامس الميلادي بنى البيزنطيون كنيسة فوق المعبد، وخلال الغزو الفارسي لفلسطين والمنطقة دمرت الكنيسة ستة ٦١٤م، وبنى الصليبيون في المكان نفسه كنيسة سنة ١٠٩٩م، وديراً للراهبات، وعندما حرر صلاح الدين الأيوبي القدس من الصليبيين سنة ٥٨٣ هـ/١١٨٧م، أنشأ مدرسة في نفس المكان لتدريس الفقه الشافعي، وجعلها وقفا لفقهاء هذا المذهب ورباطا، واكتسبت المدرسة شهرة كبيرة، وما يزال النقش الموثق لتأسيس المدرسة مثبتاً على بابها، وهو بتاريخ ٥٨٨ هـ/١١٩٢م.

وقد درست بالإضافة للفقه الشافعي المذاهب الأخرى، واستمرت فترة طويلة من الزمن تقوم برسالتها، وذلك خلال العهود الأيوبية والمملوكية والعثمانية، وقصدها طلاب العلم من أقاليم ومدن شتى، ودرسوا على شيوخها الذين تمتعوا بمكانة علمية مرموقة، فنهلوا من علمهم الذي اشتهروا به في الآفاق.

لكن الباحث المؤرخ محمد حسن شراب يؤكد أن الكنيسة محدثة في الإسلام أيام الصليبيين، فلو كانت هذه الكنيسة موجودة قبل الإسلام ما جاز لأحد من المسلمين الاستيلاء عليها، لأن العهد الذي كتبه عمر لأهل القدس، ضمنت للنصارى كنائسهم، فلا عبرة لما ذكره أبو الفداء.

تعرضت المدرسة للخراب بسبب زلزال ضرب القدس سنة ١٨١٢م، وحاولت الحكومة اليونانية إقناع العثمانيين بمنحها لها لإعادتها كنيسة، ولكن العثمانيين الذين رفضوا المطالب اليونانية قدموها طائعين للفرنسيين سنة ١٨٥٥م كنوع من المكافأة لهم، لخوض فرنسا الحرب بجانب العثمانيين ضد الروس في حرب القرم، ومنح نابليون الثالث الذي تسلم المدرسة الصلاحية من السلطان العثماني عبد الحميد للآباء البيض الذين حولوها من مدرسة إسلامية إلى مدرسة إكليركية، وفي سنة ١٩١٤م سيطر جمال باشا على المدرسة وأعادها مدرسة باسم كلية صلاح الدين الأيوبي، لكنها لم تبق كذلك إلا عامين، فبعد هزيمة العثمانيين في الحرب العالمية الأولى، وقعت فلسطين تحت الاحتلال البريطاني سنة ١٩١٧م، فأرجع البريطانيون الصلاحية إلى الآباء البيض، فأعادوها كما كانت في عهدهم مدرسة إكليركية، وأضافوا إليها كنيسة ومتحفاً ومكتبة، في حزيران سنة ١٩٦٧ اختار الجيش الأردني المدرسة مقراً لقيادته، وتعرضت منطقة باب الأسباط التي يوجد فيها المدرسة للقصف، كما أصيب الباب الأوسط الرئيسي للمسجد الأقصى بالقذائف، وكذلك مئذنة باب الأسباط، وتهدمت أجزاء مهمة من المدرسة الصلاحية أو كنيسة القديسة حنة.

تعد المدرسة الصلاحية أعظم معهد علمي في القدس، واستمرت تؤدي رسالتها قروناً طويلة، وكان مشايخها يحتلون درجة في سلم رجالات السلطة في القدس، وقد عرف ممن تولى مشيختها ودرس فيها:

القاضي محيي الدين عمر بن موسى الغزي، تولى أمرها سنة ٦٥٧ هـ/١٢٥٩م، بعد أن كان قاضياً لمدينة غزة والأعمال الساحلية، ثم عزله قاضي الممالك الشامية والحلبية شمس الدين ابن خلكان وعين مكانه الشيخ جمال الدين الباجريقي في سنة ٦٧٩ هـ/١٢٨٠م، ثم استلمها بعده نجم داود الكردي وبقي في عمله هذا حتى وفاته سنة ٧١٢ هـ/١٣١٢م، ثم جاء بعده أحمد بن يحيى بن جهبل الحلبي، ثم علاء الدين علي بن أيوب المقدسي، ومن بعده صلاح الدين خليل بن كيكدي، ثم برهان الدين إبراهيم بن عبد الرحيم بن جماعة خطيب المسجد الأقصى، ثم شمس الدين الجزري.. وغيرهم كثير...

وهكذا نرى أن مشيخة المدرسة الصلاحية كان لا يستلمها إلا كبار العلماء المشهورين والمشهود لهم بتفوقهم في العلوم، كما أن بعض المعيدين فيها تمكنوا من وصولهم لمشيختها.

ومن برنامجها الذي كانت تقوم به المدرسة، أنه كان يدرس فيها القرآن صباحاً وبعد العصر، والفقه يدرس أربع ساعات يومياً، والعبادات ست ساعات، واللغات اختيارية، كما درس المنطق والرياضيات، وكان طلابها يدربون على الرياضة البدنية نصف ساعة يومياً، وكانت تعطى لهم دروس عملية في الهواء الطلق، وكانت النزهة يوم الخميس، وكان تحت شيخ المدرسة أربع قضاة، وعرف أنه درس فيها ثلاثون شيخاً متميزاً.

ومما أوقفه صلاح الدين على هذه المدرسة سوق العطارين أحد أشهر ثلاثة أسواق كانت بالقدس (٣٣)

٣٤ ـ المدرسة الصبيبيَّة :

تقع في الجهة الشمالية من الحرم القدسي الشريف، غربي المدرسة الأسعردية، بينها وبين المدرسة الجاولية.

أنشأها في مطلع القرن التاسع الهجري الأمير علي بن ناصر الدين محمد، نائب قلعة الصبيبية عندما ولي نيابة القدس بعد نيابة نابلس، وأوقف عليها

الأوقاف، وبعدما توفي بدمشق سنة ٨٠٩ هـ/١٤٠٦م نقلوه إلى القدس ودفن بمدرسته. وتعد من المدارس المشهورة بالقدس، وهي تحتل الجزء الشرقي من المدرسة العمرية (المجمع) اليوم، وتشمل القاعة والأبنية أسفلها، وتمتد باتجاه الحرم الشريف فيما يسمى اليوم بالجناح الملكي (الطابق العلوي) والذي جدد في العهد البريطاني على يد المجلس الإسلامي الأعلى، ومازالت القاعة بأبنيتها المتواجدة أسفلها على حالها منذ العهد المملوكي.

استعملت في أواخر العهد المملوكي داراً للنيابة، وفي بداية العهد التركي داراً للحاكم باسم السرايا، ثم جعلت قشلاقا للجيش العثماني.

أيام الانتداب البريطاني استأجرها من الأوقاف الشيخ محمد الصالح، واستعملها مدرسة لتعليم الأولاد باسم روضة المعارف، وبقيت كذلك في سنة ١٩٣٨، ثم استولى عليها البريطانيون وحولوها إلى مركز للشرطة، وبقيت هكذا في سنة ١٩٤٨، ثم صارت مقراً لجيش الإنقاذ العربي، ثم مقراً لقائد القدس الأردني، ثم مقراً لعدة دوائر إدارية في بداية العهد الأردني، وفي سنة ١٩٥٢م عادت مدرسة من جديد، وهناك مؤرخون كتبوا عنها ولم يعينوا موقعها..!

وعرف من مدرسيها الشيخ موسى بن أحمد بن عبد الله بن الصامت القادري الحنفي، وكان مقيماً فيها، توفي سنة ٨٩٨ هـ[٣٤].

٣٥ ـ المدرسة الطولونية :

تقع داخل المسجد فوق القسم الشرقي للرواق الشمالي، يصعد إليها في الدرج الذي يصعد منه إلى منارة الأسباط.

أنشأها شهاب الدين أحمد بن الناصري محمد الطولوني الظاهري، أيام الملك الظاهر برقوق، وذلك على يد مملوكه أقبغاقبل سنة ٨٠٠ هـ/١٣٩٧م، ولم يكتب كتاب وقفها إلا في سنة ٨٢٧ هـ/١٤٢٤م.

شغلت المدرسة دوراً مناسباً بالحركة الثقافية في أيام العهد المملوكي، وكان الذين تولوا مشيختها من أتباع المذهب الشافعي ومن المتصوفة، ومنهم الشيخ تقي الدين أبو بكر بن محمد الطولوني (٧٤٨ ـ ٨٤٣ هـ) وكان من أهل العلم والعمل

ومن أعيان المشايخ، قدم إلى القدس في سنة ٨١٤ هـ، وولي مشيخة الطولونية، كما كان خطه جيداً في غاية الحسن، ومنهم الشيخ شهاب الدين أبو البقاء أحمد الزبيري المصري، قدم القدس في سنة ٨٣٠ هـ/١٤٢٦م، وتوفي بالقدس سنة ٨٥٤ هـ/١٤٥٠م، وقد حضر جنازته نائب السلطنة مبارك شاه.

وعندما بحث عنها عارف العارف ليوثقها لم يعثر عليها، فقد اندثرت[٣٥]

٣٦ ـ المدرسة الطازية :

تقع في طريق باب السلسلة من الشمال، شرقي الكيلانية، تجاه تربة بركة خان، وإلى الغرب من المدرسة الجالقية، ويسميها البعض خطأ التغزية.

أوقفها في سنة ٧٦٣ هـ/١٣٦٢م الأمير طاز من مماليك السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، وهو أحد الأمراء الذين حكموا فلسطين، واستمر حكمه حتى زمن الملك الصالح، وفي زمن السلطان حسن أبعد إلى حلب وهكذا تقلب في عدة مناصب حتى ألقي القبض عليه فسجن وسملت عيناه، ثم نفي إلى القدس، وتوفي بدمشق سنة ٧٦٣ هـ/٣٦٢م ودفن بمقبرة الصوفيين، في سنة وقفه للمدرسة، وعرف عنه أنه كان متزوجاً من ابنتي الناصر محمد، توفيت الأولى سنة ٧٥٠ هـ، ثم تزوج بالثانية سنة ٧٥٢ هـ.

وقد ذكر المدرسة الرحالة الهولندي (فان برشام) فقال: (أنها كانت مدرسة وتربة)، وهي عبارة عن مبنى فيه ثلاث غرف، ولها طابق علوي فيه غرفتان، لكنه تهدم، ولها أوقاف كثيرة منها قرية مينا في صفد ودكان وفرن وطاحون، وكانت تدرس القرآن وعلومه والفقه الشافعي وفروعه.

وذكرها عارف العارف في موسوعته عن القدس فقال... لقد اطلعت في سجلات المحكمة الشرعية بالقدس على وثائق يستدل منها على أنه كان ينتدب للتدريس فيها فطاحل علماء القدس...

وممن درس فيها القاضي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الشيخ زين الدين أبي محمد حامد المقدسي الشافعي (٧٣٢ ـ ٧٨٢ هـ)، ولي التدريس فيها، كما ناب

في الحكم بالقاهرة عن قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة، وخطب بالمسجد الأقصى، وزين الدين بن محمد القرقشندي، كما كان مدرساً بالمدرسة الكريمية والملكية، والشيخ شمس الدين محمد بن عيسى البسطامي الشافعي الشهير بأبي زرع، كان يقرئ الأطفال بالمدرسة الطازية ثم استقر بالخانقاه الصلاحية، توفي سنة ٨٧٥ هـ، ومحمد بن محمد الديري، عين مدرساً فيها سنة ٩٧١ هـ/١٥٦٣م.

وتحولت المدرسة ككثير من المدارس إلى دور للسكن، ففي سنة ١٩٤٦م كان يسكنها جماعة من عائلة هداية [٣٦]

٣٧ ـ المدرسة الطشتمرية :

تقع قبلي الطريق المؤدية إلى باب السلسلة عند ملتقى الطريق المذكورة بطريق حارة الشرف، وعلى بعد ثلاثين متراً من تربة بركة خان إلى الغرب، تطل واجهتها الشمالية على طريق باب السلسلة.

أنشأها الأمير طشتمر العلائي الذي كان ذا مكانة مرموقة في عهد المماليك البحريين، استلم عدة مناصف عالية في مصر والشام، ثم نفي إلى القدس سنة ٧٨٤ هـ، وعاش فيها من غير عمل إلى أن توفي في سنة ٧٨٦ هـ/١٣٨٤م ودفن بجانب مدرسته، كما دفن إلى جانبه ابنه إبراهيم المتوفى سنة ٧٩٥ هـ.

قامت المدرسة بواجبها، وكان فيها كُتَّاب لتعليم الأطفال الأيتام، وكان عددهم كبيراً، لأنها احتوت على خمس قاعات لمبيتهم، كما كان فيها أربع خلوات للمتصوفة.

وهي غير المدرسة التشتمرية التي بناها الأمير تشتمر الناصري سنة ٧٥٩ هـ [٣٧]

٣٨ ـ المدرسة العثمانية :

تقع بباب المتوضأ إلى الغرب من ساحة الحرم، تجاه سبيل قايتباي، وإلى الشمال من المدرسة الأشرفية، فوق الرواق الغربي للمسجد الأقصى الشريف.

أنشأتها وأوقفتها أصفهان شاه خاتون بنت محمود العثمانية سنة ٨٤٠ هـ/١٤٣٧م، وأوقفت عليها أوقافاً كثيرة في بلاد الروم (تركيا العثمانية)، وهي من

أكابر الروم كانت تلقب بـ خانم، ودفنت بتربتها المجاورة للمدرسة. حظيت هذه المدرسة بمكانة عالية في القدس، واستمرت لقرون تشغل دوراً علمياً كبيراً، فقد جاء في كتاب الوقف أن يتولى مشيختها أعلم أهل زمانه، ويذكر العارف أن كتابة منقوشة فوق مدخلها كتبت بالنسخ المملوكي وبأحرف متوسطة، فيها اسم الواقفة وتاريخ الوقف.

وممن درس فيها وتولى أمرها الشيخ سراج الدين بن مسافر الرومي المتوفى سنة ٨٥٦ هـ/ ١٤٥٢م، وقد صرف نفسه عن التدريس فيها تنزهاً لأنه يعتقد أنه ليس أعلم أهل زمانه، والشيخ جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن شرف الدين الرومي المتوفى سنة ٨٨٠ هـ/١٤٧٥م.

ويذكر العارف أنه عرف من خلال السجلات أنه كان من مدرسيها شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن أبي اللطف مفتي الديار القدسية، ثم تنازل عن نصف وظيفته لفخر المدرسين الشيخ إسحاق زيد فضله، ثم تنازل عن النصف الآخر للشيخ طه بن أحمد بن جماعة، وعرف من مدرسيها أيضاً جار الله بن أبي اللطف المقدسي ففي الحنفية بالقدس، وقد توفي سنة ١٠٢٨ هـ/١٦١٨م، ومحمد بن عبد الحق المتوفى سنة ١٠٣٣ هـ/١٦٢٣م، ومحمد بن حافظ الدين المقدسي الذي تولى إفتاء الحنفية بالقدس وتدريس العثمانية في سنة ١٠٥٧ هـ/١٦٤٧م.

وجاء في الضوء اللامع أن المدرسة بنيت خصيصاً للشيخ سراج الدين بن مسافر (الذي مر ذكره) ويذكر عنه أنه وقف معارضاً لابن عربي، وكان يحذر من كلامه تحذيراً شديداً، واعتبر كلامه باطلاً، كما رد عليه وعلى كتبه، وبالمقابل أثنى على ابن تيمية في رده على ابن عربي، وقيل.. وبسببه هذا صُرف عن التدريس من العثمانية لابن السيدة الواقفة الذي كان يقف موقفاً مؤيداً لابن عربي، ولكنه لم يكترث لهذا الإعفاء فقد بقي مشتغلاً بالعلم والتدريس والإفادة لأبناء بيت المقدس حتى وفاته.

وبعد أن سكن المدرسة جماعة من عائلة الفتياني، احتلها الصهاينة وقاموا بالحفر أسفلها، مما أدى إلى تصدعها.. [٣٨]

٣٩ـ المدرسة العمرية (مجمع علمي) :

تقع في الرواق الشمالي للحرم القدسي الشريف، على مقربة من باب الغوانمة، وتمتد إلى المدرسة الأسعردية شرقاً، ويحدها من الجنوب الحرم القدسي ومن الشمال الطريق العام المسمى بطريق المجاهدين أو السرايا القديم، كما يحدها من الغرب الطريق المؤدي إلى الحرم والمعروف بطريق الغوانمة، ومن الشرق حاكورة تابعة للمدرسة الملكية، وسميت بالعمرية تيمناً بالفتح العمري، كما تعتبر جزءاً من المسجد الأقصى المبارك.

وهي مجمع يتألف من ثلاثة مدارس مملوكية وهي (المحدثية والصبيبية والجاولية) إضافة إلى عدد من الغرف والزوايا التي كانت قائمة في عهود سابقة، كما استعملت الصبيبية والجاولية سكناً لنواب القدس، ومقراً للحكم العثماني، ثم مدرسة باسم روضة المعارف، ثم مقراً لشرطة الاحتلال البريطاني، ثم اتخذها المجاهدون مقراً للجهاد المقدس، ثم مقراً لقائد القدس الأردني، ثم مدرسة.

وعندما احتل الصهاينة القدس والمسجد الأقصى ١٩٦٧ استولوا على كامل هذا المجمع الذي تبلغ مساحته أكثر من أربع دونمات، ووضعوه تحت تصرف بلدية القدس الصهيونية، وخلعوا لوحة صلاح الدين التي كانت على مدخل العمرية، وفي عام ١٩٨٢ دخل غولمان من باب الغوانمة الذي بجوارها ونفذ عملية مسلحة في قبة الصخرة، وجرت عدة محاولات لإيذاء المسجد الأقصى والمصلين منذ عام ١٩٨٥، كما تم فتح بوابة لنفق ما يسمى «الحشمونائيم» والذي يمتد بطول السور الغربي للمسجد الأقصى بدءاً من حائط البراق، والذي افتتحه الصهاينة عام ١٩٩٦ من بوابتها تماماً، وأصبحت المدرسة بذلك مركزاً لتحويل هذا النفق باتجاه الشرق حيث يوجد نفق آخر يمتد من تحتها إلى موقف السيارات في باب الأسباط كما يعتقد بوجود نفق ثالث تحت المدرسة العمرية يربطها بقبة الصخرة المشرفة (الواقعة في قلب المسجد الأقصى) ويخشى من استخدامه للسيطرة على الصخرة المشرفة خاصة وأن اليهود يزعمون أنها (قدس الأقداس) في هيكلهم المزعوم، كذلك تستخدم قوات الاحتلال أجزاء من المدرسة العمرية لمراقبة ما يجري في المسجد الأقصى، وأحياناً لاستهداف المصلين وإطلاق النار

عليهم، خاصة في أوقات الاضطرابات، هذا وقد تم إحراق باب الغوانمة أكثر من مرة، وأجرت حكومة المحتل عمليات ترميم في باب الأسباط بحجة التطوير، فوضعوا ما يريدونه مما يتناسب مع تصميم الهيكل الذي يريدون بناءه مكان الأقصى الشريف، كما تم خلع الرخامة التي كانت موجودة على باب الأسباط وتحمل اسم شارع المجاهدين، ووضعت مكانها اسم غورو القائد اليهودي الذي دخل القدس .

٤٠ـ المدرسة الغادرية (القادرية) :

تقع بين باب حطة من الغرب والمئذنة الشرقية من الشرق وباب الأسباط بالرواق الشمالي بداخل حرم المسجد الأقصى، وتسمى القادرية.

أنشأتها مصر خاتون زوجة الأمير ناصر الدين محمد بن دلفادر، وذلك أيام السلطان الأشرف بارسباي في سنة ٨٣٦هـ/ ١٤٣٣م وقام زوجها بكتابة محضر وقف من ممتلكاته وأمواله في سنة ٩٩٧هـ، في سنة ٩٧١ه/ ١٥٦٣م كان لها إمام وبواب وخادم، ثم صارت خربة تحفظ فيها نعوش الأموات، رممتها دائرة الأوقاف الإسلامية وجعلتها مكاتب لها.

درس فيها ثلة من كبار علماء المقدس، مما يدل على دورها الكبير في الحركة العلمية في القدس، وكان منهم الشيخ شمس الدين محمد بن محمد المقدسي، والشيخ أبو الأسباط يعقوب بن يوسف الرومي، والشيخ محمد بن خليفة المغربي المالكي (٨٠١ ـ ٨٧٢هـ) درس فيها بعد وفاة والده.

ويذكر عارف العارف في موسوعته أنه قرأ على واجهتها بالخط النسخي المملوكي (بعضه يقرأ والبعض الآخر لا يقرأ) ومما يقرأ.. أنشأ هذه المدرسة المباركة الدر المصونة مصر خاتون زوجة الأمير ناصر الدين محمد بن القادر.. سنة ٨٣٦هـ.

وقال: قرأت في السجلات أنه كان لها في سنة ٩٧١هـ/ ١٥٦٣م إمام وبواب وفراش، ولها خان بباب القطانين ودكاكين... أما اليوم (سنة ١٩٤٦) فهي خاوية على عروشها تحفظ فيها نعوش الأموات، ومما ذكره العارف أن فخر المدرسين

الكرام حسن أفندي المرعشلي حصل على إذن من القاضي بتعميرها، فعمرها بمبلغ قدره ١٩ قرشاً و ٢٦ قطعة مصرية، وذلك حسب السجل رقم ٢١٣ السنة ١١٣٠هـ[٤٠].

٤١ـ المدرسة الفخرية :

تقع بجوار جامع المغاربة، على بعد مئتي متر تقريباً من المسجد الأقصى إلى الغرب، وبابها من داخل المسجد عند الباب الذي يخرج منه إلى حارة المغاربة.

أوقفها القاضي فخر الدين أبو عبد الله محمد بن فضل ناظر الجيوش الإسلامية، المتوفى سنة ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م.

كانت المدرسة في القرن العاشر الهجري ما تزال مدرسة، أما بعد سنة ١٩٦٠ كان يسكنها جماعة من عائلة أبي السعود، وما زال جانب منها زاوية وجامعاً، طبعاً غير جامع مع المغاربة، لكن في سنة ١٩٦٧ بعد احتلال الصهاينة لكامل القدس دمروها وأزالوها مع حارة المغاربة الملاصق لحائط البراق، كما تم هدم ١٣٥ من منازلها ومسجدين، وممن درس فيها الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد بن محمد بن حامد الأنصاري المقدسي(٨٠٧ ـ ٩٧٤هـ) والشيخ بهاء الدين بن حامد وقد كان شيخاً للمدرسة في سنة ٩٣٧هـ/ ١٥٣٠م وذلك بتعيين من السلطان، وفي سنة ٩٧١هـ/ ١٥٦٣م عين شيخاً لها الشيخ محمود الديري[٤١].

٤٢ـ المدرسة الفارسية :

تقع بجانب القسم الأول من الرواق الشمالي للمسجد الأقصى، هذا القسم الذي بني ما بين سنة ٦١٠ ـ ٧٦٠هـ/ ١٢١٣ ـ ١٣٥٨م أيام السلطان الأيوبي الملك المعظم يحيى حسب ما ورد في النقش التذكاري الموجود قرب باب العتم، وبقية هذا الرواق بني على عدة مراحل خلال العهد المملوكي، وبين فيه وفوقه مجموعة من المدارس المملوكية، مما أكسبته رونقاً وجمالاً من خلال واجهاتها المعمارية، ومنها المدرسة الفارسية التي تقع ما بين المدرسة الأمينية شرقاً والمدرسة الملكية غرباً وذكرها العليمي فقال... من المدارس الواقعة في شمال الحرم، عند المكان

الذي تجلس فيه النساء بالقرب من بئر الورقة والحاكورة التي بلصق المسجد، والتي تعرف بحاكورة الفارسية.

أنشأها الأمير فارس البكي بن الأمير قطلو ملك بن عبد الله نائب السلطنة بالأعمال الساحلية والجبلية ونائب غزة، وذلك في ٣ شعبان سنة ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م، وقد أكد ذلك عارف العارف فذكر أن السجلات التي عثر عليها في المتحف الفلسطيني بالقدس ذكرت ذلك، كان فيها زمن العليمي المتوفى سنة ٩٢٧هـ مكتبة المسجد الأقصى.

ومبنى المدرسة يتألف من طابق واحد فوق الرواق الشمالي يتكون من ثلاث غرف مربعة الشكل تقريباً، وممتدة على صف واحد من الغرب إلى الشرق، إضافة إلى الساحة المكشوفة الصغيرة الواقعة خلف الغرف المذكورة والمحاطة بغرفتين صغيرتين من الجهة الغربية، ولم يبق من معالم المدرسة الفارسية الأصلية شيء يؤكد عمارتها التي كانت تتمتع بها، فالبناء الأصلي تهدم بزلزال لم يذكر تاريخه، مما جعل العثمانيين يعيدون بناءها بالشكل التي هي عليه اليوم، وتشير السجلات الوقفية إلى استمرارية استخدام المبنى كمدرسة وسكن لشيوخها بنفس الوقت في فترة الحكم العثماني، وتعد من أهم المعاهد العلمية التي ساهمت في دفع النهضة العلمية والحضارية في القدس كما أكد العسلي في حديثه عنها، ويسكنها اليوم جماعة من آل العوري بعدما استأجروها من دائرة الأوقاف الإسلامية، أما أوقافها الكثيرة فلا يعلم أحد ما حلَّ بها.

وعرف من العلماء الذين درسوا فيها الشيخ زين الدين أبو زيد عبد الرحمن بن عمر القباني المقدسي (٧٤٩ ـ ٨٣٨هـ) والشيخ طه بن صالح المكنى بأبي الرضا بن يحيى المتوفى سنة ١٠٧١ه/ ١٦٦١م والشيخ فتح الله بن طه الخالدي الذي عين فيها في سنة ١٠٧٧هـ/ والشيخ موسى بن محمود الخالدي الذي درس فيها سنة ١١٢٤هـ(٤٢).

٤٣ــ المدرسة الفنرية :

تقع فوق القسم الشرقي من الرواق الشمالي للمسجد الأقصى، مقابل المدرسة الطولونية، يصعد إليها من السلم الموصل إلى منارة الأسباط.

أنشأها شهاب الدين الطولوني مع مدرسته الطولونية، وجعلها للملك الظاهر برقوق، فلما توفي برقوق وآل الأمر لولده الملك الناصر فرج، رتب لها قرى وأقام نظامها وجعل لها معاليم تصرف، فلما توفيت أخته خوند سارة ابنة الملك الظاهر برقوق وزوجة توروز نائب الشام دفنت بها سنة ٨١٥هـ، ولما توفي الناصر فرج لم يكن لها كتاب وقف، فاشتراها رجل من الروم يقال له محمد شاه الفنري، فوقفها ونسبت إليه وسميت الفنرية، ويذكر مجير الدين الحنبلي أن الذي باعهاولد منشئها (ابن الطولوني) وبقيت المدرسة قائمة حتى أوائل الحكم العثماني سنة ٩٣٦هـ، ولكنها درست مع الزمن، وحولت إلى مساكن للناس، وهكذا مال الوقف إذا لم يوجد من يحافظ عليه يصير ملكاً لكل معتدٍ.

والفنري كان من أشهر علماء الدولة العثمانية، تعلم في القاهرة، ثم عاد إلى بلاده فتولى قضاء بروسيا، وجمع ثروة كبيرة لقربه من الحكام، وذهب إلى الحج أكثر من مرة، ولدى زيارته للقدس اشترى هذه المدرسة ووقفها، وقد تولى التدريس فيها بعض الوقت، ثم عاد إلى بلاده وتوفي سنة ٨٣٤هـ/ ١٤٣١م.

وممن تولى التدريس فيها شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمود الحنفي المتوفى سنة ٩٩٦هـ/ كما تولى أمرها في العهد العثماني شهاب الدين أحمد بن أحمد الباجي الأنطاكي المعروف بابن كلف، ودرس فيها الشيخ علي بن محمد المشهور بقرا علي العجمي الحنفي[٤٣].

٤٤ـ المدرسة القشتمرية :

تقع بباب الناظر، أوقفها الأمير قشتمر السيفي في سنة ٧٥٩هـ [٤٤]

٤٥ـ المدرسة القرقشنديَّة:

كانت تقع شمالي المسجد الأقصى ملاصقة لباب المسجد، كما ذكرها عبد الغني النابلسي في رحلته، وذكر أن فيها قبر الشيخ القرقشندي[٤٥]

٤٦ـ المدرسة الكيلانية :

تقع في الناحية الشمالية لطريق باب السلسلة غربي المدرسة الطازية مقابل المكتبة الخالدية، يحيط بها أبنية قديمة من ثلاث جهات والشارع من جهتها الرابعة.

أنشأها شرف الدولة محمد حكمت لا هيجان ورونكة، وأصلهم من إقليم جيلان قرب بحر قزوين، كان أبوهما بهلوان أحد أفراد سلالة ناصر قائد اللهجية.

وتم إنشاء المدرسة في سنة ٧٥٣هـ، ويذكر مجير الدين العليمي أنه لا يوجد أية نقوش على بوابة المدرسة لكن الحاج جمال الدين بهلوان ابن الأمير شمس الدين قرداشة بن شمس الدين محمد الكيلاني اللاهمي المشهور بابن الصاحب كيلان، قد أوصى أن يدفن في هذه المدرسة، وتاريخ وصيته في سنة ٧٥٣هـ، فعمرت التربة وبها ضريحه كما أوصى.

والمدرسة عبارة عن مبنى يشبه مدخله مدخل باب القطانين تعلوه المقرنصات المملوكية، ويتخلله مدخل إلى المبنى الذي ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

ـ غرفتان مقببتان لقبور قرب الشارع تنفصلان عن بعضهما بمدخل ودهليز، ويعلو هذا كله غرفة مقببة، في الغرفة الشرقية قبر على الغالب هو لجمال الدين.

ـ ساحة سماوية في الوسط.

ـ قاعة معقودة في الزاوية الشمالية الغربية وفوقها قاعة أخرى.

وقد اشتهرت المدرسة بتدريس القرآن الكريم، وعرف من مدرسيها فضل الله بن نضيةالذي عين مدرساً فيها عام ١١٢٩هـ، ومنذ عام ١١٥٦هـ تركزت التعينيات في عائلة آل الداوودي، ومن بعدهم استلمتها عائلة الأنصاري.

وحال المدرسة اليوم لا يختلف كثيراً عن حال معظم مدارس القدس، فقد تحولت إلى دور للسكن، مما أدى إلى تغيير في أوصافها، وبوابتها بقيت كما هي يشاهدها المار والداخل إلى الأقصى من باب السلسلة[٤٦].

٤٧ـ المدرسة الكريمية :

تقع بباب حطة ملاصقة للباب من الشرق، شمال المسجد الأقصى، مقابل المدرسة الأوحدية، يحدها اليوم كراج الأوقاف من الشرق، وغرباً ممر ومدخل المشاة إلى باب حطة، وجنوباً ساحات الحرم الشريف، وبعض المباني الجديدة من الشمال، وهي من جملة مدارس رواق الحرم الشمالي.

أنشأها الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن المعلم هبة الله بن مكانس ناظر الخواص الشريفة السلطانية، ولد سنة ٦٤٥هـ/ ١٢٥٦م، وكان يعرف بأكرم أبو الفضائل، زار القدس مع السلطان الناصر محمد في سنة ٧١٧هـ، وبنى هذه المدرسة في سنة ٧١٨هـ/ ١٣١٩م، ثم زار دمشق وبنى فيها مسجداً، دفن بمصر سنة ٧٢٤هـ/ ١٣٢٤م.

تتألف المدرسة من طابقين، السفلي فيه خمس غرف، والعلوي كذلك فيه خمس غرف، لكن حصلت ترميمات على البناء في العهد العثماني، وهي حالياً عبارة عن رواق ممتد من الشرق إلى الغرب على ظهر رواق الحرم، فيه ساحة مكشوفة في وسط الغرف، والبناء السفلي تحول إلى متوضأ في باب حطة، والعلوي تسكنه عائلة مقدسية، فصار السكن يعرف بدار جار الله وهم من سكنوه.

وأول من درس فيها أبو عبد الله بن محمد بن مثبت الغرناطي، الذي غادر الأندلس إلى تونس ثم توجه إلى مكة حاجاً وقدم القدس زائراً سنة إنشاء المدرسة فتولى مشيختها، فدرس فيها الفقه المالكي وعدة علوم أخرى، ولما زار ابن بطوطة القدس سنة ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م عرفه فذكره بين فضلاء القدس، وبقي شيخاً للمدرسة حتى وفاته سنة ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م.

ثم درس فيها بعده صلاح الدين خليل بن كيكلدي وجمع بين مشيختها ومشيخة المدرسة الصلاحية، كما درس فيها زين الدين أبو هريرة عبد الرحمن القرقشندي الذي جمع بين مشيختها والإعادة في الصلاحية، وعلاء الدين بن عبد الرحيم القرقشندي، وجار الله المعروف بأبي اللطف الذي كان مدرساً للحنفية[٤٧].

٤٨ ـ المدرسة الكاملية :

تقع بخط باب حطة بجوار المدرسة الكريمية من جهة الشمال، أنشأها وأوقفها رجل يدعى الحاج كامل من أهل طرابلس الشام، ولم يكتب لها كتاب وقف، إنما كتب محضراً بوقفها في سنة ٨١٦هـ/ ١٤١٣م، في أيام السلطان الملك المؤيد شيخ المحمودي.

ومن مشايخها جار الله اللطفي، فقد كان متولياً عليها في سنة ١١٧٥هـ/ ١٧٦١م، وهي مسكونة من قبل عائلة جار الله، ويشغلون أوقافها(٤٨).

٤٩ـ المدرسة اللؤلؤية :

تقع بخط مرزبان بجوار حمام علاء الدين البصير من جهة الشمال، أنشأها وأوقفها الأمير لؤلؤ غازي عتيق الملك الأشرف شعبان بن حسن، المتوفى سنة ٧٨٧هـ/ ١٣٨٥م، وكانت المدرسة قائمة في سنة ٧٨١ و ١٣٧٩م، أما اليوم فهي عامرة بالسكان، فقد حل بها ما حل بغيرها من مدارس القدس وباقي البلاد العربية والإسلامية(٤٩).

٥٠ـ المدرسة الميمونية :

تقع عند باب الساهرة، على بعد مئتي متر من السور في داخل المدينة، (وباب الساهرة من أبواب سور مدينة القدس القديمة، ويقع إلى الجانب الشمالي من سور القدس، ويرقى إلى عهد السلطان العثماني سليمان القانوني، ويسمى عند الغربيين باب هيرودوس، وباب مدلين، وباب جب أرميا ذكره المقدسي في أواخر القرن العاشر الميلادي بالساهرة، أما جب أرميا فهو من الإسرائيليات، فإرميا نبي عند اليهود، لا نعترف بوجوده كما ذكر الباحث شُرّاب).

وبناء المدرسة قديم، عرف ككنيسة للروم، وقيل للسريان، وكانوا يسمونها (دير المجدلية) وقد اتخذها أسقف السريان خورلس الثالث مقراً له، وأثبت ذلك العارف في وقفية عثر عليها في دير السريان ورقمها ١٢٣، وتاريخها يعود إلى سنة ٧٥٠م.

وبقيت الكنيسة عند الفتح العمري للقدس، ولا يعلم كيف ومتى انتقلت إلى يد المسلمين، ولكن علم اليقين أن الأمير فارس الدين أبا سعيد ميمون ابن عبد الله القصري خازندار السلطان صلاح الدين الأيوبي هو من أوقفها في سنة ٥٩٣هـ/ ١١٩٦م.

جعلت في بداية الأمر زاوية، ثم صارت مدرسة للشافعية، وفي أيام مجير الدين كانت المدرسة مهملة، لكن عارف العارف عثر على بعض السجلات أنه كان فيها بالقرن الثاني عشر الهجري ناظر ووقف، وأن الحاكم الشرعي أمر كُلاً من حسن بك ومحمد آغا وقاسم آغا أولاد طوقان زاده في ثلث وظيفة التولية على المدرسة الميمونة بالقدس، وذلك براتب قدره خمسة عثامنة (العملة الرائجة في ذلك العصر) في كل يوم، عوضاً عن تاج الدين بن حسن أفندي الجاعوني وبدر الدين الجاعوني بحكم فراغهما لهم، وعوض للفارغين نظير فراغهما لهم عن ذلك ٣٦٠ زولطة مقبوضة، وكان ذلك بتاريخ ١١٧٥هـ/ ١٧٦١م.

ويفهم من هذا الكلام أنها تعطلت فترة ثم عادت لنشاطها التعليمي، ثم تعطلت وصار جانب منها مزبلة، كما اعتدي على بعض أجزائها، وفي سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م اتخذها الأتراك مدرسة باسم (قدس شريف مكتب إعداد يسي)، وسميت بالمأمونية، وينسبها البعض إلى المأمون خطأ وجهلا، وبعد دخول الإنكليز القدس جعلت مدرسة للبنات تتبع لمصلحة المعارف العامة[٥٠].

٥١ـ المدرسة المنجكيَّة :

تقع في طرف الحرم من الناحية الغربية إلى الشمال من باب الناظر، فوق الرواق الغربي للمسجد الأقصى، أنشأها الأمير سيف الدين منجك سنة ٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م وسميت باسمه، بعد ما كان البناء باسم السلطان الملك الناصر حسن، فلما قتل في سنة ٧٦٢هـ، بناها لنفسه كما ذكر مجير الدين الحنبلي وغيره، وأوقف عليها ورتب لها الفقهاء، وأرباب الوظائف.. إلى أن تلاشت أحوالها في أيام مجير الدين الحنبلي. وقد وصفها الرحالة (فان برشام) فقال.. (كان لها بهو كبير، وللبهو قوسان مفتوحان ومطلان على الحرم، وواجهة القوسين من حجارة حمراء وبيضاء (أبلق) وفوق القوسين قبة).

كان للمدرسة أملاك كثيرة موقوفة، وكان لها ناظر يدير أمورها، وجاب يجبي أوقافها، وقراء يقرؤون القرآن فيها ويعلمون بأجر معلوم، وكثيراً ما كان قاضي القدس يتولى التدريس فيها بنفسه، ولا غرابة في ذلك فإنه كان المرجع الذي كان يرجع إليه في جميع شؤون المدرسة.

ساهمت المدرسة كغيرها بالحركة العلمية في موضوعات الفقه الحنفي والحديث والقرآن، لكنها تلاشت أحوالها قبل نهاية العهد المملوكي.

وممن درس فيها قاضي القضاة شيخ الإسلام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن جمال الدين الديري الخالدي الحنفي (٧٥٠هـ/ ٨٢٧هـ) كان يدرس بالمعظمية أيضاً، ودرس فيها قاضي القضاة وشيخ الإسلام سعد الدين أبو السعادات الخالدي (٧٦٨ ـ ٨٦٧هـ) كما تولى المعظمية أيضاً، وفي سنة ٩٧١هـ/ ١٥٦٣م عين القاضي حسام الدين الحنفي الشيخ محمود قارئاً فيها بأجر يومي قدره عثماني واحد.

بعدما تلاشى أمر المدرسة مع الزمن، عمرت من جديد واستعملت في أوائل الاحتلال البريطاني سنة ١٩١٧م، مدرسة ابتدائية، ثم صارت داراً للسكن، ولما تأسس المجلس الإسلامي الأعلى ضبطها واتخذها مقراً له، وضم إليها الدار المجاورة لها، والتي كانت تعرف فيما مضى بالمدرسة الحسنية[٥١].

٥٢ـ المدرسة المزهرية :

تقع في الجهة الغربية من ساحة الحرم بباب الحديد تجاه المدرسة الجوهرية، وبعضها راكب على ظهر المدرسة الأرغونية، ولها مجمع على أروقة المسجد. أنشأها في سنة ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م المقر الزيني أبو بكر بن محمد بن مزهر الأنصاري الشافعي، صاحب ديوان الإنشاء بالديار المصرية، أيام السلطان الأشرف قايتباي، طلب ابن مزهر العلم في مصر، ثم تولى ديوان الإنشاء، وساهم في بناء المدارس وغير ذلك من المنشآت، زار القدس أكثر من مرة، كما أقام فيها بعض الوقت، ويذكر المؤرخون أنه حضر إلى جهة نابلس في سنة وفاته لتجهيز الرجال لتجريد ابن عثمان، فقصد الحضور إلى بيت المقدس للزيارة ولرؤية

مدرسته، فحصل له توعك في شهر رجب، فتوجه إلى القاهرة، ولم يقدر على الرجوع إلى القدس حيث توفي في يوم الخميس ٦ رمضان سنة ٨٩٣هـ، كما يرجح البعض أنه تولى التدريس في مدرسته لمكانته العلمية العالية، ثم اختار لها خيرة العلماء.

أما حال المدرسة.. يحدثنا عنها عارف العارف فيقول.. في سنة ١٩٤٦ كان جانب منها خراباً، وأما الجانب الآخر فقد كان عامراً حيث حول إلى سكن، فأقام فيه جماعة من آل الشعباني، مع أنها تحت إشراف مصلحة الوقف[٥٢].

٥٣ـ المدرسة الموصلية :

تقع بباب شرف الأنبياء بجوار المسجد الأقصى.

أنشأها عبد الله أبي بكر تقي الدين، ولد بالموصل في العراق سنة ٧٣٤هـ/ ١٣٣١م، وتعلم فيها صغيراً، ثم قدم دمشق وسلك طرق الصوفية، وعلا ذكره فصار يدرس بالجامع الأموي ويفتي على المذاهب الأربعة، ثم رحل إلى القدس سنة ٧٩٦هـ واشترى كرماً وبنى فيها خلوة أضحت فيما بعد مدرسة تعرف بالمدرسة الموصلية، وكان قد أوقفها على الشيخ (أبو بكر بن علي الشيباني) توفي بالقدس سنة ٧٩٧هـ/ ١٣٩٥م، بعد أن ترك حوالي خمسين مؤلفاً، وممن درس فيها الشيباني وابنه عبد الملك.

ويقول عارف العارف.. جاء في سجلات المحكمة الشرعية رقم ٢٤٤ (أن السيد جار الله اللطفي كان مدرسها ومتولي أوقافها في سنة ١١٧٥هـ/ ١٧٦١م، كما ذكرت الوثائق والسجلات أنه كان يتقاضى على ذلك راتباً قدره عشر عثمانيات)[٥٣].

٥٤ـ المدرسة الملكية :

وتعرف بمدرسة (الجوكندار) تقع شمالي الحرم القدسي بين المدرسة الفارسية من الشرق والمدرسة الأسعردية من الغرب، كما تعرف بالمدرسة الأملكية .

أنشأها الأمير سيف الدين الحاج أل ملك الجوكندار سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م، أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وذلك خلال سلطنته الثالثة، وكان واقف المدرسة من رجالات الدولة حيث شغل مناصب متعددة.

ويتألف مبناها من طابقين، الأول عبارة عن قاعة رئيسية تقع في الجهة الجنوبية من المبنى، وغرفة الضريح المدفون فيه جثمان زوجة الأمير آل ملك الجوكندار، والغرف الصغيرة المحيطة بالساحة المكشوفة، والطابق الثاني يتكون من عدد من الغرف الصغيرة والكبيرة والتي أضيفت في العهد العثماني المتأخر على يدي ساكني المدرسة من أل الخطيب، وذلك لتوسعة المبنى ليتناسب واحتياجات قاطنية.

وتمثل عمارة المدرسة متحفاً للعمارة المملوكية في القدس، حيث اشتملت على معظم العناصر المعمارية المملوكية، من الأبلق والمقرنصات المزخرفة والرنوك.

وقد أوقفت ملك بنت السيفي قلطقتم الناصرية زوجة باني المدرسة أموال لازمة تصرف على المدرسة من أموالها الخاصة، وذلك حسب ما جاء في وقفيتها المؤرخة في سنة ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م، وقد أثبتها مجير الدين في الأنس الجليل، كما قامت بعمل وقفية أخرى في سنة ٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م، ومما أوقفته خان الحبالين بمدينة غزة وجميع الحوانيت السبع الملاصقة للخان.

وبقيت المدرسة الملكية تقوم بدورها الحضاري كمعهد من معاهد العلم في الحرم الشريف بالقدس حتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري.

وممن درس فيها الإمام سراج الدين الحنبلي المتوفى ٧٥٥هـ/ وشرف الدين القرقشندي المقدسي المتوفى سنة ٨٣٦هـ، وقاضي القضاة جمال الدين الأنصاري المالكي المتوفى سنة ٨٥٠هـ، وعلي بن حبيب الله المتوفى سنة ١١٤٤هـ(٥٤).

٥٥ـ المدرسة المنصورية :

تقع في سفح جبل الطور (الزيتون)،وهي وقف إسلامي تنسب إلى الملك المنصور قلاوون الألفي الملك السابع من سلاطين دولة المماليك، وهي اليوم خربة فيها بئر ماء وجامع وساحة سماوية مربعة(٥٥).

٥٦ـ المدرسة المعظمية (الحنفية) :

تقع عند باب المسجد الأقصى المعروف بباب الدوادارية أو باب العتم أو باب شرف الأنبياء، تعد ثاني أهم مدرسة بعد المدرسة الصلاحية، كما أنها من أكبر المدارس حجماً ودورا.

أنشأها الملك المعظم عيسى الأيوبي سنة ٦١٤هـ/ ١٢١٧م، وأوقفها على الفقهاء والمتفقهة من أصحاب أبي حنيفة، يذكر عارف العارف المدرسة فيقول.. دخلتها في يوم ٢٠ شباط سنة ١٩٤٧ فرأيت الخراب مهيمناً على الجانب الأكبر منها، وقد احتكر جانباً منها رجل من الخليل يدعى محمد دعسان، وقرأت على رخامة كانت ما تزال مثبتة في جدارها القبلي من الداخل كلمات بالنسخ الأيوبي الجميل وهي (أمر بعمله مولانا السلطان الملك المعظم شرف الدنيا والدين أبو العزائم عيسى ابن أبي بكر بن أيوب الواقف لهذه المدرسة على الفقهاء والمتفقهين من أصحاب الإمام الأعظم أبي حنيفة وتاريخ الوقف ٦١٤هـ/ ١٢١٧م. وعلى الوجه القبلي من حائط المنارة رخامة نقش عليها بالنسخ الأيوبي والمملوكي القديم وبأحرف صغيرة (أمر بعمارة هذه المئذنة المباركة الملك القاهر الناظر بهذه المدرسة... والده الواقف السلطان الملك المعظم شرف الدين عيسى.. في شهور سنة ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م).

وقد أوقف عليها أوقافاً عظيمة، منها عدة قرى، لكنها اغتصبت وصارت بأيدي الناس إقطاعاً وملكا وقد دفن فيها القاضي شمس الدين محمد بن الصلاح محمد الحموي الشافعي الأديب النحوي (٨٠٨ ـ ٨٥٣هـ).

ومن مدرسيها الكبار الشيخ كمال الدين إسماعيل الشربجي، درس فيها الفقه الحنفي والقراءات والتفسير وعلوم العربية، توفي سنة ٧٨٥هـ/ ١٣٩٣م، والشيخ

كريم الدين عبد الكريم القرماني، وقاضي القضاة الإمام خير الدين أبو المواهب خليل بن عيسى البابرني المتوفى سنة ٨٠١هـ، ١٣٩٩م، وتولاها بعده قاضي القضاة علاء الدين أبو الحسن علي بن عيسى بن الرصاص، المتوفى سنة ٨٠٣هـ/ ١٤٠١م، ثم تولاها قاضي القضاة محمد بن عبد الله الديري الذي طلب العلم في دمشق والقاهرة، كما كان شيخ المدرسة المنجكية في نفس الوقت، وعرف من تلامذته ابن حجر العسقلاني، وكان له دور في الحياة الاجتماعية والسياسية، حيث كان يقف في وجه أمراء المماليك الظالمين، وشيخ الإسلام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الديري العبسي المتوفى بالقدس سنة ٨٤٩هـ، وقاضي القضاة محمد بن خير الدين البايرني المتوفى سنة ٨٥٥هـ، والقاضي عبد الرحمن بن محمد الديري الحنفي المتوفى بالقدس سنة ٨٥٦هـ، وغيرهم كثير من أئمة الفقه الحنفي[٥٦].

٥٧ـ المدرسة المحدثية :

تقع عند قبو باب الغوانمة، بالقرب من المدرسة الوجيهية، وتبدأ من الزاوية الغربية بجانب المئذنة (باب الغوانمة).

أنشأها وأوقفها رجل من أهل العلم كان محدثاً واسمه عز الدين أبو محمد عبد العزيز العجمي الأردبيلي سنة ٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م.

والمدرسة عبارة عن طابقين في كل طابق خمسة غرف، وفي الطابق السفلي مسجد بمساحة ١٠م × ٥م، وهي تشرف على الحرم الشريف، ولها درج يؤدي إلى الحرم، لكنه أغلق مؤخراً، حيث حولت المدرسة في فترة سابقة إلى ثكنة عسكرية، وفي موسوعة المفصل للعارف أنها صارت حوالي سنة ١٩٥١ قسماً من كلية روضة المعارف الوطنية، كما بقي قسم منها يقطنه جماعة من آل الشهابي، أما شرَّاب فيذكر في موسوعته بيت المقدس أن ساكني المدرسة قد استأجروها ويؤكد أن معنى ذلك أن سكانها يعترفون بأنها ملك الأوقاف ولا يحق لهم بيعها، بخلاف من يسكنون الوقف ولا يعترفون بوقفيته[٥٧].

٥٨ـ المدرسة المهمارية :

كانت تقع بباب حطة.

قال عنها عارف العارف مؤرخ القدس.. كل ما نعرفه عنها أنها كانت بباب حطة، وذلك حسب السجل رقم ٢١٣ السنة ١١٣٠هـ، وأنها كانت بتصرف الشيخ زين بن المرحوم علاء الدين إمام قلعة البرك... ولعلها تكون من المدارس التي دُرست فلم يبق لها أثر (٥٨).

٥٩ـ المدرسة المالكية :

لم أعثر على معلومات عنها، إنما عثرت في كتاب أعلام فلسطين لحمادة ما يلي: (وممن درس بالمدرسة المالكية بالقدس الشيخ خليفة بن مسعود الجابري المالكي، ولد سنة ٧٤٩هـ ولي مشيخة المغاربة بالقدس وإمامة المالكية بالمسجد الأقصى، توفي سنة ٨٣٣هـ، ودرس فيها أيضاً قاضي القضاة جمال الدين عبد الله الهلالي الأنصاري المالكي، المشهور بابن الشحاذة، وهو أول من ولي قضاء المالكية استقلالا بالقدس الشريف، كان من أهل العلم مدرساً بالمدرسة المالكية بالقدس، توفي سنة ٨٥٠هـ، والشيخ عيسى بن عمر الحسيني المغربي الشيخي، ولي مشيخة المغاربة بالقدس، توفي سنة ٨٩٧هـ (٥٩).

٦٠ـ المدرسة النحوية :

وتعرف بالقبة النحوية، وهي جامعة متخصصة في علوم اللغة العربية، تقع في أقصى الطرف الجنوبي الغربي من صحن الصخرة، باتجاه القبلة إلى الغرب.

أنشأها الملك المعظم عيسى (٥٧٦هـ ـ ٦٢٤هـ) في سنة ٦٠٤هـ، وتولى بناءها بأمره الأمير حسام الدين أبو سعيد عثمان بن عبد الله المعظمي متولي القدس، كانت المدرسة خاصة بتعليم علوم العربية من أدب ونحو وصرف وبلاغة وعروض وغير ذلك، وكانت تدرس كتباً معروفة مثل كتاب سيبويه وكتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي، وكتاب إصلاح المنطق لابن السكيت، وكتاب ملحة الإعراب للحريري.

أوقفها الملك المعظم على علوم العربية لشغفه بذلك، فقد درس اللغة والنحو على التاج الكندي، وكان يحفظ كتاب المفصل للزمخشري، كما كان يجيز من يحفظه ثلاثين دينارا، وأمر أن يجمع له كتاب في اللغة يشمل صحاح الجوهري والجمهرة لابن دريد والتهذيب للأزهري وغير ذلك...

وممن درس في النحوية الشيخ شمس الدين بن رزين البعلبكي، وكان أولهم، كذلك درس فيها أبو بكر بن عيسى الأنصاري الحنفي المعروف بابن الرصاص، الذي ولي قضاء القدس مرتان وقضاء غزة، توفي بدمشق سنة ٨٣٢هـ، وعلي بن أبي بكر بن عيسى الأنصاري، (٩٢٢ ـ ٩٩٢هـ) الذي كتب بخطه كتباً في الفقه والتفسير، كذلك درس فيها يحيى المعصراني الفقيه النحوي، توفي سنة ١٠٨٣ هـ بعدما أوصى بجميع كتبه إلى طلابه، والشيخ عبد المعطي الشافعي الذي كان ينسخ كتب الحديث والآثار توفي سنة ١١٥٤هـ.

هذا وقد استعملت المدرسة في العهد الأخير مكتبة للمسجد الأقصى، سميت دار كتب المسجد الأقصى وافتتحت رسمياً في سنة ١٣٤١هـ ثم اتخذها المكتب المعماري الهندسي لإصلاح وإعمار مسجد الصخرة مكتباً تنفيذياً في سنة ١٩٥٦م.

ويعرف عن الملك المعظم عيسى أنه أقام بالقدس الشريف أعمالاً عديدة منها:

تجديده لعمارة القناطر التي على درج الصخرة القبلي عند قبة الطومار، كما جدد أبواب المسجد وكتب اسمه عليها، وبنى مسجد الخليل، ووقف عليه قريتي دوار وكفر بريك[٦٠].

٦١ ـ المدرسة النصرية :

وتعرف بالناصرية والغزالية تقع على برج باب الرحمة من أبراج السور الشرقي.

أنشأها في أول أمرها الشيخ نصر المقدسي، وأكد ذلك محمد كرد علي وأيده عارف العارف وذكرها مجير الدين في الأنس الجليل.

ثم عرفت بالغزالية نسبة لحجة الإسلام الإمام أبي حامد الغزالي (٤٥٠ ـ ٥٠٥هـ) الذي اعتكف فيها مدة أتم خلالها تأليف كتابه إحياء علوم الدين.

ثم جددها الملك المعظم عيسى وجعلها زاوية لقراءة القرآن وللاشتغال بالنحو، ووقف عليها كتباً كثيرة، وكان ذلك بتاريخ ٦١٠هـ، ١٢١٣م، وفي زمن مجير الدين كانت قائمة بالتعليم.

وكان من جملة الكتب الموقوفة عليها كتاب (إصلاح المنطق) لأبي يوسف يعقوب بن اسحاق ابن السكيت، ويذكر مجير الدين الحنبلي أنه وقف على كراسة منه بخط ابن الخشاب، وعلى ظهر الكراسة الوقف، وهو مؤرخ في ٩ ذي الحجة سنة ٦١٠هـ، وهذا المبنى اندثر ولم يبق منه شيء في بداية القرن العاشر الهجري، كما ذكر مجير الدين الحنبلي حوالي سنة ٩٠٠هـ، وقال إنها كانت على عهده داثرة[٦١].

٦٢ـ المدرسة الوجيهية :

تقع عند باب الغوانمة بالقرب من المدرسة المحدثية، بخط درج المولى، وسمي الباب الغوانمة لأنه ينتهي إلى حارة بن غانم، كما عرف قديماً باسم باب الخليل، وذكره المقدسي باسم باب الوليد.

أوقفها الشيخ وجيه الدين محمد بن عثمان بن أسعد بن النجا الحنبلي، المتوفى سنة ٧٠١هـ/ ١٣٠١م كان شيخ الحنابلة في دمشق، ومن الأثرياء.

شاركت المدرسة في الحركة العلمية في القدس، فقد كان شيوخ المدرسة يدرسون فيها كل العلوم الإسلامية، وبشكل خاص ما يتعلق بفقه المذهب الحنبلي.

ويذكر عارف العارف أنها تحولت إلى دار للسكن، كما حصل لكثير من المدارس الوقفية[٦٢].

٦٣ـ دار القرآن السلامية :

عرفت القدس عدة دور للقرآن الكريم، وكانت تتولى إقراء القرآن وكل ما يتعلق به من تفسير وتجويد وقراءات وأحكام، وكان لكل منها شيخ، ولها نظام أوقاف خاص بها، وقد ذكر أوليا جلبي في رحلته أن في القدس عشر دور للقرآن، ومن أشهر هذه الدور، (السلامية)، والتي تقع تجاه دار الحديث في طريق باب السلسلة، أوقفها سراج الدين عمر ابن أبي بكر السلامي سنة ٧٦١هـ/ ١٣٦٠م، كان لها دور مهم في الحركة الثقافية السائدة في ذلك العصر، وهي غير المدرسة السلامية، وإن كان بعض من كتب عنهما جعلهما واحدة، وعرف من مشايخها الشيخ المقرئ عبد الله بن إبراهيم البسكري المغربي المالكي، كان عالماً بالقراءات وفي فقه المذهب المالكي، بقي يعلم فيها حتى وفاته سنة ٨٢٩هـ/ ١٤٢٦م، والشيخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن الجابري، الذي كان شيخاً للمدرسة السلامية أيضاً، توفي سنة ٨٨٩هـ/ ١٤٨٤م، كذلك تولاها ابنه كمال الدين أبو البركات محمد، وبقي فيها حتى نهاية العصر المملوكي

دور الحديث في القدس :

كما عنيت دور القرآن بالقرآن الكريم وعلومه، عنيت دور الحديث بالحديث رواية ودراية، مع معرفة أحكامه وقواعده وأصوله ورجاله وأنواعه وأسانيده وطرقه، وما يتعلق بالحديث من فقه ولغة وعلوم، ولشدة اعتناء المسلمين واهتمامهم بعلوم الحديث بنوا دوراً خاصة عرفت بدور الحديث، وكان يكفي وجود محدث حافظ ليبنى له دار للحديث، كما فعل نور الدين محمود بن زنكي مع الحافظ المؤرخ ابن عساكر، فقد بنى له أول جامعة للحديث في دمشق، ثم انتشرت هذه الدور في كل البلاد الشامية، ومنها القدس وقد ذكر أوليا جلبي في رحلته سبع دور للحديث، ومن أشهر دور الحديث في القدس:

٦٤ــ دار الحديث الهكارية :

تقع بجوار التربة الجالقية من جهة الغرب، برأس درج العين بباب السلسلة.

أوقفها الأمير شرف الدين عيسى بن بدر الدين أبي القاسم الهكاري، وذلك في سنة ٦٦٦هـ/ ١٢٦٨م، والمتوفى سنة ٦٦٩هـ/ ١٢٧١م، فقد كان هذا الأمير مهتماً

بالحديث الشريف وعلومه، يقول العارف.. لكنها صارت مثل غيرها، فقد سكنها جماعة من عائلة الخالدي. وعرف من مشايخها علاء الدين علي بن عثمان الحواري المتوفى سنة ٨٣٣هـ/ ١٤٣٠م، كان من كبار العلماء، قدم القدس من مصر فتولى التدريس بالصلاحية والبدرية واللؤلؤية، وبقي متولياً دار الحديث الهكارية حتى وفاته، وجاء بعده ابنه زين الدين عمر بن علي بن عثمان الحواري، فدرس في الهكارية والبدرية واللؤلؤية والصلاحية، حتى وفاته سنة ٨٧٤هـ، ١٤٦٩م [٦٤].

٦٥ـ دار الحديث التنكزية (السيفية) :

تقع عند باب الحرم المعروف بباب السلسلة، ولها بابان، باب شرقي يطل على الحرم، وآخر شمالي يطل على طريق باب السلسلة. أنشأها ووقفها نائب الشام الأمير تنكز، الذي ترك عدة منشآت في القدس وغيرها، وقد أوقفها في سنة ٧٢٩هـ/ ١٣٢٩م.، وقد تكون قسماً من المجمع الذي بناه (مدرسة وخانقاه وداراً للأيتام وداراً للحديث).

وممن درس فيها صلاح الدين العلائي، الذي سبق له أن درس الحديث بدمشق، ودرس في القدس بالمدرسة الصلاحية، واستمر في التنكزية حتى وفاته سنة ٧٦١هـ/ ١٣٦٠م، ويرجح زكار أن الذين تولوا التدريس في المدرسة التنكزية قد درسوا في دار الحديث هذه، مع أن الحديث كان علماً من العلوم التي كانت تدرس في المدرسة التنكزية[٦٥].

هوامش ومصادر قسم المدارس الإسلامية

١ـ الأنس الجليل ٢/ ٣٥ ـ ٢٠٤ ـ ٣٢٤ ـ ٣٣٥ ـ ٣٨٢، الضوء اللامع ٢/ ٥٢ و ٩/ ٦٤ ـ ٦٧، القدس في التاريخ ٦/ ١٤٥، الكواكب السائرة ١/ ١١ ـ ١٣، المدارس في بيت المقدس ٢/ ١٥٦ ـ ١٦٣، معاهد العلم في بيت المقدس ١٥٩ ـ ١٧٢، المفصل ٤٠٠ ـ ٤٠٤، موسوعة بيت المقدس ٢/ ٩٩٨، مخطوطات فضائل بيت المقدس ١١٨.

٢ـ الأنس الجليل، ٢/ ٤٦، خطط الشام ٦/ ١٢٢، المفصل ٢٧٠ـ ٣٧٢، موسوعة بيت المقدس ٢/ ٨٩٧.

٣ـ الأنس الجليل، ٢/ ٣٦ ـ ٢٢١ ـ ٣٦١، خطط الشام ٦/ ١١٨، الضوء اللامع ٧/ ١٧ و ٤/ ١٩١ و ٥/ ٢٨٣، المفصل ٣٨٥ ـ ٣٨٦، موسوعة بيت المقدس ٢/ ٦٥٢ ـ ٨٩٨.

٤ـ موسوعة بيت المقدس ٢/ ٨٩٧.

٥ــ المفصل ٣٧٦ ــ ٣٧٧، موسوعة بيت المقدس ٢/ ٨٩٧.

٦ــ الأنس الجليل ٢/ ٣٨ ــ ٤٠، خطط الشام ٦/ ١٩، الدارس ١/ ١٥١، القدس في التاريخ ٦/ ١٢٤، المفصل ٣٨٧ ــ ٣٨٨، المدارس في بيت المقدس ٢/ ٦٩، موسوعة بيت المقدس ٢/ ٨٩٨.

٧ــ الأنس الجليل ٢/ ٣٩ ــ ١٧٦، خطط الشام ٦/ ١١٧، الدرر الكامنة ١/ ٤٨٠، الضوء اللامع ١/ ٣٦ و ٥/ ٤٨، موسوعة بيت المقدس ٢/ ٨٩٩، المفصل ٢٤٦ ــ ١٨٣، معاهد العلم في بيت المقدس ٢٣٦، موقع فلسطين للثقافة دراسة بكيرات.

٨ــ موقع مؤسسة فلسطين للثقافة ــ مادة المدرسة الأوحدية لبكيرات.

٩ــ الأنس الجليل ٢/ ٢٤ ــ ٣٩ ــ ١٧٢ ــ ١٧٩ ــ ١٩٠، خطط الشام ٦/ ١١٩ ــ ١٢٠، الضوء اللامع ٤/ ٢٤ ــ ٢٧ و ٢/ ١٧٩ ــ ١٨٠ و ١٠/ ٢١٧ ــ ٢٢١، القدس في التاريخ ٦/ ١٣٤، المفصل ٣٩٥ ــ ٣٩٦، موسوعة بيت المقدس ٢/ ٦١٩ ــ ٦٢٨ ــ ٨٩٩، موقع فلسطين للثقافة دموع على أعمدة الأقصى لبكيرات.

١٠ــ الأنس الجليل ٢/ ٣٤ ــ ٤٧، خطط الشام ٦/ ١٢٢، موسوعة بيت المقدس ٢/ ٩٠٠، المفصل ٣٧٤.

١١ــ الأنس الجليل ٢/ ٣٥، أهل العلم بين مصر وفلسطين ٣٥، خطط الشام ٦/ ١١٧، الدرر الكامنة ٥/ ١٣٧، القدس في التاريخ ٦/ ١٢٩، المفصل ٣٩٢، موسوعة بيت المقدس ٢/ ٩٠٠، المدارس في بيت المقدس ٢/ ٩٢، النجوم الزاهرة ١١/ ٢٠٥.

١٢ــ الأنس الجليل ٢/ ٤٣ ــ ٤٤، خطط الشام ٦/ ١٢٢، القدس في التاريخ ٦/ ١٢٨، المفصل ٣٩١، موسوعة بيت المقدس ٢/ ٩٠٠.

١٣ــ الأنس الجليل ٢/ ٤٣، خطط الشام، ٦/ ١٢١، الضوء اللامع ٤/ ١٢٣، موسوعة بيت المقدس ٢/ ٩٠٩، المفصل ٣٨٧.

١٤ــ الأنس الجليل ٢/ ٢٤ ــ ٣٥ــ ١٠٦ ــ ١٥٧ ــ ١٧٨ ــ ٢٣٢، البداية والنهاية ١٤/ ٣١، خطط الشام ٦/ ١١٧، الدرر الكامنة ١/ ٢٥٧، الدارس ١/ ٣٦٦، الضوء اللامع ٢/ ٣٥ ــ ٢٣١ و ٤/ ١٩١ و ٧/ ١٧، طبقات الشافعية للسبكي ١٠/ ٣٥، القدس في

التاريخ ٦/ ١٥١، المفصل ٣٨١ ـ ٣٨٣، المدارس في بيت المقدس ١/ ٣١، موسوعة بيت المقدس ٢/ ٩٠٠ ـ ٩٠١.

١٥ـ الأنس الجليل ٢/ ٣٦ ـ ٣٠٥ ـ ٣٢١ ـ ٣٨٨، خطط الشام ٦/ ١١٨، القدس في التاريخ ٦/ ١٢١، المفصل ٣٩١ ـ ٣٩٢، موسوعة بيت المقدس ٢/ ٩٠٣، موقع فلسطين للثقافة بكيرات.

١٦ـ الأنس الجليل ٢/ ٤٠ ـ ٤١، خطط الشام ٦/ ١٢١، القدس في التاريخ ٦/ ١٢٥، المدارس في بيت المقدس ٢/ ٧٢، المفصل ٣٨٩ ـ ٣٩٠، موسوعة بيت المقدس ١/ ٥٢٤.

١٧ـ الأنس الجليل ٢/ ٤٣ ـ ٢٧٥، الضوء اللامع ١١/ ٨٤ ـ ٨٥ و ٧/ ١٩٦، المفصل ٣٩٧، موسوعة بيت المقدس ١/ ١٥٦ و ٢/ ٩٠٣.

١٨ـ الأنس الجليل ٢/ ٤٢ ـ ٤٤ ـ ٩٦ ـ ٢٠٢، القدس في التاريخ ٦/ ١٢٨، المفصل ٣٩١، موسوعة بيت المقدس ٢/ ٩٠٣.

١٩ـ المفصل ٤٠٥.

٢٠ـ المفصل ٣٨٧، موسوعة بيت المقدس ٢/ ٩٠٣.

٢١ـ المفصل ٣٧٣، موسوعة بيت المقدس ٢/ ٩٠٢.

٢٢ـ الأنس الجليل، ٢/ ٢٢ ـ ٢٧١ ـ ٢٧٢، المفصل ٣٧٩ ـ ٣٨٠، موسوعة بيت المقدس ١/ ٥٠٧ و ٢/ ٨٢٠ ـ ٩٠١.

٢٣ـ المفصل ٣٧٩، موسوعة بيت المقدس ٩٠١.

٢٤ـ الأنس الجليل ٢/ ٢٤٤ الدرر الكامنة ٢/ ٧٠، الضوء اللامع ٣/ ٢٥٠، القدس في التاريخ ٦/ ١٣٠، المفصل ٣٩٣، موسوعة بيت المقدس ٢/ ٩٠٢.

٢٥ـ الأنس الجليل ٢/ ٣٧ ـ ١٧٩ ـ ١٩٥ ـ ٢٢٥ ـ ٢٣٣، خطط الشام ٦/ ١١٨، المدارس في بيت المقدس ٢/ ١٠٤ ـ ١٤١، الضوء اللامع ١/ ١٣٧ ـ ١٣٨، القدس في التاريخ ٦/ ١٤٠، الكواكب السائرة ١/ ١١، شذرات الذهب ٨/ ٣٠، المفصل ٣٩٨ ـ ٣٩٩، موسوعة بيت المقدس ١/ ٢٧٠ و ٢/ ٩٠٢.

٢٦ـ الأنس الجليل ٢/ ٢٢ ـ ٣٠ ـ ٣٩ ـ ١٣٣ ـ ١٣٤ ـ ١٥٢، خطط الشام ٦/ ١١٩ ـ ١٢٠، القدس في التاريخ ٦/ ١٠٩، الدرر الكامنة ٣/ ٣٢، الضوء اللامع ١/ ٧٢، المفصل ٣٧٧ ـ ٣٧٨، موسوعة بيت المقدس ٢/ ٩٠٧ ـ ٩٠٨، موقع مؤسسة فلسطين للثقافة.

٢٧ـ موسوعة بيت المقدس ٢/ ٩٠٦.

٢٨ـ موسوعة بيت المقدس ٢/ ٩٠٦، المفصل ٤١٣ ـ ٤٦٩.

٢٩ـ المفصل ٣٩٩ ـ ٤٠٠، موسوعة بيت المقدس ٢/ ٩٠٧.

٣٠ـ الأنس الجليل ٢/ ٣٦، الضوء اللامع ١١/ ١١٨ و ٨/ ٢٦٠، القدس في التاريخ ٦/ ١٤٤، المدارس في بيت المقدس ٢/ ١٥٣ ـ ١٥٥.

٣١ـ الأنس الجليل ٢/ ٤٢، خطط الشام ٦/ ١٢١، الضوء اللامع ٩/ ١٠٥، القدس في التاريخ ٦/ ١١١، المفصل ٣٧٨ ـ ٣٧٩، موسوعة بيت المقدس ٢/ ٩٠٧، موقع فلسطين للثقافة بكيرات.

٣٢ـ المفصل ٤٠٥.

٣٣ـ الأنس الجليل ١/ ٣٤٠ و ٢/ ٥٠ ـ ١٠١ ـ ١٠٢، أعلام فلسطين ٥/ ٧٧، أهل العلم بين مصر وفلسطين ١٣، خطط الشام ٦/ ١٢٢، الدرر الكامنة ٣/ ٩٩، شذرات الذهب ٥/ ٤٤٩، الضوء اللامع ٩/ ٢٥٥، طبقات الشافعية ٨/ ١٩٠، القدس في التاريخ ٦/ ٩٨، موسوعة بيت المقدس ٢/ ٩٠٧ ـ ٩٠٨، المفصل ٢٨٩ ـ ٢٩٠ ـ ٣٦٨ ـ ٣٧١، المدارس في بيت المقدس ١/ ٢٤٤.

٣٤ـ الأنس الجليل ٢/ ٣٨ ـ ٢٤٣ ـ ٢٧٤، خطط الشام ٦/ ١١٩، القدس في التاريخ ٦/ ١٣٢، المفصل ٣٩٤، موسوعة بيت المقدس ٢/ ٩٠٧ ـ ٩١٦.

٣٥ـ الأنس الجليل ٢/ ٤٠ ـ ١٨٣، خطط الشام ٦/ ١٢٠، الضوء اللامع ١١/ ٨٠ ـ ١٩٠، القدس في التاريخ ٦/ ١٣١، المفصل ٣٩٣ ـ ٣٩٤، موسوعة بيت المقدس ٢/ ٩٠٩.

٣٦ـ الأنس الجليل ٢/ ٤٥ ـ ١٢٦ ـ ١٩٤ ـ ٢١٤، الدرر الكامنة ٢/ ٣١٥ و ٤/ ٣٧، الضوء اللامع ٧/ ٣٠١ و ١٠/ ٨٤، القدس في التاريخ ٦/ ١٢٦، المدارس في بيت المقدس ٢/ ٨٣، المفصل ٣٩٠، موسوعة بيت المقدس ٢/ ٥٩٣ ـ ٩٠٩.

٣٧ـ الأنس الجليل ٢/ ٤٥، الدرر الكامنة ٢/ ٣٢١، القدس في التاريخ ٦/ ١٢٩، المدارس في بيت المقدس ٢/ ٩٣ ـ ٩٤، المفصل ٣٩٣، موسوعة بيت المقدس ٢/ ٩٠٩.

٣٨ـ الأنس الجليل، ٢/ ٣٦ ـ ٢٢٨ ـ ٢٣٣ ـ ٣٤٠ ـ ٣٤١، أعلام فلسطين ٤/ ١٧، أهل العلم بين مصر وفلسطين ٣٠، خطط الشام، ٦/ ١١٨، الضوء اللامع ٢/ ٢٤٤، القدس في التاريخ ٦/ ١٣٨، المدارس في بيت المقدس ٢/ ١٣٠، المفصل ٣٩٧ ـ ٣٩٨، موسوعة بيت المقدس ٢/ ٩١٠.

٣٩ـ موسوعة بيت المقدس ٢/ ٩١٠.

٤٠ـ الأنس الجليل ٢/ ٤٠ ـ ٢٢٩ ـ ٢٥٢ ـ ٢٥٣، خطط الشام ٦/ ١٢٠، الضوء اللامع ٦/ ٣٠٨، القدس في التاريخ ٦/ ١٣٥، المدارس في بيت المقدس ٢/ ١١٩، موسوعة بيت المقدس ٢/ ٩١٠، المفصل ٣٩٦ ـ ٣٩٧ ـ ٤٠٥.

٤١ـ الأنس الجليل ٢/ ٢٦ ـ ١٩٣، القدس في التاريخ ٦/ ١٥٣، المفصل ٣٨٤.

٤٢ـ الأنس الجليل ٢/ ٣٣ ـ ٣٨ ـ ٤٢ ـ ٢٦٠ ـ ٢٦١، أعلام فلسطين ٤/ ٢٠٣، خلاصة الأثر ٢/ ٢٦٠، الدرر الكامنة ٢/ ٤١٥، شذرات الذهب ٦/ ١٨٠، الضوء اللامع ٤/ ١١٣، القدس في التاريخ ٦/ ١٢٠، المفصل ٣١٥، موسوعة بيت المقدس ٢/ ٩١١، معاهد العلم في بيت المقدس ٢٣٢ ـ ٢٣٤.

٤٣ـ الأنس الجليل ٢/ ٤٠ ـ ٢٢٤ ـ ٢٤١، شذرات الذهب ٨/ ٢٣٧، القدس في التاريخ ٩/ ١٣١، الكواكب السائرة ٢/ ١٠٢، المفصل ٣٩٥، موسوعة بيت المقدس ٢/ ٩١١.

٤٤ـ موسوعة بيت المقدس ٢/ ٨١٥.

٤٥ـ موسوعة بيت المقدس ٢/ ٩١١.

٤٦ـ أعمدة الأقصى ـ ناجح بكيرات ـ المدرسة الكيلانية.

٤٧ـ الأنس الجليل ٢/ ٣٩ ـ ٤٠ ـ ٢١٤، خطط الشام ٦/ ١٢٠ الدرر الكامنة ٣/ ١٥، رحلة ابن بطوطة ١/ ٣٤، الضوء اللامع ١/ ٤٨ و ٢/ ١٩٤ و ٧/ ٣٠١، القدس في التاريخ ٦/ ١١٢، المفصل ٣٨٠ ـ ٣٨١، موسوعة بيت المقدس ٢/ ٩١٢، المدارس في بيت المقدس ٢/ ٢٤.

٤٨ـ الأنس الجليل، ٢/ ٤٢، خطط الشام ٦/ ١٢١، القدس في التاريخ ٦/ ١٣٣، المفصل ٣٩٥، موسوعة بيت المقدس ٢/ ٩١٢.

٤٩ـ الأنس الجليل ٢/ ٤٦ ـ ٤٧، خطط الشام ٦/ ١٢٢، القدس في التاريخ ٦/ ١٢٨، المفصل ٣٩١، موسوعة بيت المقدس ٢/ ٩١٢.

٥٠ـ الأنس الجليل ٢/ ٤٨، خطط الشام ٦/ ١٢٢، المفصل ٣٧٢ ـ ٣٧٣، موسوعة بيت المقدس ٢/ ٩١٦.

٥١ـ الأنس الجليل ٢/ ٣٧ ـ ٢٢١ ـ ٢٢٨، الدرر الكامنة ٥/ ١٤٠، الدارس في تاريخ المدارس ١/ ٦٠٠، خطط الشام ٦/ ١١٨، القدس في التاريخ ٦/ ١٢٥، المفصل ٣٨٨ ـ ٣٨٩، موسوعة بيت المقدس ٢/ ٩١٤.

٥٢ـ الأنس الجليل ٢/ ٣٧، خطط الشام ٦/ ١١٨، الضوء اللامع ١١/ ١١٨، القدس في التاريخ ٦/ ١٤٣، المدارس في بيت المقدس ٢/ ١٥٠، المفصل ٣٩٩، موسوعة بيت المقدس ٢/ ٩١٣.

٥٣ـ الأنس الجليل ٢/ ١٦٤، أعلام فلسطين ٥/ ٤١ ـ ٤٣، خطط الشام ٦/ ١٢٣، الدرر الكامنة ١/ ٤٤٩، الضوء اللامع ٥/ ٨٤، المفصل ٣٧٩، موسوعة بيت المقدس ٢/ ٩١٥.

٥٤ـ الأنس الجليل ٢/ ٣٨، خطط الشام ٦/ ١١٦، الدرر الكامنة ٣/ ٢٤٤، شذرات الذهب ٦/ ١٧٨، الضوء اللامع ١/ ٢٠٧ و ٢/ ٣٠١ و ٥/ ٢٣٩، القدس في التاريخ ٦/ ١١٨، المفصل ٣٨٤ ـ ٣٨٥، موسوعة بيت المقدس ٢/ ٩١٤، معاهد العلم في بيت المقدس ٢٣١ ـ ٢٣٢.

٥٥ـ موسوعة بيت المقدس ٢/ ٩١٥.

٥٦ـ الأنس الجليل ١/ ٤٠٣ و ٢/ ٤٢ ـ ٢٢١ ـ ٢٧٧ ـ ٢٧٨، أعلام فلسطين ٢/ ٢١٨ ـ ٢٤٢، خطط الشام ٦/ ١٢١، شذرات الذهب ٧/ ١٨٢، الضوء اللامع ٣/ ٢٠١ و ٨/ ٨٩، القدس في التاريخ ٦/ ١٠٦، موسوعة بيت المقدس ٢/ ٩٠٣ ـ ٩١٣، المفصل ٣٧٥ ـ ٣٨٧ ـ ٤٠٥.

٥٧ـ الأنس الجليل ٢/ ٤٣، أنباء الغمر لابن حجر ١/ ١٨٥، خطط الشام ٦/ ١٢١، الدرر الكامنة ٢/ ٤٧٥، شذرات الذهب ٦/ ٦٧، القدس في التاريخ ٦/ ١٢٤، المفصل ٣٨٩، المدارس في بيت المقدس ٢/ ٧١، موسوعة بيت المقدس ٢/ ٩١٣.

٥٨ـ المفصل ٤٠٤.

٥٩ـ أعلام فلسطين ٢/ ٢٤٥ ـ ٢٤٧.

٦٠ـ الأنس الجليل ١/ ٤٠٣ و ٢/ ٣٤، خطط الشام ٦/ ١١٥، المفصل ٣٧٣، المدرسة النحوية لبكيرات، موسوعة بيت المقدس ٢/ ٩١٦.

٦١ـ الأنس الجليل ٢/ ٣٤، خطط الشام ٦/ ٧٧، المفصل ٣٧٤، موسوعة بيت المقدس ٢/ ٩١٥.

٦٢ـ الأنس الجليل ٢/ ٤٢ ـ ١٣٤، الدارس للنعيمي ١/ ١٧، خطط الشام ٦/ ١٢١، الدرر الكامنة ٤/ ١٥٧، شذرات الذهب ٦/ ٣، القدس في التاريخ ٦/ ١١١، المفصل ٣٧٩، موسوعة بيت المقدس ٢/ ٩١٦.

٦٣ـ الأنس الجليل ٢/ ٤٥ ـ ٥٤ ـ ٢٤٦، خطط الشام ٦/ ١٢٢، القدس في التاريخ ٦/ ١٥٠، الضوء اللامع ٥/ ٤ و ٨/ ٤٤ و ٩/ ١٠٥، المفصل ٣٨٨ ـ ٤١٦، موسوعة بيت المقدس ٢/ ٩٠٤.

٦٤ـ الأنس الجليل ٢/ ٤٤ ـ ٤٥ ـ ١٩٢، الضوء اللامع ٢/ ١٩٢ ـ ٢٦١ و ٦/ ١٠٧، القدس في التاريخ ٦/ ١٥١، المفصل ٣٧٥ ـ ٤١٦، موسوعة بيت المقدس ٢/ ٩٠٤.

٦٥ـ الأنس الجليل ٢/ ١٠٧ ـ ١٢٩، الدرر الكامنة ٢/ ١٨١، الدارس ١/ ٥٩، شذرات الذهب ٦/ ١٩١، طبقات الشافعية ١٠/ ٣٦، القدس في التاريخ ٦/ ١٥١ ـ ١٥٢، المفصل ٧٨١ ـ ٣٨٢، موسوعة بيت المقدس ١/ ٢١٢ و ٢/ ٩٠٠ ـ ٩٠١.

الزوايا

عندما تذكر الزاوية عند مَنْ عاش أواخر العصر التركي، والنصف الأول من القرن العشرين، يربطها بالصوفية، أو بإحدى طرقهم، ولكن الزوايا كانت أكثر مدلولاً وعملاً، فالأصل في وجود الزاوية، أن تجمع بين الاعتكاف للعبادة، والإلتقاء بالتلاميذ للدراسة (مثل الزاوية الوفائية في القدس)، ومما يدل على الأهمية التعليمية للزوايا، أن كثيراً من المدارس في مدن فلسطين كانت تدعى زوايا، وبالعكس، فالزوايا الأمينية والنصرية والختنية في القدس كانت تدعى مدارس والزاوية كالرباط والخانقاه والمحاضر، إلا أنها أصغر في الغالب، وجدت في بعض البلاد في الصحارى والأمكنة الخالية من السكان، لكن وجدت في بعض المدن في نواحي المساجد الكبرى، مثل مسجد عمرو بن العاص بمصر، والمسجد الأقصى في القدس، وكانوا يقفون هذه الزوايا على الفقراء المتصوفة، ويجعلون لها شيخاً واحداً أو أكثر، كما كانوا يحددون عدد من يباح لهم الإقامة الدائمة فيها، ومن يحق لهم البقاء مؤقتاً، وقد بنيت بعض الزوايا لشيخ مشهور يقوم بنشر العلوم من خلالها، وينقطع فيها للعبادة.

وقد عرفت الزوايا في جميع أنحاء البلاد العربية والإسلامية، ففي كل مدينة وقرية عدة زوايا، ما زال بعضها قائماً حتى اليوم، ويقول الشهابي (الزاوية بمثابة مدرسة دينية ودار ضيافة للفقراء وللمتصوفين المتنقلين عبر البلاد من زاوية إلى أخرى طلباً للعلم، ولعلها تشبه الأديرة في القرون الوسطى، وفي الأصل كلمة زاوية كانت تسمية تطلق على صومعة الراهب).

وكانت بعض الزوايا تضم مكتبات هامة، مثل الزاوية النصرية في القدس، والتي أقيمت في القرن الخامس للهجرة.

الزوايا في القدس :

عرفت القدس كغيرها من بلدان العالم العربي والإسلامي الكثير من الزوايا، منها ما اندثر فلم يعد لها ذكر أو وجود، أو أي علامة تدل عليها، فلا يعرف إلا اسمها أو اسم من وقفها، ومنها ما زال قائماً، ومعظم زوايا القدس التي ما زالت قائمة، تعود إلى عصر المماليك، الذين أكثروا منها، وقد عرفت القدس أكثر من

أربعين زاوية منها ما هو مرتبط بالمتصوفة، ومنها ما هي مقر لرجل من الأتقياء أو بيته وفيها مصلى، لذلك كانت الزوايا أصغر من الخوانق والربط، وأكثر منها عددا[١].

١ـ الزاوية الأدهمية :

تقع خارج السور على بعد مئتي متر منه، بين باب العمود وباب الساهرة من القدس القديمة، وتعرف بالزاوية (الهيدمية).

أوقفها الأمير منجك نائب الشام، وذلك في سنة ٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م وأوقف عليها هو وغيره الأوقاف.

وسميت بالأدهمية نسبة إلى إبراهيم بن أدهم المتوفى سنة ١٦١هـ، وهو مدفون في مدينة جبلة على الساحل السوري، ونسبة الزاوية إليه معنوية طرقية صوفية.

وممن دفن في هذه الزاوية دادا بدر الأدهمي أحد شيوخها، توفي حوالي سنة ٧٧٧هـ، كذلك دفن فيها شيخها صامت الهدمي المتوفى سنة ٨٠٧هـ، وكان مقيماً فيها سنة ١٩٥٦ جماعة من عائلة البديري[٢].

٢ـ زاوية الأزرق (السرائي) :

تقع بحارة الشرف ظاهر القدس من جهة القبلة، شرقي زاوية البلاسي.

أنشئت سنة ٧٥٠هـ، تنسب إلى الشيخ إبراهيم الأزرق، وفيها قبور جماعة منهم الشيخ اسحاق ابن الشيخ إبراهيم المتوفى سنة ٧٨٠هـ، وتعرف بزاوية السرائي[٣].

٣ـ زاوية أبي مَدْيَن :

تقع في حارة المغاربة، بنيت أيام السلطنة الثالثة لمحمد بن قلاوون.

أنشأها سنة ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م حفيد من أحفاد أبي مدين الأندلسي، المولود في إشبيلية، وكان عالماً اتجه إلى التصوف، قيل إنه لقي عبد القادر الجيلاني في مكة،

توفي سنة ٥٩٤هـ/ ودفن بقرية العُباد قرب تلمسان على الحدود بين المغرب والجزائر.

بعد إنشاء زاوية باسمه بالقدس، صار الوقف يعرف بأوقاف أبي مدين الغوث، وبنيت منازل للوقف متراصة قبل سنة ٧٢٠هـ وبعده، بحيث أحاط المسلمون سكانها بمكان البراق من الخارج إحاطة مؤدية إلى حراسته، وقد بلغ من تراص هذه المنازل حول هذا المكان الذي هو جدار الحرم القدسي الغربي، أن جدار الحرم وبقية أبنية هذا الوقف استعمل ممراً ليسلك منه المسلمون إلى منازلهم[٤].

٤ـ الزاوية الإبراهيمية :

تقع على جبل صهيون إلى الشمال من ضريح النبي داود

بناها إبراهيم باشا بن محمد علي باشا الكبير، بعدما دخل فلسطين واستولى على القدس سنة ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م، فقد كان ينزل فيه كلما حل بالقدس[٥].

٥ـ الزاوية البسطامية :

عرف بالقدس زاويتان حملتا هذا الاسم:

الأولى: في سفل صحن الصخرة من جهة الشرق عند الزيتون، وكانت مغلقة أيام مجير الدين الحنبلي.

الثانية: كانت بحارة السعدية (المشارقة).

أوقفها قبل سنة ٧٧٠هـ/ ١٣٨٧م الشيخ عبد الله البسطامي، والأرجح أن تاريخ تأسيسها يعود إلى قبل ذلك بعشر سنوات، وقد أسست للشيخ علي الصفي البسطامي الذي قدم من خراسان، فلازمه عبد الله بن خليل بن علي الأسد أباذي الذي أوقف الزاوية، وقام بعد وفاة الشيخ سنة ٧٦١هـ/ ١٣٦١م بأعباء الزاوية من تدريس وتوجيه وتربية وبقي كذلك حتى وفاته سنة ٧٩٤هـ/ ١٣٩٢م.

ومن بين الذين استلموا مشيخة الزاوية شهاب الدين أحمد بن محمد الكردي الحلبي، كان مشهوراً بنسخ الكتب وخطه الجميل، كما كان من جملة مدرسي المدرسة الصلاحية والخانقاه، توفي سنة ٨٨١هـ، ١٤٧٦م، ويذكر مجير الدين العليمي أن الشيخ شمس الدين محمد بن عيسى البسطامي الشهير بأبي زرع، كان مقيماً بالزاوية البسطامية، وكان يحفظ القرآن للأطفال بالمدرسة الطازية، توفي سنة ٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م، والزاوية اليوم اندثرت ولا أثر لها[٦].

٦ـ زاوية بدر الدين :

تقع في وادي النسور بظاهر القدس من الناحية الغربية تنسب إلى بدر الدين بن محمد بن بدران، الذي ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، توفي سنة ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م ودفن فيها، خلف عليها بعده ابنه محمد ثم عبد الحافظ بن محمد، ثم داود بن عبد الحافظ، ثم من بعده ابنه أحمد، وإليهم تنتسب عائلة الحسيني بالقدس[٧].

٧ـ زاوية البلاسي :

تقع جنوبي القدس من جهة القبلة، غربي زاوية الأزرق تنسب إلى الشيخ أحمد البلاسي، وجره فيها وهو مشهور[٨]

٨ـ زاوية الشيخ خضر :

تقع بظاهر القدس غربا، بناها الظاهر بيبرس للشيخ خضر العدوي المهراني سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦١[٩]

٩ـ الزاوية الختنية :

ويقال لها (الخنثنية)، تقع بجوار المسجد الأقصى من القبلة، خلف المنبر، أوقفها صلاح الدين الأيوبي على رجل من المجاهدين الأتقياء، يدعى جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد الشاشي، الذي كان مجاوراً في بيت المقدس وجعل

الوقف من بعده على من يحذو حذوه، وكان ذلك في سنة ٥٨٧هـ/ ١١٩١م، وكانت تسمى مدرسة فالزوايا كانت مدارس.

وسميت بالختنية نسبة إلى الشيخ المعروف بالختني، وقد ذكر عدد من المؤرخين الزاوية الختنية، فابن فضل الله العمري يذكر أنه دخل إلى بعض الأماكن داخل سور الحرم القدسي، وكان دخوله من الزاوية المعروفة بسكن الختني، وجاء في وصف المسجد الأقصى... وأما المحراب الصغير الذي إلى جانب المنبر من جهة الغرب، بدخل المقصورة الحديد، بجوار الباب المتوصل منه إلى الزاوية الخنثنية، فإنه يقال أنه محراب معاوية، وجاء.. أن الزاوية الخنثنية بداخل المقصورة الحديد الملاصقة للمنبر.... وغير ذلك.

ويذكر العليمي.. أن بناءها قديم من زمن الروم، لكن بناء الدار التي بداخل الزاوية مستجد...

والزاوية تعد من المباني الأثرية في القدس أيام الأيوبيين، وانتهى بها الأمر أن صارت مكان إقامة لبعض خدم المسجد، كما جعلت بعض غرفها مستودعات لحفظ القناديل وتنظيفها، كما يقول عارف العارف.

وقد استلم مشيخة الزاوية الختنية عدد من كبار العلماء، كان على رأسهم الشاشي، ومنهم الشيخ شهاب الدين أحمد بن أمين الرملي المقدسي الشافعي، الذي ترك كثيراً من المؤلفات، توفي بالزاوية الختنية سنة ٨٤٤هـ، وشيخ الإسلام برهان الدين إبراهيم الأنصاري (٨١٩ ـ ٨٨٨هـ) والشيخ ابن أرسلان، والقاضي أحمد بن برهان الدين الأنصاري المولود سنة ٨٤٦هـ، والشيخ شمس الدين القباقبي، وأحمد بن إبراهيم الحاملي (٨٤٦ ـ ٩٠١هـ) كما باشر نيابة الحكم بالقدس[١٠].

١٠ـ زاوية الخانقي :

تقع في حارة النصارى وتسمى الخانقاه الصلاحية.

أسسها صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م، كانت قبل ذلك منزلاً لبطاركة الروم الأرثوذكس وداراً للقسس، وقد أخذها منهم الصليبيون، ولما استرد صلاح الدين القدس منهم أرجع الدار على أصحابها الأولين، كما أرجع إليهم ممتلكاتهم الأخرى التي أخذها منهم الصليبيون، ومنها دار البطركية، ورضي الروم أن يقتطع صلاح الدين من منزل القسس والبطاركة جانباً، حيث نزل فيه صلاح الدين مدة إقامته بالقدس، ثم جعله مسجداً ورباطاً للعلماء المتصوفة، وصارت دارا للجهاد.

ما زال البناء قائماً إلى اليوم حيث يسكن الزاوية جماعة من آل العلمي، وهي تحيط بكنيسة القيامة من الشمال والغرب، وفي داخلها جامع يعود تاريخ عمارته إلى أيام الملك محمد بن قلاوون سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م.

وذكر العارف في المفصل... دخلتها سنة ١٩٥٦ فوجدت ساكنيها من القائمين عليها من آل العلمي، كما رأيتها تحيط بكنيسة القيامة من الشمال والغرب، والمسافة بين غرفتها العلوية وبين قبة الكنيسة من الشرق لا تزيد خمسة أمتار، بل إن سطح الكنيسة وهواءها يتصرف به المسلمون القائمون على أوقاف الخانقاه كما يشاؤون.. وقرأ العارف في محراب الجامع الذي في الداخل... أن عيسى بن أحمد العلم أشار بإنشاء هذا المحراب في أيام السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون في شعبان سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م[١١].

١١ـ زاوية الشيخ حيدر :

تقع في حارة الحيادرة في محلة الشرق بالقدس، أخذت الحارة اسمها من اسم زاوية الشيخ حيدر، بنيت سنة ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م، ووقفت على المتصوفة التابعين للطريقة الأحمدية[١٢].

١٢ـ الزاوية الجراحية :

تقع بحي الشيخ جراح بظاهر القدس، من جهة شمال القدس القديمة، ولها أوقاف معلومة أوقفها الأمير حسام الدين الحسين بن شرف الدين عيسى الجراحي، أحد أمراء صلاح الدين الأيوبي، توفي سنة ٥٩٨هـ/ ١٢٠١م ودفن بزاويته، وفي

زاويته من جهة القبلة قبور جماعة من المجاهدين، وقد أوقفها أيام الملك العادل المتوفى سنة ٦١٥هـ/ ١٢١٨، وقد عرف الحي باسم حي الشيخ جراح نسبة إلى الزاوية وواقفها(١٣).

١٣ـ زاوية الدركاء :

تقع بجوار البيمارستان الصلاحي، في حي الدباغة، أوقفها الملك غازي بن الملك العادل الأيوبي، صاحب ميافارقين وما معها، في سنة ٦١٣هـ/ ١٢١٦م، وذكر الحنبلي في الأنس الجليل... أنها كانت في زمن الصليبيين دار الاسبيتار، وهي من بناء هيلانة أم قسطنطين، التي بنت كنيسة القيامة، وعليها منارة تهدم بعضها في زلزال سنة ٨٦٣هـ (زمن الحنبلي) كما كان ينزل فيها نواب القدس، أما اليوم فهي مندثرة فلا أثر لها(١٤).

١٤ـ الزاوية الرفاعية :

وتعرفه بزاوية (أبو السعود) تقع داخل سور المسجد الأقصى، تحت مئذنة باب الغوانمة، وعرفت بزاوية أبي السعود، لأن أكثر المنتمين إليها من عائلة أبي السعود، وقد خصصت الحكومة التركية لها قسماً من مال الوقف، كان متولياً عليها حوالي سنة ١٩٥٦م مفتي الشافعية بالقدس الشيخ حسن أبو السعود(١٥).

١٥ـ الزاوية الشيخونية :

تقع عند باب حطة (من أبواب المسجد الأقصى)، بالقرب من المدرسة الصلاحية عند سويقة باب حطة.

أوقفها الأمير سيف الدين قطيشا بن علي بن محمد في سنة ٧٦١هـ، جعل نظرها لنفسه، ثم من بعده لولده (شيخون) فسميت الشيخونية(١٦).

١٦ـ زاوية شوفان :

تقع في قرية شوفان، بناها داود بن عبد الحافظ المتوفى سنة ٧٠١هـ(١٧).

١٧ـ الزاوية الطواشية :

تقع غرب المسجد الأقصى بحارة الشرف، وتعرف قديماً بحارة الأكراد، أوقفها الشيخ شمس الدين محمد بن جلال الدين عرب بن فخر الدين أحمد، المجاور بالقدس، في رمضان سنة ٧٥٣هـ[١٨].

١٨ـ زاوية العجم (الشيخ يعقوب العجمي) :

كانت كنيسة القديس جميس الصليبية حولت إلى زاوية في القرن التاسع الهجري، تقع بالقرب من القلعة، واشتهرت بعد ذلك بزاوية الشيخ شمس الدين ابن الشيخ عبد الله البغدادي، أحد العدول بالقدس، كان يسكن فيها، وبعد وفاته تلاشت أحوالها، وقيل أنها تحولت إلى زاوية قبل سنة ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م[١٩].

١٩ـ الزاوية القادرية الأفغانية :

تقع قرب باب الغوانمة في حارة الواد، على بعد بضعة أمتار من الزاوية النقشبندية إلى الجنوب الغربي، وعرفت بزاوية الأفغان، أنشئت للأفغان من أتباع الطريقة القادرية وذلك سنة ١٠٣٤هـ/ ١٦٣٣م، ويذكر العارف.. أنه كان في القدس سنة ١٩٥٦، عشرون أفغانياً يتولى شؤونهم رئيسهم الحاج عبد الله الأفغاني، وهو متولي شؤون الزاوية، وعلى بابها نقش فيه تاريخ الوقف، يقال إن الذي أنشأها محمد باشا محافظ القدس ١١١٥هـ [٢٠].

٢٠ـ الزاوية القرشية :

تقع بخط مرزبان، جاء في كتب التاريخ، أنه في سنة ٨٧٧هـ، وقع مطر وبرد كثير ببيت المقدس، فتهدمت أماكن كثيرة بسبب ذلك، ويقال أن ٣٦٠ مكاناً تهدم، ومن جملة ذلك زاوية الشيخ محمد القرشي بخط مرزبان[٢١].

٢١ـ الزاوية القيمرية :

تقع بظاهر القدس من جهة الشمال مما يلي الغرب، وهي قبة محكمة البناء، تنسب لجماعة من الأمراء الشهداء المجاهدين، وقبورهم فيها، وهم:

ـ الأمير الشهيد حسام الدين أبو الحسن بن أبي الفوارس القيمري، استشهد في سنة ٦٤٨هـ.

ـ الأمير ضياء الدين موسى ابن أبي الفوارس، استشهد في سنة ٦٤٨هـ.

ـ الأمير حسام الدين خضر القيمري، استشهد في سنة ٦٦١هـ.

ـ الأمير ناصر الدين أبي الحسن القيمري، استشهد في سنة ٦٦١هـ.

كما دفن بالقبة الأمير ناصر الدين محمد جابر بك، أحد أمراء الطبلخانة بالشام، وناظر الحرمين بالقدس والخليل توفي سنة ٧٧٦هـ/ [٢٢].

٢٢ـ زاوية القصبة :

تقع في محلة الشرف [٢٣].

٢٣ـ الزاوية القلندرية :

تقع بجوار مقبرة ماملا أو بوسطها، كانت الزاوية كنيسة من بناء الروم، وعرف بالدير الأحمر، وعندما جاء الشيخ إبراهيم القلندري إلى القدس، أقام بها بجماعة من المتصوفة فنسبت إليه، وسميت بالقلندرية، وذلك في نهاية القرن التاسع الهجري، وفي سنة ٨٩٣هـ خربت الزاوية واستمرت خراباً، والقلندرية فرقة صوفية تنسب إلى مؤسسها قلندر يوسف العربي الأصل، الإسباني المولد وقد دفن بجوار الزاوية الشيخ الإمام المحقق محمد بن أبي بكر بن أبي الوفا الحسيني الشافعي، صاحب المصنفات، والمتوفى سنة ٨٩١هـ[٢٤].

٢٤ـ زاوية القرمي :

تقع في حارة الواد، بخط مرزبان، بالقرب من حمام علاء الدين البصير، أنشأها وأوقفها الأمير ناصر الدين محمد بن علاء الدين شاه الجيلي، كان من أمراء العشرات بغزة، مقيماً بالقدس، تأثر كثيراً بالشيخ محمد بن أحمد القرمي إلى أن أوقف عليه وعلى ذريته ثلث ممتلكاته، وبنى له زاوية نالت اسمه، وكان القرمي من أصل تركستاني ولد سنة ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م، وبعد ما تعلم قدم إلى

دمشق وأقام بها، ثم تحول إلى بيت المقدس، فأقام بها مستوطناً، وكان وجيهاً عند الخاصة والعامة، مقبولاً عند الملوك لا ترد شفاعته، كان متصوفاً عالماً خاصة بعلوم الحديث، كما نظم الشعر، وبقي بالقدس حتى وفاته سنة ٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م، ودفن بزاويته[٢٥].

٢٥ـ الزاوية الكبكبية :

تقع في مقبرة ماملا، أنشأها الأمير علاء الدين ايدغدي بن عبد الله الكبكبي، توفي سنة ٦٨٨هـ ودفن فيها [٢٦].

٢٦ـ الزاوية اللؤلؤية :

تقع جنوب شرق باب العمود (أحد أبواب المدينة) داخل السور، أوقفها بدر الدين لؤلؤ غازي، وذلك في سنة ٧٥٥هـ، أو سنة ٧٨١هـ/ ١٣٧٩م[٢٧].

٢٧ـ الزاوية المهمازية :

تقع شمال المسجد بالقرب من المعظمية من جهة الغرب، وتعرف بدار الدويك، وتنسب للشيخ كمال الدين المهمازي.

وقف عليها الملك الصالح إسماعيل ابن الناصر محمد بن قلاوون، على المشايخ المقيمين بها قرية (بيت لقيا) من عمل القدس الشريف، في سنة ٧٤٥هـ، ويوجد فيها قبر رجل من ذرية المهمازي اسمه الشيخ خير الدين خضر المهمازي، المتوفى سنة ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م[٢٨].

٢٨ـ الزاوية المحمدية :

تقع بجوار المدرسة البارودية من جهة الغرب،

أوقفها محمد بك زكريا الناصري في ١٠ رجب سنة ٧٥١هـ[٢٩].

٢٩ـ الزاوية المولوية :

تقع بحارة السعدية وتعرف بزاوية (القدس)، يقيم فيها منتسبوا الطريقة المولوية، والتي دخلت بيت المقدس في أوائل الحكم العثماني ٩٢٥هـ/ ١٥١٩م، ثم اتسعت فأنشأ لها أتباعها مكاناً لإقامة أذكارهم فيه، وليتدارسوا كتب القوم فيما بينهم.

والطابق الأرضي لهذه الزاوية كان ديرا فيه كنيسة للاتين، ثم حوله المسلمون إلى مسجد بعد الفتح الصلاحي للقدس، والطابق العلوي والمئذنة التي بجانبه من عمل الأتراك العثمانيين أوقف هذه الزاوية (خداوندكاربك) يوجد لوحة على إحدى غرف الزاوية العلوية منقوش عليها (أمر بإنشاء هذا المكان للمولوية خدا وندكاربك قومندان لواء المقدس الشريف سنة ٩٩٥هـ/ ١٥٨٦م..) كانت هذه الزاوية في أيام العهد العثماني تابعة إلى المقر العام في قونية، حيث يقوم ضريح (جلبي أفندي شيخ الطريقة المولوية، كما كانت فيما مضى ذات نفوذ واسع، فلها مريدون وأتباع كثيرون، لأنها كانت تتمتع بتأييد السلاطين من بني عثمان الذين ساهموا كثيراً في نشر الطرق الصوفية فأغرقوا الناس فيها وفي خوارق العادات، وأبعدوهم عن العلم، وكان للزاوية المولوية أملاك وأوقاف واسعة، لكنها في بداية النصف الثاني من القرن العشرين، تقلصت أملاكها، واندثرت أوقافها، ولم يبقى لها مريدون وأتباع في القدس[٣٠].

٣٠ــ زاوية المصمودي :

تقع بأعلى حارة المغاربة، بجوار الزاوية البسطامية من جهة الشمال، ملاصقة لدرج البراق.

أوقفها الشيخ عمر بن عبد الله المصمودي سنة ٧٠٣هـ أيام سلطنة محمد بن قلاوون الثانية، وقد سد بابها في زمن مجير الدين.. كما وضح ذلك في الأنس الجليل[٣١].

٣١ــ زوايا مقام النبي داود :

يقع مقام داود على ربوة مرتفعة من الربى التي تتألف منها مدينة القدس، ويسمونها جبل صهيون أيام مُلْكِ جقمق العلائي الظاهري المتوفى سنة ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م، أحد ملوك دولة الشراكسة مصرَ والشام والحجاز، قام بعدة أعمال، منها المصحف الشريف الذي وضعه عند الصخرة الشريفة تجاه المحراب، ورتب له قارئاً، وأمر بإبطال جميع المظالم التي جرت في المدينة، ونقش ذلك على بلاطة ثبيت بحائط المسجد الغربي عند باب السلسلة، وأخذ قبر النبي داود سنة ٨٥٦هـ/ ١٤٥١م وحوله إلى زاوية، وكان يحصل حوله خلاف بين المسيحيين والمسلمين، فمرة يكون بيد المسلمين، ومرة يكون بيد المسيحيين، فاستقر بيد المسلمين من سنة ٨٥٦هـ، وفي أيام السلطان العثماني سليمان القانوني بنى فيه مسجداً ورمم الزوايا ثم تحول إلى كنيس لليهود بعد سنة ١٩٦٧م ومقام النبي داود هذا يعد من الأمكنة الإسلامية المهمة في مدينة القدس، يقال أنه يضم ضريح النبي داود (لم يصح ذلك) ومسجدين ملاصقين له وتحيط به أبنية كثيرة يقيم فيها أفراد من عائلة الدجاني، وهم سدنة هذا المقام، وفي المقام أربع زوايا وهي:

(الزاوية المجيدية وتنسب إلى السلطان عبد المجيد الثاني العثماني وهي إلى الشمال من الضريح ،

زاوية عيال طه،

زاوية عيال شكر

زاوية عيال خليل

بعض هذه الزوايا جددت في سنة ١٢٢٣هـ/ ١٨١٧م أيام السلطان محمود العثماني، ويقول اسحق الحسيني.. هكذا كان حال هذه الزوايا وهذا المكان المقدس قبل سنة ١٩٦٧، لكن الأمر تبدل بعد احتلال الصهاينة للقدس سنة ١٩٦٧، حيث وضعت وزارة الأديان الصهيونية يدها على هذا المكان، ومنعت المسلمين من أداء شعائرهم الدينية فيه، وأزيلت عن المقام الستائر التي كانت مطرزة بالآيات القرآنية، ووضع بدلاً منها نجمة داود، وكتابات أخرى بالعبرية[٣٢].

٣٢ــ زاوية المغاربة :

تقع غرب المسجد الأقصى، في آخر حارة المغاربة، وعرفت بزاوية عمر المجرد أنشأها سنة ٧٠٣هـ/ ١٣٠٤م الشيخ عمر بن عبد الله بن النبي المغربي المصمودي المجرد من ماله الخاص، بعد أن وجد في القدس جالية كبيرة من أهل الغرب الإسلامي، من أتباع المذهب المالكي، توفي الواقف بالخليل وقد تولى مشيخة الزاوية عدد من المغاربة المقيمين في القدس، منهم الشيخ خليفة بن مسعود الذي كان أحد أئمة المسجد الأقصى، توفي سنة ٨٣٣هـ/ ١٤٣٠م ومن بعده ابنه الشيخ شمس الدين محمد بن خليفة، كما كان أحد شيوخ المدرسة الغادرية، ثم شرف الدين عيسى بن عمر الحسين المغربي، المتوفى سنة ٩٩٧هـ/ ١٤٩٢ ثم تولاها قاسم المغربي المتوفى سنة ٨٩٨هـ/ ١٤٩٣م.

وكان شيخ الزاوية يعين بمرسوم سلطاني، وهذا دليل على مكانتها ودورها الكبير الذي شغلته وقامت به، وبعد كل ذلك قام الصهاينة اليهود بهدمها سنة ١٩٦٧م [٣٣].

٣٣ـ الزاوية النصرية (الغزالية) :

تقع على باب برج الرحمة، عند سور المسجد الأقصى الشرقي أسسها الشيخ نصر المقدسي حوالي سنة ٤٥٠هـ، وكان يعلم فيها فنسبت إليه، وقيل لها الناصرية، وسميت بالغزالية، لأن الإمام (أبو حامد الغزالي) أقام فيها وأتم كتابه إحياء علوم الدين، ثم خربت فأعاد بناءها الملك المعظم بعد ذلك، ثم خربت أيضاً ولم يبق من آثارها إلى أيام مجير الدين الحنبلي إلا أثر البناء المهدوم وذلك في بداية القرن العاشر الهجري[٣٤].

٣٤ـ الزاوية النقشبندية وتسمى (الأزبكية والبخارية) :

تقع في حارة الواد، بالقرب من زوايا الحرم الشمالية الغربية، وعلى بضعة أمتار من باب الغوانمة غرباً.

أنشئت سنة ١٠٤٠هـ، ويقول شراب أنها أنشئت في القرن الثامن الهجري، بناها مؤسس الطريق النقشبندية الشيخ محمد بهاء الدين النقشبندي البخاري، لإيواء الغرباء وإطعام الفقراء من مسلمي بخارى وجاوى وتركستان وأندونيسيا والذي

اشترى الأرض يدعى عثمان بك البخاري، المعروف بالصوفي سنة ١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م أضيف إليها فيما بعد بعض الغرف عندما تولاها الشيخ حسن بن الشيخ محمد الصالح الأزبكي سنة ١١٤٤هـ/ ١٧٣١م، وفي سنة ١٩٥٦م كان المتولي على إدارتها الشيخ يعقوب بن الشيخ رشيد البخاري، وكانت الحكومة التركية قد خصصت لها قسطاً من مال الوقف، وأيام حكم الانتداب البريطاني لفلسطين ضم أحد أجنحتها المحكمة الشرعية[٣٥].

٣٥ ـ زاوية الهنود :

تقع في شمال المدينة داخل السور عند باب الساهرة أسسها، (بابا فريد شكر كنج) من مسلمي الهند، جاء إلى القدس وأقام فيها منذ حوالي القرن الخامس الهجري، وخصص لها قسماً من دخل وقف القدس أسوة بغيرها، وفيها مسجد، ولها وقف بباب حطة، ويذكر العارف أن الشيخ حسن الأنصاري كان ناظرها حوالي سنة ١٩٥٦م، ويؤكد مجير الدين (أنها قديمة، وكانت للصوفية الرفاعية، ثم نزلت بها طائفة من الهنود فعرفت بهم[٣٦].

٣٦ـ الزاوية الوفائية :

تقع بباب الناظر من الجهة الغربية، تجاه المدرسة المنجكية، وعلوها دار من معاليمها تعرف بدار الشيخ شهاب الدين ابن الهائم المتوفى سنة ٨١٥هـ ثم عرفت ببني أبي الوفا لسكنهم بها، كما عرفت قديماً بدار معاوية.

أنشأها سنة ٧٨٢هـ/ ١٣٨٠م تاج الدين أبو الوفاء محمد، ويقول شراب إن مؤسسيها آل أبي الوفا المنسوبون إلى الشيخ بدر الدين بن بدران الحسيني، وينسب لهم الزاوية الحمراء أيضاً، القريبة من الخانقاه الصلاحية، ومن كنيسة القيامة.

فقد أسست أسرة أبي الوفاء طائفة صوفية أخذت اسمها منها، ولهذا تعاقب على مشيخة الزاوية الوفائية علماء من هذه الأسرة، أولهم تاج الدين المتوفى سنة ٨٥٩هـ/ ١٤٥٥م ثم ابنه تقي الدين أبو بكر الذي كان من شيوخ المدرسة الحسنية

توفي سنة ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م وكان عالماً تخرج عليه كثير من أهل العلم، ومنهم شهاب الدين أحمد المعروف بذكائه المفرط، تعرف إلى أركان الدولة في استانبول، ثم توصل إلى السلطان واجتمع به توفي سنة ٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م، قام الصهاينة بحفر أنفاق تحتها، مما عرضها للتصدع والانهيار[٣٧].

٣٧ـ الزاوية اليونسية :

تقع بباب الناظر بجوار المدرسة الجهاركسية مقابل البارودية غرب المسجد، وتنسب للمتصوفة أتباع الطريقة اليونسية، وقيل أنها كانت كنيسة ثم حولت إلى زاوية سنة ٧٩١هـ(٣٨).

هوامش ومصادر زوايا بيت المقدس :

١ـ التربية عبر التاريخ لعبد الدائم ١٦١ ـ ١٦٢، موسوعة بيت المقدس لشراب ١/ ٤٦٣، معجم دمشق التاريخي للشهابي ٢/ ٣٣١، مدارس أنشأتها نساء للخربوطلي ٥٠

٢ـ الأنس الجليل، المفصل ٧٢١، موسوعة بيت المقدس ١/ ٤٠٥ و ٢/ ٥٣٩ ـ ٤٦٤

٣ـ الأنس الجليل ٢/ ٤٦، موسوعة بيت المقدس ١/ ٤٦٨.

٤ـ موسوعة بيت المقدس ١/ ٨٩ ـ ٤٦٦ و ٢/ ٩١٨ ـ ٩١٩.

٥ـ موسوعة بيت المقدس ١/ ٨٣ ـ ٨٦ ـ ٤٦٨، تاريخ القدس لطه مارديني ١١٢، المفصل ٤٤٢.

٦ـ الأنس الجليل، ٢/ ٢٣ ـ ٤٨ ـ ١٦٢ ـ ١٩٤، الدرر الكامنة ٢/ ٣٦٤، شذرات الذهب ٦/ ٣٣٣، القدس في التاريخ لزكار ٦/ ١٥٧ ـ ١٥٩، المفصل ٧٢١ ـ ٧٢٢، موسوعة بيت المقدس ١/ ٤٦٤ و ٢/ ٦١٩.

٧ـ الأنس الجليل، المفصل، موسوعة بيت المقدس ١/ ٤٦٧.

٨ـ الأنس الجليل ٢/ ٤٦.

٩ـ موسوعة بيت المقدس ١/ ٤٦٧.

١٠ـ الأنس الجليل ٢/ ١٣ ـ ٣٤ ـ ١٤٤ ـ ١٧٥ ـ ٢٠٧ ـ ٢٠٨، المفصل ٣٦٨، موسوعة بيت المقدس ١/ ٩٧ ـ ١٤٣ ـ ٤٦٥ و ٢/ ٩٠٤.

١١ـ المفصل ٧٢٣ ـ ٧٢٤، موسوعة بيت المقدس ١/ ٤٦٥.

١٢ـ موسوعة بيت المقدس ١/ ٩٩.

١٣ـ الأنس الجليل ٢/ ٤٨، المفصل ٧٢١، موسوعة بيت المقدس ١/ ١٤١ ـ ٣٨٣ ـ ٥٣٦.

١٤ـ الأنس الجليل ٢/ ٤٧ ـ ٤٩، موسوعة بيت المقدس ١/ ٤٦٦.

١٥ـ المفصل ٧٢١، موسوعة بيت المقدس ١/ ٤٦٥.

١٦ـ الأنس الجليل، ٢/ ٤١ ـ ٤٢، موسوعة بيت المقدس ١/ ٤٦٦ ـ ٥١٧.

١٧ ـ ١٨ـ الأنس الجليل ٢/ ٤٥، موسوعة بيت المقدس ٢/ ٤٦٦.

١٩ـ الأنس الجليل ٢/ ٤٧.

٢٠ـ المفصل ٧٢٢، موسوعة بيت المقدس ٤٦٨.

٢١ـ الأنس الجليل ٢/ ٤٩.

٢٢ـ الأنس الجليل ٢/ ٢٠٤، موسوعة بيت المقدس ١/ ٤٦٦ و ٢/ ٨٢١ ـ ٨٢٢.

٢٣ـ الأنس الجليل ٢/ ١٦٠ ـ ١٦١، الدرر الكامنة ٣/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧، موسوعة بيت المقدس ١/ ٤٦٨ و ٢/ ٨٨٢.

٢٤ـ موسوعة بيت المقدس ١/ ٤٦٩.

٢٥ـ الأنس الجليل ٢/ ٤٧ ـ ٤٨، المفصل ٧٢١، موسوعة بيت المقدس ١/ ٤٦٨.

٢٦ـ الأنس الجليل ٢/ ٤٢، موسوعة بيت المقدس ١/ ٤٦٧.

٢٧ـ الأنس الجليل ٢/ ٢٤.

٢٨ـ المفصل ٧٢٢ ـ ٧٢٣.

٢٩ـ الأنس الجليل ٢/ ٢٣، موسوعة بيت المقدس ١/ ٤٦٧ و ٢/ ٨٢٠.

٣٠ـ المفصل ٧٢٤ ـ ٧٢٦، موسوعة بيت المقدس ١/ ٢٧٠ ـ ٤٦٨، لواء القدس في أواسط العهد العثماني لعادل مناع ٣٢.

٣١ـ الأنس الجليل ٢/ ٤٦، خطط الشام ٦/ ١٤٩، الضوء اللامع ٣/ ١٨٧، القدس في التاريخ ٦/ ١٥٥ ـ ١٥٧، موسوعة بيت المقدس ١/ ٤٦٨.

٣٢ـ الأنس الجليل ٢/ ٢٨، موسوعة بيت المقدس ١/ ٤٦٧.

٣٣ـ المفصل ٧٢٠، موسوعة بيت المقدس ١/ ٤٦٨.

٣٤ـ الأنس الجليل ٢/ ٤٨، المفصل ٧٢١، موسوعة بيت المقدس ١/ ٤٦٨.

٣٥ـ الأنس الجليل ٢/ ٣٧ـ ٤٧ ـ ١٨٥ ـ ١٨٦ ـ ١٩٣ ـ ١٩٤ ـ ٢١١ ـ ٢١٢ـ ٤٣٤، خطط الشام ٦/ ١٤٨، الضوء اللامع ١/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠ و ٧/ ١٩٦ و ١١/ ٨٤، القدس في التاريخ ٦/ ١٥٤ ـ ١٥٥، موسوعة بيت المقدس ١/ ٤٦٧.

٣٦ـ الأنس الجليل ٢/ ٤٤.

٣٧ ـ الأنس الجليل ٣٧/٢ ـ ٤٧ ـ ١٨٦ ـ ١٩٣ ـ ١٩٤ ـ ٢١١ ـ ٢١٢ ـ ٤٣٤، خطط الشام ١٤٨/٦، الضوء اللامع ٢٥٩/١ ـ ٢٦٠ و٨٤/١١، القدس في التاريخ ١٥٤/٦ ـ ١٥٥، موسوعة بيت المقدس ٤٦٧/١.

٣٨ ـ الأنس الجليل ٢/٤٤.

الخوانق

خوانق بيت المقدس

لم يقتصر التعليم عند العرب والمسلمين على المساجد والمدارس، بل وجدت عندهم مؤسسات أخرى كانوا يتلقون فيها العلم إلى جانب أغراض أخرى أنشئت من أجلها، ومنها الخوانق..

والخوانق جمع خانقاه، ويقال لها الخانكاه، وهي كلمة فارسية الأصل، معناه البيت، ثم أطلقت على دار الصوفية، أو المكان الذي ينقطع فيه بعض الناس للعزلة أو للعبادة، وغالباً ما كانت تبنى على شكل مساجد الصلاة، إلا أن فيها غرفاً عديدة لمبيت الفقراء والصوفية، وبيتاً كبيراً لصلاتهم مجتمعين، وللقيام بأدوارهم وأذكارهم، ولا تقام فيها الجمعة، ولا تضم مئذنة أو منبراً للخطابة، ويؤكد المقريزي في خططه إلى أن بعض الخوانق تقيم دروساً في الفقه والدين والعربية والتصوف والحديث، كما كانوا يجعلون فيها خزائن للكتب والمصاحف، وربما وضعوا فيها بعض الكتب الفلكية وآلاتها، وذكر أن بعض الخوانق رتبت فيه دروس فقه للمذاهب الأربعة، ودروس الحديث، ودروس تعلم القرآن وقراءته

بالروايات السبع، وكان يصرف من أوقافها على العاملين فيها والمدرسين والطلاب والمنقطعين، وقد عرفت الخوانق في كل البلاد العربية والإسلامية، خاصة أيام الأيوبيين والمماليك والعثمانيين، وسميت بالخوانق في القرن السادس للهجرة الثاني عشر للميلاد، وأول من بناها وأعدها للصوفية صلاح الدين الأيوبي، وأول خانقاه: كان بالقدس، وقد عرف باسمه.

ويتميز الخانقاه عن الزاوية أن الخوانق ليست شخصية، فغالباً لها مقام رسمي في الدولة، فهي التي تنفق عليها، وتعين شيوخها بمراسيم سلطانية، وتعد خوانق الفرقة الكرامية من أول الخوانق التي أسست في القدس، وهم أتباع محمد بن كرام المتوفى سنة ٢٥٥هـ، وقد أشار إليها المقدسي في أحسن التقاسيم، وقد انتهى أمره منذ زمن بعيد، أما أول خانقاه بنيت في القدس وما تزال قائمة حتى يومنا هذا، كما أشرنا إليها فهي الخانقاه الصلاحية[1]، ومن خوانق بيت المقدس:

١ــ الخانقاه الصلاحية :

تقع ملاصقة لكنيسة القيامة، وتحيط بها من الشمال والغرب، أنشأها صلاح الدين الأيوبي بعد تحرير بيت المقدس، ووقف عليها أوقافاً كثيرة، وجعلها وقفاً للمتصوفة وللوافدين من أهل الطريقة والمعرفة، أسسها سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م، وهي بالأصل دار البطرك القريبة من كنيسة القيامة، وتم وقفها سنة ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م، وتفيد الوقفية المسجلة في المحكمة الشرعية، أن السلطان تصدق بدار البطرك وعدة عقارات مجاورة، للخانقاه، كما وقف عليها عقارات كثيرة، منها حمام البطرك، وبركة ماملا، وأرض البقعة بظاهر القدس، هذا وقد عُمر المبنى عدة مرات، وعليه منارة بنيت في سنة ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م أيام المماليك ويقوم على أمرها في هذه الأيام جماعة من عائلة العلمي في القدس.

وممن استلم مشيختها الشيخ غانم بن عيسى بن غانم المقدسي، توفي سنة ٧٧٠هـ، والقاضي شرف الدين أبو الروح الأنصاري المتوفى سنة ٧٩٧هـ، الذي نمَّا أوقاف الخانقاه، وبرهان الدين إبراهيم الأنصاري المتوفى سنة ٨٣٩هـ، ومحمد فولاد بن عبد الله المتوفى سنة ٨٤٤هـ، وأبو البركات محمد بن نجم الدين الأنصاري المتوفى سنة ٨٧٨هـ، وأحمد بن محمد الكردي المتوفى سنة ٨٨١هـ،

ومحمد بن عبد الله البغدادي المتوفى سنة ٨٥٥هـ، وجمال الدين عبد الله بن محمد غانم الأنصاري، المتوفى سنة ٨٩٠هـ، ومحمد بن أحمد القلانسي المتوفى سنة ٨٩٣هـ، ومحمد بن أحمد أحمد بن مكي المتوفى سنة ٨٩٧هـ [٢].

٢ ـ الخانقاه الفخرية :

تقع في الجنوب الغربي من باب الحرم، بجوار جامع المغاربة، وبابها من داخل المسجد.

أوقفها القاضي محمد بن فضل الله، ناظر الجيوش الإسلامية المتوفى سنة ٧٣٢هـ، وكان يلقب بفخر الدين، كانت هذه الخانقاه في القرن العاشر الهجري مدرسة، وسكنها في سنة ١٩٦٧م جماعة من عائلة أبي السعود، لكن الصهاينة اليهود هدموها بعد حزيران سنة ١٩٦٧م، بعدما كانت تضم مسجداً وغرفاً تسمى خلاوي، كما هدموا معها زاوية المغاربة وزاوية (أبو مدين).

وعرف من مشايخها شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن حامد المتوفى سنة ١٤٥٠م، وابن محمد المتوفى سنة ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م، وقد درس فيها الشيخ عبد القادر أبو السعود علم الفلك[٣].

٣ ـ خانقاه سنجر :

تقع عند باب شرف الأنبياء الواقع شمال الحرم القدسي.

أمر بإنشائها عبد الله بن عبد ربه بن عبد الباري سنجر، ووقف عليها قرية (بيرنبالا) من القدس، وقرية (مجلا) من أريحا، وفرنا وطاحونا وعلوهما بالقدس، وداراً ومصبنة وستة حوانيت، ووراقة بنابلس، وثلاث حوانيت وأربع طواحين بسلواد[٤].

٤ ـ الخانقاه التنكزية :

تقع عند باب السلسلة، أنشأها الأمير تنكز الناصري سنة ٧٢٩هـ، وكانت مدرسة وخانقاه ودار حديث ومكتب أيتام[٥].

٥ ـ الخانقاه الأسعردية :

تقع شمالي رواق المسجد الأقصى الشمالي، وقفها تاجر يدعى مجد الدين الأسعردي سنة ٧٧١هـ/ ١٣٦٨م، وكانت مدرسة وخانقاه[٦].

٦ ـ الخانقاه الكريمية :

تقع عند باب حطة، وقفها الصاحب كريم الدين بن عبد الكريم بن المعلم هبة الله، سنة ٧١٨هـ/ زارها الرحالة ابن بطوطة سنة ٧٢٦هـ، كما كانت مدرسة أيضاً[٧].

٧ ـ الخانقاه المنجكية :

تقع عند باب الناظر، وقفها الأمير منجك، نائب الشام سنة ٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م، وكانت خانقاه ومدرسة[٨].

٨ ـ الخانقاه الدوادارية :

تقع عند باب العتم، وقفها الأمير علم الدين موسى سنجر بن عبد الله الدوادار الصالحي النجمي، سنة ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م، وقفها على ثلاثين نفراً من المتصوفة من العرب والعجم، كما كانت مدرسة أيضاً[٩].

٩ ـ الخانقاه المولوية :

تقع في حارة السعدية، أنشأتها الدولة التركية لأتباع الطريقة المولوية سنة ٩٩٥هـ/ ١٥٩٦م، وتعرف بالتكية وبالزاوية المولوية[١٠].

هوامش ومصادر الخوانق :

١ ـ التربية عبر التاريخ ١٦٠ ـ ١٦١، خطط المقريزي، ٢/ ٤٢٢، خطط دمشق للعلبي ٣٩٩، خطط الشام لكرد علي، ٢/ ١٣٩، الدارس للنعيمي ٢/ ١٣٩، معجم دمشق التاريخي للشهابي ١/ ٢٤٥، موسوعة بيت المقدس ١/ ٣٩١.

٢ ـ الأنس الجليل ١/ ٣٠٢ و ٢/ ٤٧ ـ ١١٩ ـ ١٢٧ ـ ١٤٢ ـ ١٤٣ ـ ١٤٦ ـ ١٥٨ ـ ١٧١ ـ ١٩٥ ـ ١٩٨ ـ ٢٠٤ ـ ٢١٠، المفصل ٢٨٩، موسوعة بيت المقدس ١/ ٣٩٠.

٣ ـ الأنس الجليل ٢/ ٣٤ خطط الشام ٦/ ١٤٨، الدرر الكامنة ٤/ ٢٥٥، الدارس ١/ ١٨٣ ـ ١٩٣ ـ ٤٣١، الضوء اللامع ٢/ ١٧٣ و ٧/ ٨٤ القدس في التاريخ ٦/ ١٥٣.

٤ ـ المفصل ٧٢٤.

٥ ـ موسوعة بيت المقدس ١/ ٣٩١.

٦ ـ موسوعة بيت المقدس ١/ ٣٩٢.

٧ ـ الأنس الجليل.

٨ ـ موسوعة بيت المقدس ١/ ٣٩٢.

٩ ـ موسوعة بيت المقدس ١/ ٣٩١.

١٠ ـ موسوعة بيت المقدس ١/ ٣٩٢.

الرباط والرُّبط في القدس

الرباط والرَّبط في القدس :

الرباط والمرابطة ملازمة القرى والمدن والمواقع التي تكون حدوداً، أو قريبة من الحدود التي تحاذي بلاد الأعداء، وهو ما يسمى الثغور الإسلامية، وأصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيله، ثم صار لزوم الثغر رباطاً، وربما سميت الخيل أنفسها رباطاً، وكان كثير من الناس يحبسون السكن في المدن الساحلية في بلاد الشام ومصر، لأنها ثغور قد تأتي الأعداء منها، وبلاد الشام بعامة، وبلاد فلسطين بخاصة، بلاد رباط، لأنها مقصودة من الأعداء، والذين يثبتون في بلاد الإسلام إذا احتلها الأعداء بعسكرهم، هم مرابطون أيضاً.

وفيم بعد اتخذ اسم الرباط معنى اجتماعياً مدنياً، فقد يكون الرباط مأوى للفقراء والعجزة والأرامل، وقد يكون الرباط مكاناً لتوفير الطعام المجاني للمسافرين، وقد يكون مركزاً للمتصوفة إذا تفرغوا للعبادة وطلب العلم، فقد كانت توجد المكتبات في بعض الرُّبط، وأشهر الربط في القدس تعود إلى العصرين

الأيوبي والمملوكي، وكان ينزل فيها الحجاج مجاناً لأنها كانت تستفيد من الأوقاف الكثيرة الموقوفة عليها.[١]

ومن أشهر ربط بيت المقدس:

١ ـ **الرباط الصلاحي:** الذي أنشأه صلاح الدين الأيوبي، بقرب كنيسة القيامة، وبعضه راكب على ظهر الكنيسة، أوقفه للمتصوفة، وقد ذكرته في باب الخوانق (الخانقاه الصلاحية)[٢].

٢ ـ **الرباط الحموي:** يقع عند باب القطاعين، وكان مؤلفاً من رباطين طابقين فوق بعضهما، أحدهما للرجال، والآخر للأرامل من النساء، ولم يعرف مؤسسه أو واقفه[٣].

٣ ـ **رباط الملك الأوحد نجم الدين** :يقع بباب حطة، أنشأه الملك الأوحد نجم الدين يوسف بن الملك الناصر داود بن الملك المعظم عيسى، ولي نظر القدس والخليل سنة ٦٩٤هـ، سمع من عدة علماء، وروى عنه عدة علماء، توفي سنة ٦٩٨هـ، ودفن برباطه المعروف بالمدرسة الأوحدية[٤].

٤ ـ **رباط المارديني:** يقع بباب حطة مقابل المدرسة الكاملية، بجوار التربة الأوحدية.ينسب وقفه لامرأتين من عتقاء الملك الصالح صاحب ماردين، وشرط الوقف فيه أن لا يقيم فيه إلا من يرد القدس من ماردين، وذلك في سنة ٧٦٣هـ[٥].

٥ ـ **رباط الزمني:** يقع غربي المسجد الأقصى، بباب المتوضأ، تجاه المدرسة العثمانية.

أوقفه الخواجا شمس الدين محمد بن الزمن، أحد خواص الملك السلطان الأشرف قايتباي، وكان بناؤه في سنة ٨٨١هـ/ ١٤٧٦م، وكانت وفاة الواقف في سنة ٨٩٧هـ(٦).

٦ ـ رباط بايرام جاويش: يقع في حارة الواد، أنشأه بايرام جاويش، سنة ٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م في العهد العثماني، وفيه ضريح الواقف وفيه المدرسة الرصاصية[٧].

٧ ـ رباط علاء الدين البصير :يقع بباب الناظر، تجاه الرباط المنصوري بالقرب من جهة الغرب، أوقفه الأمير علاء الدين أيدغدي عبد الله الصالحي النجمي، كان من كبار أمراء دولة الظاهر بيبرس، وبعدما فقد عمله اتخذ القدس مقاماً له، فولي نظر الحرمين الشريفين أيام بيبرس، ثم أيام المنصور قلاوون، وأوقفه في سنة ٦٦٦هـ/ ١٢٦٣م، توفي سنة ٦٩٣هـ/ ١٢٩٤م ودفن برباطه بعد أن ترك عدة منشآت بالقدس ويعرف بالرباط النجمي[٨].

٨ ـ رباط الكرد :يقع بباب الحديد، بجوار السور من الجهة الغربية تجاه المدرسة الأرغونية.

أنشأه المقر السيفي كرد صاحب الديار المصرية في سنة ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م، أيام السلطنة الأولى للسلطان محمد بن قلاوون.

تحول الرباط إلى دار للسكن من قبل عائلة الشهابي، وتصدع البناء كثيراً وصار معرضاً للانهيار إثر عمليات الحفر التي قام بها الصهاينة اليهود أسفلها لأجل الأنفاق، وشهد انهياراً جزئياً سنة ١٩٧١[٩].

٩ ـ الرباط المنصوري : يقع بباب الناظر، بالقرب من المسجد من جهة الغرب، تجاه رباط البصير، قبلي الطريق الموصلة إلى المسجد الأقصى عن باب الناظر.

أنشأه الملك المنصور قلاوون الصالحي سنة ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م، ووقفه على الفقراء من زوار القدس، تحول أيام الأتراك إلى سجن، فعرف بسجن الرباط حيث تحولت المبرَّة إلى مظلمة، وهو مؤلف من قاعات وغرف وخلوات، كما كانت تقام فيه مجالس العلم[١٠].

هوامش ومصادر الربط في بيت المقدس :

١ ـ التربية عبر التاريخ ١٥٦، خطط المقريزي ٤/ ٢٩٦، التربية عند العرب لخليل طوطح ١٦١، مدارس أنشأتها نساء للخربوطلي ٥٣ ـ ٥٥، المدارس في بيت المقدس ٢/ ٢٧٠، موسوعة بيت المقدس ١/ ٤٣٨.

٢ ـ موسوعة بيت المقدس ١/ ٤٣٩.

٣ ـ موسوعة بيت المقدس ١/ ٤٤٠.

٤ ـ الأنس الجليل ٢/ ٢٧١، القدس في التاريخ ٦/ ١٦١.

٥ ـ الأنس الجليل ٢/ ٣٧ ـ ٤٢، القدس في التاريخ ٦/ ١٦١.

٦ ـ الأنس الجليل ٢/ ٣٦، موسوعة بيت المقدس ١/ ٤٣٩.

٧ ـ موسوعة بيت المقدس ١/ ٤٤٠، تاريخ القدس لمارديني ١٠٨.

٨ ـ الأنس الجليل ٢/ ٤٣ ـ ٢٧٠ ـ ١٧١، القدس في التاريخ ٦/ ١٦٠، المدارس في بيت المقدس ٢/ ٢٢١، موسوعة بيت المقدس ١/ ٤٣٩.

٩ ـ الأنس الجليل ٢/ ٣٧، القدس في التاريخ ٦/ ١٦١، المفصل ٣٧٦، موسوعة بيت المقدس ١/ ٤٣٩ و ٢/ ٨٢٠.

١٠ ـ الأنس الجليل ٢/ ٤٣ ـ ٨٨ ـ ٨٩، خطط الشام ٦/ ١٤٩، القدس في التاريخ ٦/ ١٦٠ ـ ١٦١، مدارس بيت المقدس، ٢/ ٢٢٢، المفصل ٣٧٦، موسوعة بيت المقدس ١/ ٤٣٩ و ٢/ ٨١٩ المعاهد المصرية في بيت المقدس لأحمد سامح الخالدي ١٨.

تكايا بيت المقدس

عدَّ أوليا جلبي الرحالة التركي، تكايا القدس سنة زيارته فقال: وتوجد في القدس تكايا لسبعين طريقة صوفية، منها الكيلانية والبدوية والسعدية والرفاعية والمولوية، أكثرهم أهل ذوق وأهل طرق ودراويش متصوفون (طبعا خلط بيت الزوايا والتكايا).

وكلمة تكية غامضة وفي تفسيرها اجتهادات، فبعضهم قال: التكية كلمة تركية، شبيهة في مدلولها بمدلول الخانقاه والزاوية والرباط، والمعنى العام للتكية أنها منشأة لتقديم الطعام المجاني للفقراء، وربما كانت تحتوي غرفاً لسكناهم، وقد يوضع اسم التكية في العصر التركي على زاوية أو رباط كان مبنياً من قبل.

ويقال إن التكية مأخوذ من الفعل العربي (وكأ واتكا) بمعنى استند أو اعتمد، ومن معاني كلمة تكية بالتركية، الاتكاء والتوكؤ والاستناد إلى الشيء للراحة والاسترخاء، ومن هنا تكون التكية، بمعنى مكان الراحة والاعتكاف.

وقيل إن كلمة تكية فارسية بمعنى جلْد لأن شيوخ الزوايا الصوفية كانوا يجعلون جلد الخروف شعاراً لهم.

وكانت تطلق عند الأتراك العثمانيين على ثلاثة أشياء، مقام أو مزار أحد الأولياء، وزاوية أو خانقاه يقيم فيه الصوفية، وخان أو نُزُل لراحة الحجاج والمسافرين، ثم استقرت على ما ذكرناه، وقد اهتم العثمانيون بالتكايا على حساب المدارس(١).

١ ـ التكية المولويّة :

تقع بحارة السعدية في القدس، أنشأها قومندان القدس (خداوند كاربك) سنة ٩٩٥هـ/ ١٥٨٦م، تقدمت تكايا الدولة العثمانية التي أنشأتها لأتباع الطريقة المولوية، التي كان بنو عثمان يؤيدونها ويشجعونها، لذلك كان تعيين شيخ هذه التكية يأتي من أعلى شيخ للمولوية في قونية بالأناضول التركية، وكانت مؤلفة من طابقين، وبناؤها جميل متواضع، ولها أملاك وأوقاف للإنفاق عليها، لكنها كلها

اندثرت، وقد زارها سنة ١١٠١هـ عبد الغني النابلسي وذكرها في رحلته، ويذكر شراب أنها كانت في الأصل كنيسة صليبية حولها الأتراك إلى مسجد، ثم بنوا فوقها طبقة ثانية[٢].

٢ ـ تكية النبي موسى :

في أواسط القرن ٧هـ/ ١٣م بنى الظاهر بيبرس مقام النبي موسى، بين القدس وأريحا، وقد أوجد مع المقام تكية على ظهرها غرف تشبه الخانات للنوم والإقامة خدمة لزوار مقام النبي موسى، وكان هؤلاء الزوار يفدون في شهر نيسان من كل عام على وجه الخصوص، ووقف بيبرس الأوقاف التي تدر على التكية مبالغ كافية لإطعام حشد كبير من الزوار طوال وجودهم هناك[٣].

٣ ـ تكية خاصكي سلطان :

تقع في عقبة المفتي، شرقي دار الأيتام الإسلامية، التي أنشأتها خاصكي سلطان زوجة السلطان سليمان الأول سنة ٩٥٩هـ، ١٥٥٢م واسمها روكسيلانة وأصلها من يهود روسيا، وهي غير تربة أو دار الست المنشأة من عصر المماليك، وقفت عليها أوقافاً كانت منتشرة في سناجق القدس وغزة وصفد وصيدا، أشرف على بنائها الأمير بايرام جاويش بن مصطفى الذي أشرف على عمارة سور القدس، وبقيت تقدم الطعام للفقراء في ستينيات القرن العشرين، تعد من أهم المنشآت العثمانية في القدس، فهي مجمع ديني كبير.

فيه رباط للمتصوفة والفقراء ومطبخ ومدرسة وجامع، وقد تركت روكسيلانة عدة منشآت خيرية من مساجد وتكايا وحمامات في استانبول ومكة وأدرنة وغيرها من البلاد[٤].

هوامش ومصادر تكايا بيت المقدس

١ ـ موسوعة بيت المقدس ١/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨، معجم الشهابي ١/ ١٠٠.

٢ ـ موسوعة بيت المقدس ١/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨.

٣ ـ موسوعة بيت المقدس ١/ ٢١٨.

٤ ـ القدس في التاريخ ٦/ ١٦٧، موسوعة بيت المقدس ١/ ٢٠٨، المفصل للعارف ٤١٣ ـ ٤٦٩، لواء القدس في أواسط العمد العثماني لعادل مناع ٤ ـ ١٦.

مدارس القدس

العربية الإسلامية الحديثة

مدارس القدس العربية والإسلامية لغاية سنة ١٩٤٥م :

حسب سجلات مصلحة التربية والتعليم الحكومية بتاريخ ٣١ كانون الأول سنة ١٩٤٥م، نرى أن القدس فيها سبع مدارس إسلامية خصوصية وهي:

١ ـ دار الأيتام الإسلامية: مدرسة صناعية وعلمية، أسسها المجلس الإسلامي الأعلى برئاسة المفتي أمين الحسيني، وذلك في سنة ١٩٢١م، وتعلم أيتام المسلمين التجارة والطباعة والحدادة وتجليد الكتب وصنع الأحذية.. وعدة مهن أخرى، كل ذلك مع القراءة والكتابة والحساب، وينفق عليها المجلس الإسلامي من مال الوقف[١]

٢ ـ مدرسة البنات الإسلامية[٢]

٣ ـ كلية روضة المعارف الوطنية :

تأسست في سنة ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م، أما مؤسسوها فهم الشيخ محمد الصالح، وحسن أبو السعود، واسحاق درويش، وعبد اللطيف الحسيني وكان للنادي العربي دور في تأسيسها. فيها قسم ابتدائي وآخر استعدادي وثالث علمي، ولها مكتبة ومجلة وجمعية للطلاب، وخريجوها يقبلون في المعاهد العلمية بسوريا ومصر وتركيا، ويؤازرها المجلس الإسلامي الأعلى، وفيها قسم داخلي وكانت تعلم بالفصحى، وتعتني بإذكاء الروح الوطنية من ناحية قومية ومكانها المدرسة الجاولية، وبعد أن استولت القوات البريطانية عليها طردت الطلاب منها، فانتقلوا إلى دار موسى كاظم الحسيني في حي باب الساهرة، وتابعت رسالتها حتى عام النكبة سنة ١٩٤٨.(٣)

٤ ـ **الكلية الإبراهيمية:** تقع في حي المصرارة، يقول العارف وهي اليوم في حي باب الساهرة، أسست في القدس سنة ١٩٣١، ومؤسسوها الشيخ راشد القاسمي، وإبراهيم عبد المعطي بدر، ونهاد أبو غربية، أضيف إليها سنة ١٩٣٧ قسم داخلي، كانت ابتدائية وصارت في سنة ١٩٤١ ثانوية، وطلابها يقبلون في الفحوص المعروفة بـ (المترك) كان فيها في سنة ١٩٣١م خمسون طالب، صار فيها سنة ١٩٤٤ خمسمئة طالب، منهم خمسة وستون طالباً داخلياً(٤).

٥ ـ المدرسة المحمدية (٥)

٦ ـ مدرسة الفلاح (٦)

٧ ـ مدرسة الحكمة (٧)

وفي القدس (١١) مدرسة حكومية عربية (إسلامية ومسيحية)، وهي:

٨ ـ **الكلية العربية:** تأسست سنة ١٩١٨م، وكانت تسمى دار المعلمين، ثم عرفت باسم الكلية العربية، وكانت غايتها إعداد المعلمين للعمل في المدارس الابتدائية، وبعض الصفوف الثانوية، وكان طُلابها يُختارون على أساس أفضل طالبين أو ثلاثة ممن أنهوا الصف الثاني الثانوي في كل مدرسة حكومية بفلسطين، فكان الطالب يكمل دراسته الثانوية ثم يتقدم لامتحان (المترك) الفلسطيني، كان

بناؤها مستأجراً لمدة سنوات، ثم تمَّ نقلها إلى مقرها الجديد في جبل المكبر، وممن تخرج منها.. نقولا زيادة، إحسان عباس، توفيق الصايغ، جبرا إبراهيم جبرا، عبد الله الريماوي[٨].

٩ ـ **دار المعلمات**، تأسست سنة ١٩١٩م، وبقيت في نهاية عهد الانتداب البريطاني، وبعد سنة ١٩٤٨م لم يعلم مصيرها أو مآلها، وهكذا في سنة ١٩٦٧(٩).

١٠ ـ المدرسة البكرية.[١٠]

١١ ـ مدرسة المصرارة.[١١]

١٢ ـ المدرسة العمرية.[١٢]

١٣ ـ الكلية الرشيدية: تقع تجاه السوربيات الساهرة، أنشئت في زمن السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٩٠٦م، وقيل سميت بالرشيدية نسبة إلى أحمد رشيد بك متصرف القدس، كما قيل لأنها بنيت في زمن السلطان محمد رشاد سنة ١٩٠٨م.[١٣]

١٤ ـ مدرسة الشيخ جراح.[١٤]

١٥ ـ مدرسة العلوية.[١٥]

١٦ ـ مدرسة البقعة.[١٦]

١٧ ـ المدرسة المأمونية القديمة: نسبة إلى الأمير فارس الدين أبي سعيد ميمون بن عبد الله القصري، خازن صلاح الدين، وهو الذي وقفها سنة ٥٩٣هـ/ ١١٩٦م، تقع عند باب الساهرة، اتخذها الأتراك في سنة ١٨٩٢م مدرسة، وبعد الاحتلال الإنكليزي صارت مدرسة للبنات تابعة لمصلحة المعارف العامة.[١٧]

١٨ ـ المدرسة المأمونية الجديدة.[١٨]

١٩ ـ كلية النهضة: مدرسة عربية ثانوية خاصة للبنين، أسسها في القدس سنة ١٩٣٨ خليل السكاكيني وشكري الحرامي ولبيب غليمة، استمرت في أداء رسالتها حتى سنة ١٩٤٨م.[١٩]

٢٠ ـ معهد الحقوق الفلسطيني بالقدس، كان موجوداً في القدس وتخرج فيه عدد من المحامين العرب، وبعد النكبة لم يعد يذكر أبداً.[٢٠]

هوامش ومصادر مدارس القدس العربية

الإسلامية لغاية سنة ١٩٤٥م:

١ ـ ٢ ـ ٣ ـ المفصل في تاريخ القدس ٦٥١، موسوعة بيت المقدس ١/ ٤٥٨ ـ ٤٥٩ و ٢/ ١٠٤٣.

٤ ـ المفصل ٦٥١، موسوعة بيت المقدس ٢/ ٨٣٣.

٥ ـ ٦ ـ ٧ ـ المفصل ٦٥٢.

٨ ـ المفصل ٦٥٢، موسوعة بيت المقدس ٢/ ٨٣٥.

٩ ـ المفصل ٦٥٢، موسوعة بيت المقدس ١/ ٤٠٦.

١٠ ـ ١١ ـ ١٢ ـ المفصل ٦٥٢.

١٣ ـ المفصل ٤٧٠ ـ ٦٥٢، موسوعة بيت المقدس ٢/ ٨٣٦.

١٤ ـ ١٥ ـ ١٦ ـ المفصل ٦٥٢.

١٧ ـ المفصل ٦٥٢، موسوعة بيت المقدس ٢/ ٩١٦.

١٨ ـ المفصل ٦٥٢.

١٩ ـ موسوعة بيت المقدس ٢/ ٨٣٥، المفصل ٦٥٣.

٢٠ ـ موسوعة بيت المقدس ٢/ ٩٧٥.

المدارس المسيحية في القدس الشريف

كانت الطوائف المسيحية تعيش كلها في القدس، وكان لكل طائفة عدة مدارس في المدينة والقرى وإن كان عدد سكان القرية لم يتجاوز المئة إلا قليلاً.

فقد عاشت الطوائف كلها في القدس، التي كانت موجودة قديماً، أو دخلت في أواخر الحكم العثماني عبر الإرساليات واندمجت في جسم الدولة العثمانية مع احتفاظهم بكياناتهم الدينية، وقوانينهم الخاصة، حيث منح نظام الملل لهم حقوقاً مدنية ودينية (نظام الملل صدر في سنة ١٤٥٤م في عهد السلطان محمد الفاتح الذي بني على أسس إسلامية مستنبطة من المذهب الحنفي الرسمي للدولة فأعطى الحرية الدينية لكافة الطوائف بما يتفق مع الشريعة الإسلامية، وانتخاب الرؤساء الدينيين من قبل أفراد الملة، على أن يقترن تعيين البطريرك أو الأسقف المنتخب بصدور البراءة السلطانية، ومنح رؤساء الطوائف حق رعاية الشؤون العامة

والشخصية لطوائفهم، وجعل لهم سلطة سياسية لم يكونوا يتمتعون بها قبل الفتح العثماني للقسطنطينية، في ظل الدولة البيزنطية نفسها).

وطالما سأتكلم عن مدارس الطوائف المسيحية في هذا الفصل، لذلك ارتأيت أن أتكلم عن هذه الطوائف ولو قليلاً.

١ ـ طائفة الروم الأرثوذكس

مثّلت طائفة الروم الأرثوذكس أغلبية مسيحيي القدس في القرن التاسع عشر وكانت الأكثر نفوذاً، وأسمى الكنائس رتبة بوصفها ممثلة لعشرة ملايين من رعايا السلطان الأرثوذكس (في القرن ١٩م) ولحماية روسيا لها، ولكونها وجدت قبل فتح المسلمين للقدس من قبل الخليفة عمر بن الخطاب، وتألفت هذه الطائفة إلى حد كبير من العرب ومن الرهبان اليونانيين الذين سيطروا عليها، ومن أتباع الكنيسة الأرثوذكسية الذين جاؤوا من مختلف المناطق كاستانبول وبروسيا وقبرص.

سيطرت الطائفة على أغلب الأماكن المقدسة في القدس وجوارها بدعم من الدولة العثمانية، وتقدَّمت على الطوائف الأخرى في إجراء المراسيم الدينية أوقات الحج والأعياد وكان أعلى سلطة دينية للكنيسة الأرثوذكسية البطريرك الذي ينتخب من قبل أعضاء الطائفة، ويصادق على تعيينه السلطان، بإصدار البراءة السلطانية، ويقيم البطريرك بالآستانة، ويدافع عن حقوقهم، ويحرص على إصدار الفرمانات لصالحهم من قبل السلطان، ويدير شؤون الكنيسة في القدس من خلال وكلاء عنه من الرهبان.

وبعد سنة ١٨٤٥ صار البطريرك يقيم في القدس، وكان سوء الأوضاع الاقتصادية سبباً رئيسياً في انتقاله كما أدى التدخل الروسي دوراً في نقل مقر إقامته إلى القدس.

حدث صراع عنيف بين الرهبان العرب واليونانيين بسبب سيطرة اليونانيين على المناصب الدينية العليا (البطاركة وأرشمندريت)، في حين حرم العرب من الانضمام إلى رتبهم، وانحصرت وظائفهم من الناحية الدينية على (خوري، قس،

شماس) ولم يكن لهم أيٌّ سيطرة على الناحية الإدارية والمالية داخل الأديرة، واقتصر دورهم على القيام بالقداس الديني اليومي في الدير الرئيسي وملحقاته وفروعه، كما أخذوا عليهم سيطرتهم على الأوقاف، وتصرفهم بها في غير ما رُصدت له، لذلك اشتد النزاع في سنة ١٩١٤ بينهم ونظم المسيحيون العرب المظاهرات احتجاجاً ضد سياسة الكهنة اليونان، فأرسلت الحكومة المركزية والي سوريا ناظم باشا للتحقيق في أسباب النزاع، وطالب المسيحيون العرب بالمشاركة في انتخاب البطريرك، وأن يُسمح لهم في الدخول في سلك الرهبنة والترقي في الدرجات الكهنوتية كلها بحسب الأهلية، ولكن هذه المطالب لم تنفذ وبقيت الغلبة للعنصر اليوناني نظراً لما يتمتعون به من نفوذ كبير في دوائر الحكم المحلي، وبما بذلوه عن أموال لكبار الموظفين.

٢ ـ طائفة الروم الكاثوليك:

انشقت عن طائفة الروم الأرثوذكس ١٧٢٤م، واضطهدهم الأرثوذكس بمساعدة الدولة العثمانية في البداية، ويرجع وقوف الدولة العثمانية إلى جانب الروم الأرثوذكس في صراعهم مع الروم الكاثوليك إلى:

ـ أن الدولة العثمانية لم تكن في ذلك الوقت تعترف بالطوائف التي انشقت عن أصولها.

ـ لأن الدولة العثمانية نظرت إلى الأرثوذكس على أنهم وطنيون فوصفتهم السجلات برعايا مولانا السلطان، وأما الكاثوليك فهم من أتباع أوربا أعداء الدولة العثمانية.

ولم يكن لكنيسة الروم الكاثوليك ثقلاً دينياً ومدنياً في القدس، لقلة أتباعها مقارنة بالكنائس الأخرى، ولتأخر اعتراف الدولة العثمانية بها، ولأنها سورية المنشأ، ثم امتدت إلى القدس ولكن بقي مركز ثقلها في سوريا، لذا مثّل هذه الكنيسة نواب بطريركيون، وأتباعها في القدس من أصول أوروبية، أغلبها أسباني وإيطالي وألماني، ومنهم عرب مهاجرون من بلاد الشام.

وفي ظل عدم الاعتراف بالروم الكاثوليك كطائفة مستقلة تدخلت الحكومات الفرنسية والنمساوية، وأجبرتا السلطان محمود الثاني على الاعتراف بهذه الطائفة في ٢٤ آذار سنة ١٨٣٣م، وصار البطريرك يعين بموجب البراءة السلطانية.

٣ ـ طائفة الأرمن

اعترفت الدولة العثمانية بالأرمن سنة ١٤٦١م، والأرمن الذين يعيشون في القدس قدموا من كردستان ومن ولاية حلب، وطائفة الأرمن من أكثر طوائف المسيحيين اعتدالاً وغنى، اعتمدوا في مصادرهم على عملهم بالتجارة وقدوم الحجاج، فضلاً عن التبرعات التي كانت تحصل عليها من الخارج.

وكانت طائفة الأرمن في القدس تضم بين أطرافها علاوة على الأرمن الأصليين جميع رعايا السلطان الآخرين غير المعترف بملتهم، كالسريان، والأحباش، والأقباط، وقد علّل بروكلمان هذه التبعية لضعفهم.

وأعلى سلطة دينية للكنيسة (البطريرك) الذي شملت صلاحياته مدن غزة وطرابلس ونابلس وطوائف الأحباش والأقباط، ولكنه لم يتمتع بالاستقلال في إدارة شؤون البطريريكية في القدس، فكان يخضع لسيطرة بطريرك الأرمن في القسطنطينية، كما أنه لا يعين على البطريركية في القدس إلا بعد موافقة بطريرك الأستانة، ولم يحصل على استقلاله عنه إلا في سنة ١٩١٧م.

٤ ـ طائفة اللاتين

بعد طرد الصليبيين سنة ١٢٩١م، بقي عدد من أتباع الكنيسة اللاتينية في بلاد الشام، وأشرفت على إدارة شؤونهم الأخوية الفرنسيسكانية التي عُهد إليها حراسة بعض الأماكن المقدسة وخدمة الحجاج الفرنج، واعترف بها سلاطين المماليك سنة ١٣٤٢م، وكانت الطائفة اللاتينية محرومة من رئيس كنسي (بطريرك) مقيم في القدس حتى أواسط القرن التاسع عشر إلى أن نصب البابا (بيوس التاسع ١٨٤٦ ـ ١٨٧٨ يوسف فاليركا) بطريركا لكرسي أورشليم سنة ١٨٤٧م. وارتبطت إعادة إحياء البطريركية اللاتينية بمجموعة من الظروف

التاريخية، منها احتلال محمد علي باشا بلاد الشام وفلسطين سنة ١٨٣١م، وإطلاقه الحريات الدينية، وأطلق الوجود البروتستانتي في فلسطين من خلال إنشاء الأسقفية الإنكليكانية سنة ١٨٤١م، مطالبة اللاتين بإيجاد توازن مع النشاط البروتستانتي الغربي واليوناني الأرثوذكسي في القدس، ففي ١٤ كانون الثاني سنة ١٨٤٢م تم اتخاذ قرار بتعيين أسقف لاتيني. وعند ظهور البطريركية اللاتينية كان عدد طائفة اللاتين نحو أربعة آلاف نسمة، ولهم ثماني كنائس في القدس وبيت لحم والناصرة ويافا وعكا وحيفا والرملة وعين كارم، وعاش الرهبان اللاتينيون بدير تراسانطة، وأغلبهم من أصول أوربية كأسبانيا وإيطاليا، وعربية كحلب ولبنان والإسكندرية والموصل، وكان أغلب الرهبان من الفلاحين الملتزمين دينياً.

٥ ـ طائفة الأقباط

وصلت أول جماعة من الأقباط إلى القدس في منتصف القرن الرابع الميلادي لتحضر تدشين كنيسة القيامة التي بنتها الملكة هيلانة سنة ٣٣٥م، وكانوا تحت نظارة الأرمن وحمايتهم بالقدس، وكانت طائفة الأحباش في القدس تتبع الأقباط، فرئيس ديرهم كان يعيش من لدن بطريرك الأقباط في مصر، لذلك امتازت علاقاتهم في ما بينهم بالوُدْ، فعاشوا معاً في دير السلطان، وكان يتبعهم أيضاً طائفة السريان.

عاش الأقباط في حارة النصارى بالقدس، ومثّلوا طبقة فقيرة فيها لكن أحوالهم تحسنت مع الحكم المصري لبلاد الشام، فازدادت أعدادهم، وبنوا سنة ١٨٣٩م على يد المطران الابن (إبراهام) خان القبط بمحلة النصارى، وبني فوقه دير لزائري القدس من الأقباط.

٦ ـ طائفة الأحباش

وصلت أول طائفة من الأحباش إلى القدس في منتصف القرن الرابع الميلادية لمناسبة تدشين كنيسة القيامة، وهم ينتمون إلى الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية، وكانوا يتبعون البطريركية القبطية، وملك الأحباش العديد من الأماكن

الدينية في القدس، إلا أنهم فقدوها في القرن السابع عشر بسبب الضرائب الباهظة التي فرضها العثمانيون عليهم، واعتداء الأرمن عليهم، لذلك عاشوا في دير السلطان مع الأقباط، ومثلوا طبقة فقيرة، وعندما رمم الدير سنة ١٨٢٠ أخلوا الغرف التي كان يقيم فيها الرهبان الأحباش، وفي أوائل القرن التاسع عشر ساءت حالتهم وتناقص عددهم خاصة بسبب طاعون سنة ١٨٣٧، وازدادت تعديات الطوائف المسيحية الأخرى عليهم، ولم يتحسن حالهم إلا في أواخر القرن التاسع عشر بعد أن تولى رئاسة الأحباش الخوري جرجس أفندي ولد حنا ولد إبراهيم الحبشي الذي تمكن من إيصال توسلات الأحباش إلى النجاشي يوحنا ملك الحبشة الذي أرسل الأموال اللازمة لسد حاجة الأحباش، عند ذلك تمكنوا من المحافظة على بعض أملاكهم، واشتروا قطعة أرض خارج أسوار القدس بجهة باب العامود لبناء كنيسة للأحباش.

٧ ـ طائفة السريان

انقسم السريان سنة ١٦٦٢م إلى أرثوذكس وكاثوليك، وضعف شأن الكاثوليك، لكنهم ظهروا ثانية سنة ١٧٨٢م وبقيت الكنيسة الكاثوليكية السريانية تابعة للكنيسة الأرثوذكسية الأم مدنيا من أيار سنة ١٨٤٥م، وبعدها انفصلت عنها، عندما حصلت على اعتراف بذلك من السلطان عبد المجيد الأول (١٨٣٩ ـ ١٨٦١) بتعيين البطريرك (أغناطيوس) السابع المعروف بالراهب بطرس جروة

(١٨٢٨ ـ ١٨٥١) بطريركاً على إنطاكية والإسكندرية وأورشليم. عاش أفراد هذه الطائفة بمحلة خاصة بهم تعرف بمحلة السريان بين باب الخليل وحارة الشرف، وعلى الرغم من قلة عددها إلا أنها أشرفت على جزء من كنيسة القيامة كغيرها من الطوائف الأخرى، وكان لها كنيسة قديمة تعرف باسم كنيسة القديس مارك. وعرفت هذه الطائفة بعلاقتها الحسنة مع باقي الطوائف، وخضعت لطائفة الأرمن، فكان جاثليقه الأرمن الكاثوليك بالقسطنطينية يدير شؤونها لدى الباب العالي، ويعود ذلك لأن مصالح بطاركة الطوائف الشرقية الكاثوليكية غير المعترف بملتهم رسمياً لدى الباب العالي، كانت في القسطنطينية تحت إشراف جاثليق الأرمن الكاثوليكي الذي كان يحسب رئيساً مدنياً لجميع الكاثوليكيين العثمانيين،

وسعى البطريرك بطرس جروة الكاثوليكي إلى استقلال طائفة السريان الكاثوليك عن الأرمن في ٢٢ آب سنة ١٨٤٤م لكنه فشل في ذلك.

٨ ـ طائفة البروتستانت

ترجع بدايات ظهور الطائفة إلى سنة ١٨٢١ عندما بدأوا بعمليات التبشير بالقدس، ولكن الدولة العثمانية منعت نشاطها التبشيري في القدس، فأصدرت فرماناً في ٢٤ حزيران سنة ١٨٢٤ حرمت فيه شراء كتب التوراة، كما عارضت الطوائف المسيحية وجودهم في القدس، واستمرت معاناتهم حتى بداية الثلاثينيات من القرن التاسع عشر، فعندما حكم محمد علي باشا بلاد الشام سنة ١٨٣١ خلق المناخ المناسب لنمو الإرساليات التبشيرية في القدس تمثلت الطائفة البروتستانتية من العرب في القدس، ومن أبرزهم عائلة الجمل وعائلة قعوار وعائلة عزام وعودة وحشمة والنصراوي، إلى جانب بعض العائلات التي جاءت من بيروت كعائلة زريق، ومن الألمان الذين شكلوا طائفة مستقلة تحت رعاية القنصلية البروسية، ومن الأمريكان، وقد عاش بعضهم في مدينة رام الله، ومن الإنكليز وكان الظهور الحقيقي لهذه الطائفة في القدس سنة ١٨٤١ بعد مفاوضات جرت بين ملك بروسيا فريد رينح فيلهلم الرابع وملكة بريطانيا، ورئيس أساقفة كانتربري وليام هاولي إلى تأسيس أسقفية بروتستانتية مشتركة في القدس، وتم اختيار المبشر مايكل سولومون الكسندر أسقفاً على هذه المطرانية (في ٧ تشرين الثاني سنة ١٨٤١، ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٨٤٥)، وكان هم الأسقف الكسندر مُنَصباً على بناء كنيسة بروتستانتية على جبل صهيون، وبعد حصول البروتستانت على تأسيس كنيسة أصبح الشغل الشاغل للدول البريطانية والبروسية الحصول على اعتراف السلطات العثمانية بالملة البروتستانتية.

ونتيجة للضغوط البريطانية فقد استطاع السفير البريطاني في الأستانة (سترا فورد كاننغ) من الحصول على مرسوم عثماني بالاعتراف بالملة البروتستانتية في ٢٤ تشرين الأول سنة ١٨٥٠م.

وعلى الرغم من حرص الطائفة البروتستانتية على تحقيق الوحدة بين أتباعها إلا أنه في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كان البروتستانت الألمان يشعرون بأن الكنيسة الإنكليكانية تهيمن عليها، لذلك فقد سعت نحو تحصين موقعها ومؤسساتها كبداية للانفصال، وبعد وفاة المطران غوبات وتعيين المطران جوزيف باركلي مطراناً على الأسقفية سنة ١٨٧٩م كان البروتستانت منقسمين إلى جماعات قومية ولغوية متميزة، فكانت الجماعة الأولى من البروتستانت الإنكليز واليهود المتنصرين، بينما تألفت الجماعة الثانية من البروتستانت الألمان الذين أصبح انتماؤهم للدولة الألمانية الموحدة منذ سنة ١٨٧١م أقوى من انتمائهم للكنيسة البروتستانتية، أما الجماعة الثالثة فتألفت من البروتستانت العرب الذين كانوا يحظون بدعم جمعية التبشير الكنائسية الإنكليزية. وبعد وصول جوزيف باركلي إلى القدس سنة ١٨٨٠ حاول حلَّ المشكلات المتعلقة بالمطرانية، إلا أن وفاته في ٢٢ تشرين الأول وبريطانيا حول مطرانية القدس، وانتهت بتعيين إنكلترا في شباط سنة ١٨٨٧ أسقفاً إنكليزياً في القدس، كما حذوت بروسيا حذوها رغبة منها في زيادة نفوذ الألمان في القدس.

٩ ــ طائفة الموارنة

ينسب الموارنة إلى مارمارون، وهو قديس ولد سنة ٤١٠م وعاش في أفاميا (اللاذقية) في سوريا، وأسس أتباعه رهبانية وديرا اتخليدا لذكراه على ضفاف نهر العاصي كانت نواة الكنيسة المارونية، لم يكن للموارنة وزن طائفي في القدس، إذ إن موطنهم الرئيسي هو لبنان، ولا أماكن دينية تابعة لهم، لكن بعد اندلاع فتنة سنة ١٨٦٠م في لبنان شهدت القدس قدوم عدد من الموارنة إليها بحثا عن الأمن والاستقرار، ولأن القدس ملتقى للأديان ونتيجة استقرار الموارنة فيها فقد عين الخوري لويس الدحداح الماروني ليشرف على شؤونهم الدينية، وسعى البطريرك ماريو حنا بطرس الحاج في نهاية القرن التاسع عشر لإقامة بطريركية للموارنة في القدس، وطلب من المطران إلياس الحويك النائب البطريركي شراء قطعة أرض ليبني عليها البطريركية المارونية، فاشترى محلاً واسعاً في جبل صهيون بالقرب من برج داود، وبنى عليها مقر البطريركية المارونية، وتولى رئاستها

النائب البطريركي المطران إلياس الحويك، هذا البطريرك لا يعين من قبل السلطان العثماني لأن الدولة العثمانية لم تعترف به ولم تنفذ رغبته في الاستقلالية[١].

اللوائح التنظيمية في مدارس الطوائف المسيحية في القدس:

بعد ازدياد التدخل الأوروبي في شؤون الدولة العثمانية الداخلية في القرن التاسع عشر، أصدرت الدولة العثمانية اللوائح التنظيمية لمنع المداخلات الأجنبية من التأثير في مدارس طوائف المسيحيين على الأرض العثمانية، أما الرهبانية فدعاتها رهبان وراهبات قدموا بلادنا، وأنشأوا فيها مدارس للصبيان والبنات وأخذوا يستدرون لها الأموال من بلادهم، ولا ينكر ما لهؤلاء من أيادي بيضاء في رفع شأن الإنسانية، إلا أننا مع كل هذا لا نجهل أن تعليم هؤلاء المرسلين تعليماً رهبانياً يقصد به سوق المعلم في طرق خصوصية لا يتأتى عنها النفع الوطني المطلوب، ولذلك نرى الممالك الكاثوليكية نفسها مثل فرنسا والنمسا تنكر على الإكليروس أساليبهم في التعليم، واختطت لهم الحكومات أساليب جديدة، والذين رفضوها منهم أغلقت مدارسهم، واستولت على أوقافهم، وأصدر الباب العالي سنة ١٢٦٢هـ/ ١٨٤٦م قانون إشراف الحكومة على التعليم، بعد أن كان يشرف عليه العلماء من رجال الدين في كافة أرجاء الدولة العثمانية بإنشاء مجلس دائم للمعارف، نصّ على مجانية التعليم بمختلف أنواعه، وعلى تعيين معلمين من غير رجال الدين وقسم التعليم إلى ثلاثة درجات ابتدائي وثانوي وعالي.

وحاول السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ ـ ١٨٣٩) تحديث التعليم، ولكنه واجه العديد من الصعوبات، من بينها (معارضة علماء الدين الذين احتكروا التعليم في المدارس الدينية).!

وسنت الدولة العثمانية نظاماً سنة ١٢٦٨هـ/ ١٨٥٢م للحد من نشاط المدارس الأجنبية (يحق لكل طائفة إقامة مدارس خاصة في مجال التربية والحرف والصناعة، على أن تخضع المناهج الدراسية في مثل هذه المدارس واختيار معلميها وأعضائها لمراقبة وتفتيش من قبل مجلس مشترك)[٢].

كانت المدارس مفتوحة لرعايا الدولة من المسلمين وغيرهم، ولكن بعد أن أصدرت الدولة نظام المعارف العمومية في سنة ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م سمحت بإنشاء مدارس خاصة للمسلمين ولغير المسلمين، فنصت المادة الثالثة بخصوص المدارس الصبيانية (على أن يوجد في كل محلة وقرية، أو بحسب المقتضى في كل محلة أو محلتين، وقرية أو قريتين لا أقل عن مكتب واحد، أما في القرى والمحلات المختلطة فتكون مكاتب الإسلام وحدها، ومكاتب غير المسلمة وحدها).

أما بالنسبة للمدارس الرشدية فقد أقر نظام المعارف في حالة وجود المسلمين وغير المسلمين في القرية نفسها تنشئ مدرسة واحدة للطرفين، مع التأكيد على حق غير المسلمين في دراسة المواد الدينية الخاصة بهم بتوجيه من قبل الرؤساء الروحانيين، ودراسة العلوم الأخرى بلغتهم، فنصت المادة السادسة على أن (الأطفال غير المسلمين فيدرسون أصولهم الدينية، وهذه الأصول تتعين بمعرفة رؤسائهم الروحيين، تدرس لهم ويقرأون بها علم الحال، وتعليم الكتابة، ومختصر فن الحساب ومختصر التاريخ العثماني، وهذه الدروس يقرؤها غير المسلمين بألسنتهم).

وأجاز نظام المعارف الدراسة في المدارس الإعدادية للمسلمين وغير المسلمين بشكل مختلط، ومع ذلك فإن قلة من الطلاب المسيحيين التحقوا بالمدارس الإعدادية بالقدس، خاصة سنة ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م، على الرغم من كثرة عددهم في المدارس الطائفية.

كما حرصت الدولة على إضعاف التأثير الأجنبي من خلال الإشراف على المدارس الخاصة، ففرضت قيوداً على إنشائها مثل:

ـ الحصول على رخصة رسمية من إدارة معارف الولاية.

ـ المصادقة على شهادات الهيئة التدريبية في المدرسة الخاصة من إدارة المعارف المحلية.

ـ عرض جداول الدروس وكتب التعليم بها على إدارة المعارف، كي لا تدرس في هذه المدارس دروساً مغايرة للآداب والسياسة.

ثم أصدرت الدولة اللائحة التنظيمية للمعارف سنة ١٢٩٧هـ/ ١٨٧٩م وهي مكملة لنظام المعارف الصادر سنة ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م وألزمت اللائحة غير المسلمين والأجانب المقيمين في إتباع شروط معينة عند إنشاء المدارس، وأهمها:

ـ لا تفتح مدرسة إلا في حالة الضرورة والحاجة القصوى.

ـ تقديم تقرير مفصل عن أرض المدرسة وبنائها والهيئة التأسيسية.

ـ التثبت من عدد غير المسلمين في الحي أو المنطقة التي ستقام عليها المدرسة.[٣]

وطبقت الدولة العثمانية هذا القانون بعد أن طلب البروتستانت سنة ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م إقامة كنيسة وعدة أبنية لأداء الطقوس الدينية، وإقامة الراهب، وتعليم الصبية من طائفة البروتستانت في بيت جالا كما اشترط الباب العالي قبل منح فرمان بإنشاء مدارس طائفية عدم قبول الطلاب المسلمين فيها، فمثلاً عندما قدمت السفارة الفرنسية التماساً للحصول على رخصة لإقامة مدرسة خارج بيت لحم يتولى بناءها لوتقوتيس يوسف بن خليل رئيس مدرسة الفرير في القدس، اشترطت الحكومة المركزية عدم قبول الأطفال المسلمين في المدرسة، والالتزام التام بقوانين الدولة العثمانية كما لجأت الدولة العثمانية إلى تدبير آخر سنة ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٨م، يربط إصلاح أبنية المدارس الطائفية يدفع ضريبة سنوية تعينها السلطات المحلية والتعهد بالاستمرار في دفع الضريبة في الوقت المحدد من كل عام، كذلك فرضت ضريبة على الكنائس وعلى البيوت أيضاً.

وعلى الرغم من أن الدولة العثمانية أعطت المدارس الطائفية حرية اختيار لغة التعليم، وتدريس المواد الدينية الخاصة بهم، لكنها عادت فأصدرت قراراً سنة ١٣١٢هـ/ ١٨٩٥م يقضي بإلزامية تعليم اللغة التركية فيها، وتعيين معلمين للغة التركية، ولكن لم يطبق بشكل ناجح، فقد اتفق الرؤساء الروحانيون للرعايا غير المسلمين، والدول الأجنبية والجماعات التبشيرية على موقف يناهض تدخل الدولة العثمانية في موضوع المدارس الأجنبية ومدارس الأقليات، عند ذلك لجأت الدولة إلى تطبيق امتحان اللغة التركية في هذه المدارس لضمان تطبيقه.

وعلى الرغم من كل هذه القرارات على المدارس الخاصة الطائفية والتبشيرية، فإنها لم تُنفذ إلا في أواخر الفرن التاسع عشر، فرخصت مدرسة المصلبة التابعة للروم في القدس سنة ١٣١٢هـ/ ١٨٩٥م، وكذلك مدرسة القبط في القدس سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م، لأن مؤسسي المدارس الخاصة كانوا يعارضون تدخل الدولة في شؤونهم[٤]...

التعليم في الأديرة والكنائس

كان التعليم عند أبناء طوائف المسيحيين يتمحور في بداية القرن التاسع عشر حول ديانتهم، فقد قام الرهبان بالإشراف على تعليم الإنجيل وترتيل الصلوات في الكنائس والأديرة، ومنها دير ماري حنة التابع لطائفة الروم، ووجد في دير مار نقولا أحد أديرة الروم بالقدس مجموعة كتب، وبدير السلطان التابع للقبط وجد ١٥٢ كتاباً بلسان الحبش، ووجد مدرسة في الدير اليوناني يدرس فيها باباس عيسى، وغير ذلك مما جعل العلم ضعيفاً، فقد اقتصر التعليم في هذه الأديرة على تعليم الأولاد قراءة الكتاب المقدس، حتى أن أحد الكهنة قال: (إن تعلم قراءة كلمة الله هو أفضل لهم من أن يبقوا في الجهل، ومبادئ الحساب والكتابة، واللغة العربية، وقراءة القرآن الكريم أيضاً، وركزت كل طائفة على تعليم مبادئها الخاصة بها فعثر في بعض تركات المسيحيين على مجموعة من الكتب، ففي تركة (دآبات ولدمتري) الرومي عشر على كتاب روم، كما عثر في تركة (جرجس البناء) الأرمي على مجموعة من الكتب قيمتها مئتا قرش[٥]..

مدارس الطوائف المسيحية في القدس:

عرف في القدس أن لكل طائفة مؤسساتها التعليمية وأساليبها في التعليم، وعملت كل طائفة منها على تغليب التعليم الديني، وإن عملت بعضها على بث العداء والكراهة ضد الطوائف الأخرى، وأبرز هذه المدارس:

١ ـ مدارس طائفة الأرمن: كان لطائفة الأرمن في القدس وجوارها خمس مدارس، واحدة إعدادية، وثانية رشدية، وثلاث مدارس ابتدائية، وكان المسؤول عنها البطريرك الأرمني، وتبيان هذه المدارس على الشكل التالي:

ـ المدرسة الإعدادية في القدس أسست سنة ١٠١٠هـ/ ١٦٠١م، ورخصت سنة ١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م، وكان فيها ثلاثون طالباً.

ـ المدرسة الرشدية في القدس أسست سنة ١٠١٠هـ/ ١٦٠١م، رخصت سنة ١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م، كان فيها في نهاية القرن التاسع عشر خمسون طالباً.

ـ مدرسة ابتدائية في القدس، أسست سنة ١٠١٠هـ/ ١٦٠١م، رخصت ١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م، وكان فيها أربعون فتاة.

ـ مدرسة ابتدائية في بيت لحم وكان فيها ١٣ طالب فقط.

ـ مدرسة ابتدائية في يافا وكان فيها ٦ طلاب فقط.

وكانت كلها تحمل اسم سنمير رهبان، وكانت مجانية ينفق عليها من أموال البطريركية الأرمنية في القدس.

كما افتتحت كلية لطلبة الدراسات الدينية العليا في دير مار يعقوب بقصد تعليم الرهبان وتثقيفهم.

وهذا الدير قريب من باب النبي داود، وكان إلى جانب هذه الكلية مكتبة ضخمة فيها أكثر من أربعة آلاف مخطوط، وأكثر من ثلاثين ألف كتاب مطبوع، ويقول عارف العارف أن الأرمن استأجروا هذا الدير من الروم ثم صار لهم[٦]، وعرفت أيضاً مدرسة الأرمن الكاثوليك، ومدرسة الأرمن البروتستانت.

٢ ـ **مدارس طائفة الأقباط:** وجد للقبط مدرسة ابتدائية واحدة للذكور، تأسست سنة ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م، وقدر عدد طلابها بـ ٣٦ طالباً، وكانت تحت إشراف جماعة الأقباط، وحصلت على الترخيص من قبل الدولة العثمانية سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م[٧].

٣ ـ **مدارس طائفة الروم الكاثوليك:** كان لهم مدرسة واحدة في القدس، وهي يومية للذكور، أسست سنة ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م وبلغ عدد طلابها عشرة فقط، ووجد فيها معلم واحد، كما كان لهم مدرسة أخرى في قرية عين عريك.[٨]

٤ ـ مدارس طائفة الروم الأرثوذكس: تعد مدارس الروم الأرثوذكس من أقدم المدارس وأكثرها عدداً في القدس، كون أتباع هذه الطائفة من السكان المحليين ولكثرة أتباعها، ومن هذه المدارس:

ـ مدرسة دير الصليب اللاهوتية (المصلبة) وهي مدرسة داخلية للطلاب، يعود تاريخ إنشائها إلى سنة ١٢٦٨هـ/ ١٨٥١م، افتتحت في عهد البطريرك كيرلس سنة ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٥م، ومن شروط الالتحاق بها، أن يكون الطالب بالدرجة الأولى من أبناء الطائفة الأرثوذكسية التابعين للكرسي الأورشليمي المقدسي، وفي الدرجة الثانية من فتيان اليونان الذين يتبناهم رهبان القبر المقدس، وفي الدرجة الثالثة من أبناء الأرثوذكسيين المنتمين لسائر أبرشيات الطائفة الأرثوذكسية الذين يحظون بعطف البطريرك ورضاه. وينقسم التدريس فيها إلى ستة صفوف، حيث يتساوى الطلاب العرب واليونان في الصفوف الأربعة الأول، وينفرد الطلاب اليونان الذين انضووا إلى سلك الرهبنة ويسمَون شمامسة في الصفين الأخيرين، فيتلقون فيها الدروس اللاهوتية.

تدرس هذه المدرسة علم اللاهوت واللغات اليونانية واللاتينية والفرنسية والعربية والروسية والحساب والهندسة والجبر والمثلثات والكيمياء والتاريخ وعلم النفس والمنطق وتاريخ الفلسفة والقانون العام والقانون الكنسي والموسيقى، فيجمع الطالب بذلك بين الدراسة الجامعية والكنسية..

وممن درَّس في هذه المدرسة المعلم يوسف قمر الشاي وجورج متى، كما تخرج منها كبار البطاركة والرهبان مثل تيموتاوس وكيرلوس وغراسيموس وأفراميوس ونجيب مخائيل ساعاتي وأنطوان نقولا. ولكثرة الخلافات بين الأرثوذكس العرب واليونانيين أقفلت المدرسة سنة ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م، ثم افتتحت سنة ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م، ثم أقفلت ثانية سنة ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م، ثم أعيد فتحها سنة ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م، لكنها أقفلت مرة ثالثة سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م.

ولهذه الطائفة مدارس في أغلب مدن وقرى القدس التي يسكن فيها أبناء الطائفة، وكانت هذه المدارس تخضع لإشراف البطريرك، وينفق عليها من أموال البطريركية، وكان أغلبها مدارس ابتدائية، انتظم فيها الذكور إلا مدرستان كانت

للإناث واحدة في قضاء القدس وكان فيها مئة أنثى، والثانية في قرية بيت ساحور وكان فيها ستون أنثى، وتباينت أعداد الطلاب في هذه المدارس من قرية لأخرى بحسب أعداد أبناء الطائفة في القرى، وفي سنة ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م كان عدد مدارس هذه الطائفة (١٨) مدرسة، منها (١٣) ابتدائية، و(٤) رشدية، وواحدة إعدادية فقط، وهي:

- مدرسة ابتدائية في قرية طيبة أسست سنة ١١٩٠هـ/ ١٧٥٦م، فيها ٣٠ طالب.
- مدرسة ابتدائية في قرية بيرزيت أسست سنة ١١٩٠هـ/ ١٧٥٦م، فيها ٣٠ طالب.
- مدرسة ابتدائية في قرية عابود أسست سنة ١١٩٠هـ/ ١٧٥٦م، فيها ٢٥ طالب.
- مدرسة ابتدائية في قرية جفنا أسست سنة ١١٩٠هـ/ ١٧٥٦م، فيها ٣٥ طالب.
- مدرسة ابتدائية في قضاء الله، أسست سنة ١١٦٠هـ/ ١٧٤٧م، فيها ٣٥ طالب.
- مدرسة ابتدائية في قضاء بيت لحم، أسست سنة ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م، كان فيها ٩٥ طالب.
- مدرسة ابتدائية في قضاء الرملة، أسست سنة ١١٦٠هـ/ ١٧٤٧م، كان فيها ٣٥ طالب.
- مدرسة ابتدائية في قرية بيت ساحور، أسست سنة ١٢٩٨هـ/ ١٨٨١م، فيها ١٦٥ طالب.
- مدرسة ابتدائية في قرية بيت جالا، أسست سنة ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م، فيها ١٢ طالب.
- مدرسة في قرية عين عريك، أسست سنة ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م، فيها ١٠٣ طالب.
- مدرسة في قرية رام الله، أسست سنة ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م، فيها ٤٠ طالب.
- مدرسة للإناث في قضاء القدس، أسست سنة ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م، فيها ١٠٠ طالبة.

ـ مدرسة للإناث في قرية بيت ساحور، أسست سنة ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م، فيها ٦٠ طالبة.

ـ مدرسة رشدية في قضاء غزة، أسست سنة ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٤م، فيها ٣٠ طالبة.

ـ مدرسة رشدية في قضاء القدس، أسست سنة ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م، فيها ١٤٠ طالبة.

ـ مدرسة رشدية في قضاء بيت لحم، أسست سنة ١١٢٠هـ/ ١٧٩٨، فيها ٢٢٠ طالب.

ـ مدرسة إعدادية في قضاء القدس، أسست سنة ١٢٧٦هـ/ ١٨٥٩م، فيها ٥٠ طالب.

يقول صلاح حنا عن التعليم في هذه المدارس (إن أكثر ما يقال عن الجانب الأكبر عن هذه المدارس الخارجية هو أن وجودها كان يعتبر من العدم) وقال (..فإن الجزء الأكبر من وقت التلميذ كان يصرف في درس اللغة اليونانية، وحفظ الصلوات، ولم يكن إلا القليل من معلميها أو مديريها يتجاوز على القراءة والكتابة والحساب).

لكن ومع توسع الإرساليات التبشيرية في إنشاء المدارس سعت الكنيسة الأرثوذكسية إلى إصلاح التعليم في مدارسها، وجذب المتعلمين لإدارتها، وذلك بسبب أن مدارس الدير في المدن والقرى الكبرى انتعشت في الآونة الأخيرة من غفلتها، وسعت في ترقية لائحة الدروس فيها، وأتت بما استطاعت من المعلمين الحاذقين، ولا سيما عن مدرسي العربية، وذلك تشبها بالمدارس الأجنبية التي غدت تجذب إليها خيرة الأولاد، لأن درجة معلميها أرقى من درجة مدارس الروم، ولأنه لم يكن لتعلم اللغة اليونانية فائدة قط.[٩]

٥ ـ مدارس الإرساليات الروسية في القدس :

سعت حكومة روسيا القيصرية إلى مدِّ نفوذها على فلسطين في منتصف القرن التاسع عشر، فقد قال القيصر نقولا الأول سنة ١٨٣٣ رداً على مذكرة

طالبت بأن تستولي روسيا على الأرض المقدسة..(لقد حزرتم الرغبة التي في الصميم، بيد أنني أعرف أن تحقيقها صعب وأنه سيصطدم بعقبات مهمة) وأكدت رغبتها في مدّ نفوذها وخصوصاً بعد تأسيس القنصليات الأوروبية فيها، وإعادة تأسيس البطريركية اللاتينية سنة ١٢٤٦هـ/ ١٨٤٧م، حتى سنة ١٢٧١هـ/ ١٨٥٤م، والثانية امتدت سنة ١٢٧٤م، وبدأت الإرساليات التبشيرية البروتستانتية تعمل على تحويل الأرثوذكس للبروتستانتية.

فكانت المدارس الأداة الأهم التي من خلالها سعت روسيا لفرض حمايتها على الأرثوذكس، فبعثت بإرساليتين، الأولى امتدت من سنة ١٢٤٦هـ/ ١٨٤٧م حتى سنة ١٢٧١هـ/ ١٨٥٤م، والثانية امتدت من سنة ١٢٧٤هـ/ ١٨٥٧م حتى سنة ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م، وكان لهما دور في افتتاح العديد من المدارس الروسية سنة ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م، وتولت مسؤولية الإشراف على التعليم، وقد علمت من أرسلتهم اللغة العربية واليونانية لينجحوا في مهمتهم.

وقد أرسلت الإرسالية الأولى برئاسة الأرشمندريت بروفيوس أوسبنسكي، وحددت مهمتها بتفحص الوضع القائم في فلسطين، ومساعدة ا لعرب الأرثوذكس، وإقامة مركز لروسيا في الأراضي المقدسة، كما انصب اهتمام أوسبنسكي على تحسين الأحوال التعليمية للطائفة في فلسطين التي امتازت بالضعف، فظهر أنه هناك أبرشية في كل قرية من فلسطين وسورية.

ولكن المدرسة الأبرشية في الغالب لم تكن أكثر من مجموعة صغيرة من الأطفال المجتمعين من حول الكاهن، ولأن الكاهن نفسه غير متعلم وقد يقدم تعليماً قليلاً، وهذه المدارس قد تظهر في أية قرية بناء على طلب محلي وتختفي بتلك السرعة.

لذلك شجع أوسبنسكي على فتح المدارس الابتدائية في القرى، والمدن التابعة للبطريركية، كما قام بدفع رواتب المعلمين، ولدوره في إنشاء مدرسة المصلبة فقد عينه البطريرك كيرلس رئيس أمناء المدرسة، ولتزويد المدارس بالكتب اتفق مع البطريرك كيرلس لافتتاح مطبعة عربية، وفي سنة ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٤م باشر بنشر كتب الدين المترجحة للغة العربية.. لكن دوره انتهى في سنة ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٤م

مع نشوب حرم القرم ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م والتي استمرت حتى سنة ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م، فأمرته السلطات العثمانية بمغادرة البلاد، وكان نفيه من القدس حسرة على الأرثوذكس الذي حُرم من الوسائل التي أدخلها...

وبعد عودة العلاقات الروسية العثمانية وصلت القدس إرسالية ثانية برئاسة كيرلس تاخو موف الذي بقي رئيساً لإرساليته حتى سنة ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م، وزُوِّد بتعليمات ليحسن العلاقات مع اليونانيين والاهتمام بالتعليم كما أكدوا عليه الاعتناء بالشعب الوطني الأرثوذكسي وبتربيته وتعليمه، وعلى الرغم من كل هذه التعليمات رفض تأسيس مدارس بالقدس، مع أنه وزع أموالاً كثيرة على المدارس القائمة في سوريا، كما رفض فكرة إرسال الشباب العرب إلى روسيا للتعلم ما لم يكن ذا فائدة، إلى جانب تخوفه من معارضة الإكليروس اليوناني، والحكومة العثمانية.

وفي ظل هذه الإرسالية استطاعت سيدة روسية إنشاء مدرسة روسية في القدس سنة ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٨م، لكن ضغط البطريركية اليونانية جعل المسؤولين الروس يقومون بنقلها إلى بناء مستأجر في بيت جالا، والتي صارت في ما بعد مدرسة لإعداد المعلمات في بيت جالا.

وبسبب تخوف تاخو موف من إنشاء المدارس الروسية في القدس غضب أفراد الطائفة فقالوا (.. إن ملتنا متخلفة مقارنة بالآخرين، ليس لدينا مدرسة كنسية، ولا مكتبة علمية، وحتى مدارس إعدادية منتظمة بحسب الأصول... وعلينا أن نرسل أطفالنا إلى مدارس غريبة).

وبعد سنة ١٢٩٩هـ/ ١٨٨٢م أشرفت الجمعية الإمبراطورية الأرثوذكسية الفلسطينية الروسية على إنشاء المدارس، ولكنها واجهت العديد من الصعوبات في بداية التأسيس، لأن قانون بطريركية الروم الأرثوذكس الصادر من قبل الدولة العثمانية سنة ١٨٩٢هـ/ ١٨٧٥م حصر الإشراف على المدارس بيد البطريرك، واقتصر التعليم على اللغة الروسية في وقت اعتاد الأهالي أن يعلموا أولادهم اللغة الفرنسية أو الإنكليزية الأكثر استخداماً، وحاول أعضاء الجمعية التغلب على هذه

المشكلة واستمالة الأهالي بقولهم (.. لماذا هذا العناد ألا تعلمون أن البلاد ستنتقل من يد إلى يد بعد عشرين سنة فيصير الناس لا يتكلمون فيه إلا اللغة الروسية..).

وفتحت مدرسة في الناصرة، ومدرسة داخلية للأولاد في رام الله سنة ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م، وذلك بعد إبعادهم من مدينة القدس، وعانت المدارس من نقص المعلمين والمعلمات وعدم أهليتهم، فقد قال خيترفو في رسالة بعثها إلى مجلس الإدارة في روسيا: (لو أمكن للجمعية أن تملأ كل فلسطين بالمدارس لجاءت المنفعة باطلة كما لو طرحت في البحر لعدم كفاءة المعلمين).

وللتغلب على هذه المشكلة تم تأسيس مدرسة لإعداد المعلمين في الناصرة سنة ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م، وقد بدأت التدريس في بيت مستأجر، وفي سنة ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م نقلت إلى المسكوبية، وقد بدأت بستة طلاب فقط، في القسم الداخلي، وستة آخرين في القسم الخارجي، وكانت مدة الدراسة فيها أربعة أعوام، ثم صارت ستة أعوام، أما الطلاب المتفوقون فيرسلون إلى مدينة أوديسا الروسية لإكمال تعليمهم في المدارس الروسية العليا.

كما تم تأسيس مدرسة للمعلمات في بيت جالا، والتي كانت في البداية مدرسة في القدس، تأسست سنة ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٨م، وفي سنة ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م أقيم للمدرسة مبنى خاص على قطعة أرض اشترته القيصرة ماريا الكسندروفيا، وتم تحويلها إلى مدرسة للمعلمات، وكان فيها ١٩٠٢ أربعون طالبة.

أما مدرسة بنات الناصرة فقد أنشئت في سنة ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٥م، لكن المدرسة الروسية سافيلا فشلت في عملها لأنها لا تعرف العربية، ولم تعرف كيف تعامل نساء الناصرة، فنصف الطالبات تركت المدرسة بسببها.

ومدرسة البنات تم اقتسامها سنة ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م لتأهيل معلمات عربيات، وأشرفت عليها السيدة تراكونوف، وقد بدأت التدريب بعشر طالبات فقط.

وعلى ذلك تكون مدارس الإرساليات الروسية لغاية ١٩٠٢م، على الشكل التالي:

ـ مدرسة المعلمات في بيت جالا، كان فيها أربعون أنثى.

ـ مدرسة بيت جالا الخارجية، كان فيها (٨٥) ذكر و(٢٦٧) أنثى.

ـ مدرسة بيت ساحور الخارجية، كان فيها (٤١) ذكر و (٨٤) أنثى.

ـ مدرسة بيت لحم الخارجية، وكان فيها (٤٦) ذكر و(٤٦) أنثى.

ـ مدرسة القدس الخارجية، وكان فيها (٢٥) ذكر و (٧٨) أنثى.

والملاحظ أن إقبال البنات على التعليم في المدارس الروسية كان إقبالاً واسعاً، ويعود ذلك لمجانية التعليم، فقد كانت الجمعية توزع الكتب المدرسية وكل ما يحتاج الطلاب إليه، كما كانت توفر لهم الملابس أيضاً.

وقد ركزت المدارس الروسية على التدريس باللغة الروسية والعربية والتركية، إلى جانب تدريس المواد الدينية، كما درست الحساب والجغرافيا والتاريخ والموسيقى، لكنها كانت مصبوغة بصبغة دينية، فالتاريخ كان عن حياة القديسين، والجغرافيا كانت عن الأماكن المقدسة فقط.

وعلى كل.. ساهمت المدارس الروسية في النهوض بالتعليم من خلال الأدب واللغة والثقافة الروسية، ولكن الحكومة العثمانية لم تعترف بهذه المدارس إلا بعد مفاوضات قام بها خيتروفو مع الحكومة العثمانية بالأستانة سنة ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م.[١٠]

٦ ـ مدارس الإرساليات اللاتينية

من أولى المدارس التي تأسست في القدس، وهي في الغالب فرنسية التابعية، سارت منذ بداياتها وفق برامج التعليم الفرنسية، ومنها:

ـ المعهد الإكليريكي الذي أسس سنة ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٨م في القدس، غير أن البطريرك يوسف فاليركا نقله إلى بيت جالا سنة ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م، وقد تخصص المعهد في تدريس علم اللاهوت، وتخريج رجال الدين، فقد رَقَّ البطريرك منصور براكو إلى درجة الكهنوت أربعة شمامسة سنة ١٣٠٦هـ/

١٨٨٨م وهم الأب سليم من الناصرة، والأب بشارة عبد ربه من بيت جالا، وأنطون دانيال من القدس، والأب أنطون بوسفيدي من قبرص.

كما لقي المعهد اهتماماً من قبل متصرف القدس رؤوف باشا، وكان قد زاره مع عدد من أعيان الطائفة اللاتينية سنة ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٨م.

ـ مدرسة القديس بطرس ومتى وتعرف بمدرسة راتسبون نسبة إلى مؤسسها الأب الفونس راتسبون، ويعود تاريخ إنشائها إلى سنة ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م، ولكنها افتتحت رسمياً سنة ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٨م، وخصصت لتعليم الطلاب كافة الصنائع مع المواد العلمية واللغات الفرنسية والعربية والإيطالية والنمساوية والتركية، وعلوم الديانة والأدب.

كانت المدرسة تتسع لمئة وخمسين طالباً، والتعليم فيها مجانياً من قبل فرنسا، وفي سنة ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م كان فيها أربعون طالباً فقط ومن جملة الصنائع التي علمتها هذه المدرسة (النجارة والخياطة والخبازة والحراثة وتجليد الكتب وغير ذلك..)،

ـ مدرسة دار الأيتام السورية وكانت في بيت لحم، وهي بالأصل دار للأب أنطون بلون بن يوسف أنطون اللاتيني، وتتكون من طابق علوي وسفلي ومرافق، وحقوق شرعية، أوقفها على فقراء اللاتين والملل الأخرى بهدف التعليم، وقد تولى رئاستها واقفها.

اهتمت المدرسة بتعليم العلوم الدينية واللغة العربية والفرنسية والإيطالية، واقتصرت في تعليمها على أبناء القدس وبيت لحم من الأيتام والفقراء، وشجعت المدرسة المتفوقين من الطلاب من خلال توزيع الجوائز عليهم بحضور البطريرك منصور براكود القنصل الفرنسي بشيرلي كنشليار.

ـ مدرسة أخوية المدارس (الفرير) وهي مدرسة يومية للذكور تأسست سنة ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٨م، وبلغ عدد طلابها وقت الافتتاح (١٣٠) طالباً، وعدد معلميها عشرة، ركزت على تدريس مختلف العلوم إلى جانب التعليم الديني، تولى رئاستها

إيفاكر ولوتقوتيس يوسف خليل الفرنسي، وكان مؤسسوا المدرسة قد دخلوا القدس سنة ١٨٧٦م، وهي تقع في حارة الجوالدة.[١١]

ـ مدرسة دير المخلص الخارجية: وتقع في جبل صهيون، ويعرف بدير اللاتين، وهو في الجهة الغربية الشمالية من حارة النصارى، درست العلوم الدينية، واللغات العربية والفرنسية والإيطالية، وهي كبيرة وفيها مكتبة ضخمة، ومن بين مدرسيها ديدكوس الحلبي السرياني مدرس اللغة العربية، كما درس فيها الكهنة المتخرجون من مدرسة القديسة حنة (الصلاحية).[١٢]

ـ مدرسة القديسة حنة الإكليركية (الصلاحية): تقع شرق القدس داخل الأسوار وبالقرب من باب الأسباط إلى الجنوب من حرم القدس الشريف في منطقة تعرف سابقاً بالمدرسة الصلاحية، كان البطريرك فاليركا يسعى للحصول على الصلاحية لبناء مقر البطريركية، ولم تفلح مساعيه، فكانت من نصيب الحكومة الفرنسية بعد حرب القرم حيث تنازلت عنها الدولة العثمانية للدولة الفرنسية، ثم أعطتها فرنسا للآباء البيض، واستلم إدارتها الكاردينال لافيجري وحولها من معبد إلى مورد للعلوم، ففتح بجوار الكنيسة مدرسة إكليركية للطوائف الشرقية، ولما زار البطريرك غريغوريوس يوسف القدس سنة ١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م، أبدى رغبته بإنشاء مدرسة في نفس المكان، ووافقت فرنسا على المشروع فتبرعت بتسعين ألف فرنك لبناء المدرسة، كذلك وافق بابا روما على المشروع، وافتتحت سنة ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م، باثني عشر طالباً، ثم زادت أعدادهم، وضمت طلاباً من الشام وبيروت وحلب وصور وعكا وطرابلس والعراق.

ودُرست فيها اللغات العربية واليونانية والفرنسية، والعلوم الدينية والمنطق والفلسفة والعلوم اللاهوتية، والطقوس الشرقية واليونانية، وتاريخ الشرق وجغرافية سوريا، كذلك اهتمت المدرسة برفاهية الطلاب فأنشأت لهم مصيفاً خاصاً بهم في قرية عين كارم يقضون فيه عطلتهم الصيفية.

وممن تولى رئاستها الأب فدرلن والأب أنطونيوس والأب ديكري والأب إلياس روجيه، وقد تخرج منها سنة ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م أربعة طلاب، أحدهما سمي كاهناً والثلاثة شمامسة، ولإنجازاتها لقيت الدعم من بابا روما.

٧ ـ مدارس تابعة للبطريركية اللاتينية

تشير الوثائق لغاية سنة ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م إلى وجود عدد من المدارس الابتدائية في قرى القدس وكلها تتبع للبطريركية اللاتينية، كما أنها تخضع لإشراف الخوري أنطون اللاتيني بلغت (١٣) مدرسة وكلها عرفت باسم المصلبة وهي:

ـ مدرسة بيت جالا للذكور أنشئت سنة ١١٧٠هـ/ ١٧٦١م، وكان فيها (٥٠) طالباً.

ـ مدرسة بيت جالا للإناث أنشئت سنة ١١٧٠هـ/ ١٧٦١م، وكان فيها (٥٠) طالبة.

ـ مدرسة بيت ساحور للذكور، أنشئت سنة ١١٧٠هـ/ ١٧٦١م، وكان فيها (١٣) طالب.

ـ مدرسة بيت ساحور للإناث، أنشئت سنة ١١٧٠هـ/ ١٧٦١م، وكان فيها .... طالبة

ـ مدرسة عين عريك للذكور، أنشئت سنة ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م، وكان فيها (٥) طالب.

ـ مدرسة رام الله للذكور، أنشئت سنة ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٨م، وكان فيها (١٨) طالب.

ـ مدرسة رام الله للإناث، أنشئت سنة ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٨م، وكان فيها (٨٠) طالبة.

ـ مدرسة جفنا للذكور، أنشئت سنة ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٨م، وكان فيها (٣١) طالب.

ـ مدرسة جفنا الثانية للذكور، أنشئت سنة ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٨م، وكان فيها (٢٥) طالبة.

ـ مدرسة بيرزيت للذكور، أنشئت سنة ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٨م، وكان فيها (١٥) طالب.

ـ مدرسة بيرزيت للإناث، أنشئت سنة ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٨م، وكان فيها (٢٥) طالبة.

ـ مدرسة طيبة للذكور، أنشئت سنة ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٨م، وكان فيها (١٥) طالب.

ـ مدرسة طيبة للإناث، أنشئت سنة ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٨م، وكان فيها (٣٠) طالبة.

٨ ـ مدارس الإرساليات اللاتينية في القدس:

ساهمت الإرساليات اللاتينية التي قدمت من الدول الأوروبية مثل: فرنسا وإيطاليا في النشاط التعليمي، وذلك من خلال إنشاء عدد من المدارس في القدس، ومنها:

ـ مدرسة راهبات صهيون الداخلية للبنات، أنشئت سنة ١٨٦٥م، وكان فيها (٩٠) طالبة، و(٨) معلمات، جئن هؤلاء الراهبات إلى القدس سنة ١٨٥٦م، وأنشأن ديراً على درب الآلام وجُعلن فيه مدرسة وكنيسة وميتماً

ـ مدرسة راهبات صهيون اليومية للبنات، أنشئت سنة ١٨٦٥م، كان فيها

(١٥٠) طالبة، و(٨) معلمات.[١٣]

ـ مدرسة راهبات مار يوسف اليومية للبنات، أنشئت سنة ١٨٤٨م، كان فيها (١٥٠) طالبة، و(٨) معلمات.

ـ مدرسة دير الفرنسيسكانين الداخلية للذكور، أنشئت سنة ١٧٠٠م، كان فيها (٢٠) طالب و (٣) معلمين.

ـ مدرسة دير الفرنسيسكانين الداخلية للبنات، أنشئت سنة ١٨٧٨م، كان فيها (٥٠) طالبة و(٣) معلمات.

ـ مدرسة للفرنساوية وهي يومية للبنات، أنشئت سنة ١٨٧٨م، كان فيها (٢٠) طالبة، ومعلمة واحدة.

ـ مدرسة راهبات أخوية (الوردية) للبنات، وكانت تعرف بمدرسة الراهبات الوردية، أنشئت سنة ١٨٨٠م، لم يكن فيها أي طالبة سنة ١٩٠٠م وهي تقع إلى الجنوب من مقبرة ماملا.(١٤)

وكانت بعض المدارس اللاتينية تلقى دعماً مادياً من قبل فرنسا، مثل مدرسة الفرير، وحراسة الأرض المقدسة للراهبات، ومدارس أخوات مسكبة الورد، ومدارس القديس يوسف، ومدرسة الأب راتسبون، والمدرسة الأبرشية، وكلية الفرير لتدريب المعلمين.

٨ ـ كلية الفرير: أنشئت سنة ١٨٩٢م كمدرسة، وذلك على عهد بطريرك اللاتين (يوسف فاليرغا، وكان فيها (٧٥٠) طالباً مسيحياً، و(٤٠) طالباً مسلماً، ودرست اللغات الفرنسية والإنكليزية والعربية، ومعروفة بمكتبتها الغنية، كان لها فرع في بيت لحم، ثم تحولت المدرسة إلى كلية قبيل الحرب العالمية الأولى، وأطلق عليها (كلية الفرير) سنة ١٩١٢م، وممن درس فيها اللغة الفرنسية الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين.(١٥)

٩ ـ مدارس طائفة البروتستانت :

اهتمت الإرساليات البروتستانتية الإنكليزية والألمانية والأمريكية بإنشاء المدارس في القدس، وخصوصاً بعد اعتراف الدولة العثمانية بهم كطائفة مستقلة.

أولاً ـ المدارس الإنكليزية

ـ مدارس إرساليات جمعية لندن :

ـ تأسس القسم الأعظم من مدارس الإرساليات الإنكليزية من قبل جمعية لندن للتبشير بالمسيحية بين اليهود، أو جمعية لندن اليهودية.

في سنة ١٢٩٢هـ/ ١٨٥٢م افتتحت مدرسة للبنات في القدس من قبل سيدة إنكليزية تدعى (كوبر) لتعليم الفتيات اليهود الخياطة والحياكة، لذلك ازداد عددهن، مما حدا بالجمعية إلى طلب بناء مدرسة جديدة سنة ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م، تستوعب

الطالبات، فوافقت الدولة العثمانية بشرط عدم قبول طالبات مسلمات في المدرسة..!

وبلغ عدد المدارس التي أنشئت من قبل جمعية لندن خلال أعوام (١٨٨٦ ـ ١٨٨٧م) ثلاثة مدارس، وبلغ عدد الطلاب (٦٤) طالباً، و(٧٣) طالبة، وثمانية معلمين، وكانت لغة التعليم الإنكليزية في معظم الموضوعات، وتشتمل على القراءة والكتابة والحساب والجغرافيا والتاريخ، وكذلك اللغات الألمانية والفرنسية والعبرية.

وكان لهم أيضاً الكلية الإنكليزية والتي كانت مدرسة الشبان الإعدادية، ثم عرفت بالكلية الإنكليزية، وقد درس فيها نخلة جريس زريق (١٨٦١ ـ ١٩٢١م) اللغة العربية.

ـ مدارس إرسالية السيدات الإنكليزيات:

كان مركز الإرساليات في لندن وتديرها الآنسة (ماري جاكوميس)، افتتحت سنة ١٨٧٨ ـ ١٨٧٩م لها مدرسة للبنات في بيت لحم، وبلغ عدد طالباتها (٥٥)، وكانت تتلقى المساعدات على هيئة اشتراكات وهبات من بريطانيا.

ركزت المدرسة على تعليم الفتيات فنون الخياطة والتطريز، وفن الطبخ والأشغال البيتية، فأحب الأهالي برنامجها، لكن لابد من المنغصات.. فقد عاملت الراهبات الطالبات كالخدم، وهذا ما أثار حفيظة الطالبات، فقد قالت طالبة وتدعى فكتوريا.. خرجت من المدرسة ساخطة على والدي وناقمة على المدرسة، وكارهة الأشغال البيتية، مع أني كنت في طليعة مريديها، ولكن الذنب ليس ذنبي، فالمدرسة والمعلمات الإنكليزيات عوضا عن أن يظهرن لنا فوائد معرفة شغل البيت وضرورته لكل فتاة، أظهرن لنا الاحتقار وعاملننا كالخدم، وهذا ما أثار فينا روح العصيان والتمرد، فنحن لسنا بخدم..

ـ مدارس جمعية المرسلين :

كان لها دور في إنشاء المدارس البروتستانتية في فلسطين، ومن بين المدارس التي أنشأتها في القدس:

ـ مدرسة صهيون الداخلية للذكور، أنشئت سنة ١٨٥١م، كان فيها (٥٦) طالب، و(٤) معلمين، تخرج منها لغاية سنة ١٩٠٠م (٢٤٠) طالب.

ـ مدرسة صهيون الداخلية للبنات، أنشئت سنة ١٨٥٧م، كان فيها ثلاث معلمات، وتخرج منها (١٢) طالبة.

ـ مدرسة يومية للبنات، أنشئت سنة ١٨٧٠م، كان فيها (٦٥) طالبة، ومعلمتان، تخرج منها (١٠٠) طالبة.

ثم ازداد عدد المدارس التي أنشأتها جمعية المرسلين في فلسطين، حتى أن القنصل الأمريكي سنة ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٨م أشار إلى وجود (٣٣) مدرسة، فيها (١٥٠٠) طالب، وصار عدد مدارس الجمعية في سنة ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م (٤٥) مدرسة، تضم (٧٢) معلماً و(١٠٣٠) طالب ؟؟ و(٧٣٠) طالبة.

وقد اهتمت مدارس الجمعية بتدريس الكتاب المقدس والتاريخ والعلوم والجبر والجغرافيا والهندسة والفلسفة والمنطق، واللغة الإنكليزية والعربية، كما أنشأت الجمعية (الكلية الإنكليزية) سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، لتخريج ما يلزم من المعلمين لمدارس فلسطين، وركزت على تعليم اللغة العربية والدين والموسيقى والعلوم الطبيعية والرياضية واللغة الإنكليزية، والخطابة والتاريخ العام والجغرافيا، وتخرج فيها قسس الطوائف الإنجيلية في فلسطين، وكان التعليم بها مجاناً.

ومع ذلك واجهت الجمعية معارضة من جانب الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية، كما واجهت لا مبالاة من السكان المحليين وعداءهم في بعض الأحيان، حتى أن الرعاع حاولوا تدمير المدرسة البروتستانتية في آذار سنة ١٨٥٢م في وقت دروس الأطفال، وقذفوا الحجارة عليها، وشجوا رأس مدير المدرسة.

وأنشئت مدرستان إنكليزيتان في القدس تسيران على النهج البريطاني سنة ١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م، وهما مدرسة القديس جورج وكلية القدس للبنات التي كانت تحت الإشراف المباشر للأسقف الأنغليكاني، وكانتا مدرستين كاملتين (ابتدائي وثانوي)، وأصبحتا تهيئان في ما بعد لامتحان المترك البريطاني.[١٦]

ثانياً ـ المدارس الألمانية

ـ مدرسة دار الأيتام السورية (شنلر) أنشئت في سنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م، بدعم من حكومة بروسيا، وأخذت فيما بعد اسم أول أساتذتها المؤسسين (يوحنا لودفيغ شنلر) فصارت تدعى مدرسة شنلر، وكان هدفها تعليم الأيتام الذين ليست لهم من يعولهم، ومكانها في ظاهر مدينة القدس إلى الشمال الغربي.

تركز التعليم فيها في السنوات الأولى على إعطاء دروس في الدين، وتعليم القراءة والكتابة باللغتين الألمانية والعربية، ثم جرى تطوير على مناهج التدريس فيها، فأدخلت مواد جديدة كالحساب والخط والأناشيد في الصفوف الأولى، أما طلبة الصفوف المتقدمة فكانوا يدرسون الإنكليزية والجغرافيا والتاريخ، ونصوصاً في اللغتين العربية والألمانية، أما المتفوقون من التلاميذ فكانوا يتلقون تدريباً خاصاً ليصبحوا نواة الهيئة التعليمية في المستقبل.

ولحرص شنلر على تأمين الطلاب من خلال إيجاد عمل مستقل لهم، رفع سن التدريب للأطفال من سن الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة حتى سن الثامنة عشرة والعشرين، وذلك لتأهيلهم كمهنة تؤمن حياتهم، وأنشأ عدة مشاغل حرفية مثل الخياطة والنجارة والحدادة، وتجليد الكتب، والطباعة، وصناعة الأحذية، والخراطة، وصناعة الفخار، وبلغ عدد الطلاب في سنة ١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م (٢١٨) طالباً، وعدد العاملين فيها من معلمين وحرفيين ورهبان (٦٥) شخصاً.[١٧]

ـ مدرسة طالطيا قومي للبنات: أنشأتها جمعية شماسات الكيرزرفرت في سنة ١٢٨٥هـ/ ١٨٧٨م، وانقسم التعليم فيها إلى ثلاثة فروع:

الأول: يعلم اللغات الإنكليزية والألمانية والعربية والجغرافيا والتاريخ والعلوم الطبيعية.

والثاني: يعلم الأشغال اليدوية.

والثالث: يعلم الأشغال المنزلية.

وكانت المدرسة تحت إدارة الراهبة (شارلوطة بليتس)، وبلغ عدد طالباتها في سنة ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م (١١٧) تلميذة، فيهن (١٧) أرمنية، وكانت تتقاضى المدرسة من أولياء أمور التلميذات الفقيرات مبلغاً سنوياً يتراوح بين عشرين وثلاثين فرنكاً فرنسياً.

وضمت المدرسة بنات من الطوائف الأخرى، فقد كان عدد طالبات المدرسة سنة ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م، (٥٢٣) فتاة، منهن (٣٠٦) أرثوذكسيات، و(٩٢) بروتستانت، و(١٩) يهوديات، و(١٣) أرمنيات، و(٨) قبطيات، و(٣) حبشيات، و(٥٥) فتاة مسلمة.

وكلمة (طالطيا قومي) كلمة أرمنية وردت في إنجيل مرقص حيث ذكر أن المسيح قد أعاد فتاة ميتة إلى الحياة من جديد بعدما ناداها قائلاً: (قومي أيتها الفتاة)، وكان اختيار هذا الاسم للدلالة على مهام الشماسات في مساعدة المرأة العربية على النهوض الاجتماعي.

ـ مدرسة بيت لحم للبنين تأسست سنة ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م، وتولى إدارتها (عما نويل ميلر) سنة ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م، وبعدها تأسست مدرسة للبنات من قبل جمعية بيت المقدس التي أوكلت إدارة شؤونها في بيت لحم للمبشر (ميلر)، واهتمت المدرسة بتدريب الفتيات على فنون الخياطة والتطريز.[١٨]

وللألمان البروتستانت أيضاً مدرسة ترازيا التي أسستها سنة ١٨٧١م (ترازيا سَكس الألمانية) وتقع إلى الغرب من بركة ماملا.

ثالثاً ـ الإرساليات الأمريكية :

كانت القدس المحطة الأولى التي نزل فيها المبشرون الأمريكيون من مالطة فشهدت منشآت تعليمية أمريكية ولكن ما يلفت النظر أن عدد المدارس الأمريكية في القدس بقي محدوداً، ويعود ذلك لعدة أسباب أهمها:

ـ المنافسة الشديدة بين الدول الأجنبية لإثبات وجودها في القدس عن طريق مؤسساتها التعليمية.

ـ عدم وجود طائفة بروتستانتية كبيرة في القدس.

ـ تنافس الدولتين البروتستانتيتان ألمانيا وبريطانيا على تقديم الخدمات التعليمية للطائفة البروتستانتية القليلة العدد.

ـ تركيز الإرساليات الأمريكية في النصف الأول من القرن التاسع عشر بفتح مدرستين ابتدائيتين في القدس، وأخرى في بيت لحم.

ـ مدرسة للذكور في القدس:أنشئت سنة ١٢٥١هـ/ ١٨٣٥م، وكان يدرس فيها معلم واحد من بيروت، وقد واجهت عداءً من قبل اليونان، ونتيجة ذلك أغلقت المدرسة أبوابها، وعاد معلمها إلى بيروت.

ـ مدرسة الإناث في القدس: أنشئت سنة ١٢٥١هـ/ ١٨٣٥م، وكانت تحت إدارة السيدة (وايتنغ) وكانت أغلب طالباتها من المسلمات، درست القراءة والخياطة، لكنها واجهت معارضة من باقي الطوائف المسيحية، لذا لم يرسلوا بناتهم للتعلم فيها، كما واجهت عداء من قبل الرهبان اليونانيين، مما حدا بالمسلمين إلى عدم إرسال بناتهم إليها، ومع ذلك استمر التعليم فيها.

ـ مدرسة بيت لحم للإناث: ركزت هذه المدرسة على التعليم الديني، ومهن الخياطة والتطريز، وكان يديرها معلم من السكان المحليين مقابل استلام منحة مساعدة من الإرساليات، وحرصت الإرسالية الأمريكية على بيع الكتب بين الطوائف المسيحية لنشر المذهب البروتستانتي، مثل كتاب العهد الجديد وإصحاحات من الإنجيل والمزمور والكتاب المقدس.

١٠ ـ مدارس إرسالية أصدقاء السوريين: وبعدما انسحبت الإرساليات الأمريكية من القدس في سنة ١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م، عادت إلى بيروت عن طريق إرسالية أصدقاء السوريين، التي عملت على إنشاء أربعة مدارس في ضواحي القدس، وهي.

ـ مدرسة للبنات في رام الله سنة ١٨٧١م.

ـ مدرسة للذكور في رام الله أنشئت سنة ١٨٨٩م.

ـ مدرسة جفنا سنة ١٨٧٢م.

ـ مدرسة عين عريك سنة ١٨٧٧م.

قبلت هذه المدارس الطلبة العرب من المسلمين والمسيحيين، وبلغ عدد الطلاب في المدارس الأربعة في سنة ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م (٨٠) تلميذاً، و(٣٠) تلميذة، أما المعلمون فكانوا خمسة فقط، كذلك أنشأت جالية أمريكية تعرف بالمستعمرة الأمريكية، مدرسة في مدينة القدس، وقد تأسست هذه المستعمرة سنة ١٨٨١م من قبل محام من شيكاغو يدعى (سيافورد) وزوجته، كانت تضم في البداية أربعة عشر عضواً فقط، ولكنها ازدادت إلى تسعين من جنسيات مختلفة، وكانت أهدافها دينية تدعم نفسها بنفسها.(١٩)

وعلى الرغم من أن المدارس الطائفية قامت بدور أساسي ومهم في عملية التعليم، فإنها استخدمت المدارس وسيلة لمساعدتها في نشر مذهبها بين باقي الطوائف، ويتضح هذا من كون معظم المدارس قد خضعت لإشراف الرهبان والراهبات، لذلك قوبل إنشاء المدارس بالعداء من قبل الطوائف.

واهتمت هذه المدارس بالتعليم الديني مع وجود بعض المدارس التي اهتمت بتعليم بعض المهن، ولكنها حصرت دورها بالتعليم الديني، وهذا أدى إلى انقسام المجتمع المسيحي في القدس إلى شيع وأحزاب مختلفة تخدم كل فئة من السكان الدولة الأجنبية التي أنشأت مدارسها، والحق يقال.. إن كل التعليم الذي أوجدته هذه المدارس، إلا أنها ساعدت في نشر الفرقة بين الطوائف..!

١١ ـ من المدارس المسيحية التي أنشئت في بداية القرن العشرين :

ـ كلية تراسطانة التي بنتها جمعية القديس بولس الميلانية سنة ١٩٢٦م، وتقع غربي مدينة القدس، افتتحت رسمياً سنة ١٩٢٩م، ووضعت تحت رعاية جمعية حراس الأرض المقدسة الفرنسية.[٢٠]

ـ المدرسة الإكليركية التابعة لآباء القلب المقدس الذين جاؤوا القدس سنة ١٨٧٩، وأسسوا ديرا يخصهم قريباً من بيت لحم، وأنشؤوا مدرسة إكليركية، وفي سنة ١٩٤٧م نقلوها إلى فرنسا.[٢١]

ـ مدرسة راهبات مار فرنسيس: ويعرفن باسم الفرنسيات الثالثيات، جئن إلى القدس سنة ١٨٨٤م، فأنشأن كنيسة، ثم مدرسة داخل الكنيسة وعرفت باسم بيت اليتامي في حارة النصارى إلى الشمال الشرقي من دير اللاتين.[٢٢]

ـ مدرسة الآباء الانتقاليون: ويعرفون باسم الرهبان الأغسطونيين، جاؤوا إلى القدس سنة ١٧٨٧م، وأسسوا فيها منزلاً عرف باسم نوتردام دوفرانس، وهو بناء ضخم بنوه سنة ١٨٩٩م، يبعد عدة أمتار عن الباب الجديد من أبواب السور الشمالية، وفيه متحف ومكتبة ومدرسة إكليركية.[٢٣]

ـ مدرسة الآباء الكبوشيون: الذين جاؤوا القدس سنة ١٩٣٥م، وبنوا في الطالبية ديراً ومدرسة وكنيسة.[٢٤]

ـ المعهد البابوي الأثري، بناه الجزويت (الآباء اليسوعيون)، ويقع في حي النيقوفورية، في سنة ١٩٢٧م، ومهمته دراسة الآثار القديمة بفلسطين.[٢٥]

ـ مدرسة كنيسة القديس جورج، وتقع قريباً من باب العمود إلى الشمال، بنيت سنة ١٨٩٨، وتعد من أكبر المدارس الأجنبية الكائنة في مدينة القدس، وتعرف بمدرسة سان جورج، تعود للإرسالية الإنجيلية لطائفة البروتستانت.[٢٦]

ـ المدرسة الفرنسية للبحث عن التوراة، اشتركت المدرسة مع بعض الجمعيات للبحث عن الآثار في القدس، وكلها أجنبية، وأهمها: جمعية الآثار البريطانية، وجمعية البحث عن الآثار الفلسطينية، والمعهد الشرقي لجامعة

شيكاغو، والمعهد الشرقي الألماني، والمعهد الإنجيلي الألماني، والمدرسة الأمريكية للبحث عن الآثار الشرقية.[٢٧]

ـ المدرسة الأمريكية لدراسة الآثار الشرقية بفلسطين: عرفت القدس منذ بدء الاحتلال البريطاني وحتى نهايته جمعيات ونوادي مختلفة بلغ عددها (٢٠٢٣) منها الأدبي والثقافي، ومنها الرياضي، ومنها الخيري، ومنها سبعون جمعية يهودية، كما وجدت جمعيات عديدة للبحث عن الآثار الفلسطينية.

في سنة ١٨٦٨م هبط القدس عالم أمريكي يدعى د. إدوارد روبنسون، اهتم بدراسة آثارها، وفي سنة ١٨٩٥ وصلت بعثة أمريكية برئاسة د. روزويل هتشقوق رئيس كلية الإلهيات في الولايات المتحدة، وقاموا بتأسيس مدرسة أمريكية لدراسة الآثار الشرقية بفلسطين، كان مدير المدرسة سنة ١٩٠٠ د. شارل كتلر توري من ييل، وقد رعى المدرسة مجلس أمناء يمثل جمعيات ثلاث تمد المدرسة بالعون والمال وهي جمعية الآثار الأمريكية، والجمعية الشرقية الأمريكية، وجمعية التوراة الأدبية.

في سنة ١٩٢٥ أنشئ بناء المدرسة الحالي، وفي سنة ١٩٣١ أضيف للبناء جناح جديد، والمدرسة قائمة على أرض مساحتها أربعة دونمات، في أجمل بقعة في القدس، وتبعد عن باب الساهرة شمالاً قليلاً، وتدار المدرسة من قبل ستين كلية وجامعة أمريكية، تدفع كل واحدة منها مبلغاً معيناً من المال في كل سنة، وفي المدرسة مكتبة فيها أكثر من (٨٥٠٠) مجلد، غير الكتب التي تخص مدرسة الآثار البريطانية والموجودة في نفس البناء.[٢٨]

ـ مدرسة المطران غوبات وتعرف بمدرسة صهيون، أسست سنة ١٩٢٠ في زمن المطران ماكنز، عمل على تأسيسها جمعية التبشير المسيحية وجمعية يهود لندن والمجمع الكنائسي الوطني الفلسطيني، وهي قريبة من مقبرة الروم الأرثوذكس.[٢٩]

هوامش ومصادر فصل المدارس المسيحية في القدس :

١ ـ نصارى القدس ـ د. أحمد إبراهيم القضاة ١٥-٢٢.

٢ ـ دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني لفاضل مهدي بيات ٤١٥، تاريخ الدولة العلية العثمانية لمحمد فريد ٤٨٦، نصارى القدس ٢٣٥-٢٣٦.

٣ ـ نصارى القدس ٢٣٧-٢٣٨.

٤ ـ نصارى القدس ٢٣٨-٢٤٠.

٥ ـ نصارى القدس ٢٤٢.

٦ ـ المسيحية في القدس لعارف العارف ١٠٥، المفصل ٧٦٠-٧٧٩، نصارى القدس ٢٤٢.

٧-٨- نصارى القدس ٢٤٣.

٩ ـ نصارى القدس ٢٤٣-٢٤٦ نقلاً عن كتاب فلسطين وتجديد حياتها لصلاح حنا، موسوعة بيت المقدس ٤٢/١.

١٠ ـ نصارى القدس ٢٤٧-٢٥٣.

١١ ـ المفصل ٧٥٧، موسوعة بيت المقدس، ٥٧٩/٢-٥٨٣، نصارى القدس ٢٥٦.

١٢ ـ المفصل ٧٥٥، نصارى القدس ٢٥٦.

١٣ ـ المفصل ٧٥٧، موسوعة بيت المقدس ٥٧٩/٢-٥٨٣، نصارى القدس ٢٥٣.

١٤ ـ المفصل ٧٥٧، موسوعة بيت المقدس ٥٧٩/٢-٥٨٣.

١٥ ـ المفصل ٦٥٢، موسوعة بيت المقدس ٧٠١/٢-٧٠٢.

١٦ ـ نصارى القدس ٢٦٠-٢٦٢، موسوعة بيت المقدس ١٠٤٩/٢.

١٧ ـ المفصل ٦٥٣-٧٦٤، نصارى القدس ٢٦٣.

١٨ ـ نصارى القدس ٢٦٤.

١٩ ـ نصارى القدس ٢٦٧.

٢٠ ـ المفصل ٦٥٢.

٢١ ـ المفصل ٧٥٨، موسوعة بيت المقدس ٤٥٥/١-٤٥٦.

٢٢ ـ المفصل ٧٥٧، موسوعة بيت المقدس ٥٧٩/٢-٥٨٣.

٢٣ ـ المفصل ٧٥٨، موسوعة بيت المقدس ٤٥٥/١-٤٥٦.

٢٤ ـ المفصل ٧٥٨-٧٥٩.

٢٥ ـ المفصل ٧٥٩.

٢٦ ـ المفصل ٧٦٧.

٢٧ ـ موسوعة بيت المقدس ٢٧٢/١.

٢٨ ـ المفصل ٦٦١-٦٦٦، موسوعة بيت المقدس ٧٥/١-٩٠.

٢٩ ـ المفصل ٧٦٩، موسوعة بيت المقدس ٨٣٥/٢.

مدارس اليهود في القدس

جاء في كتاب تاريخ القدس ودليلها المطبوع سنة ١٩٢٠م في بيت المقدس (أما المدارس اليهودية فكثيرة العدد يقوم بنفقات بعضها أموال روتشلد، ونفقات البعض الآخر الأموال اليهودية التي يقدمها أغنياؤهم).

وعن الروح التي تبثها هذه المدارس في البلاد يقول كاتب يهودي (إنه منذ أول سنوات الدراسة والطلبة في المدرسة يتلقون يومياً خطبة مطولة عن الواجبات المقدسة نحو أمتنا).

وكان يقول المعلم للطلاب:

(يجب أن تخلص أرضنا وتنظف من الكفار العرب، ويجب أن يسخر الطالب حياته لخدمة أرض الآباء وللقتال من أجلها).

هذه المدارس، وهذه التربية لم تبدأ مع الاحتلال البريطاني، وإنما كانوا قد أسسوها في العصر العثماني، في وقت كان العرب فيه غافلين، تمضي الليالي ولا يدرون عدتها...!

هذه المدارس وهذا التعليم أسس في القدس منذ أن سمح السلطان سليمان القانوني وابنه سليم الثاني لليهود الفارين من أسبانيا والبرتغال باللجوء إلى طبرية، فكانت هذه الهجرة الخميرة الأولى للوجود اليهودي في فلسطين، ومع مرور الزمن كذبوا كذبة أن فلسطين وطنهم الأصلي، وأن حائط البراق هو حائطهم عليه أقيم معبدهم.. مع أن التاريخ وعلم الآثار لم يثبت ذلك أبداً، وصدقوا كذبتهم.. حتى أن بعض العرب والمسلمين وللأسف صدقوا ما ذهبوا إليه، وجاءت بريطانيا وحمت اليهود.. وكان ما كان حتى صار حائط البراق حائط السرور لليهود وصار حائط المبكى للعرب والمسلمين.

المدارس اليهودية في القدس :

وجد في القدس لغاية سنة ١٩٤٨ (٥٩) مدرسة يهودية، منها (٢٧) مدرسة يهودية عمومية تشرف عليها الوكالة اليهودية، وهي:

١ ـ مدرسة عيروني الابتدائية.

٢ ـ مدرسة تحكموني الابتدائية.

٣ ـ المدرسة العبرية للبنات،

٤ ـ مدرسة بيت هاكيرم الابتدائية.

٥ ـ مدرسة تل بيوت الابتدائية.

٦ ـ مدرسة رحافيا الابتدائية.

٧ ـ مدرسة شقولي الابتدائية.

٨ ـ مدرسة صوقولوف الابتدائية.

٩ ـ مدرسة كتاب البنات المزراحيات.

١٠ ـ مدرسة رحافيا للبنات.

١١ ـ مدرسة كتاب بيت مناحيم.

١٢ ـ مدرسة كتاب أبناء اليمن.

١٣ ـ مدرسة دورش صهيون.

١٤ ـ مدرسة العمال.

١٥ ـ المدرسة البلدية الابتدائية.

١٦ ـ مدرسة بيت هاركام الثانوية.

١٦ ـ مدرسة بيت هاركام الثانوية.

١٧ ـ مدرسة بغروت الاستعدادية.

١٨ ـ مدرسة معلى الثانوية.

١٩ ـ دار التربية.

٢٠ ـ دار التعليم العبرية.

٢١ ـ دار المعلمين المزراحيين.

٢٢ ـ دار المعلمات المزراحيات.

٢٣ ـ مدرسة اليس سالزبرغ.

٢٤ ـ مدرسة رفقة صوماخ.

٢٥ ـ مدرسة بصاليل الصناعية.

وفي القدس (١٠) مدارس يهودية خصوصية، وهي:

١ ـ مدرسة افلينادي روتشيلد.

٢ ـ مدرسة آلوما الثانوية.

٣ ـ مدرسة هوريف.

٤ ـ مدرسة الاتحاد الإسرائيلي.

٥ ـ مدرسة الحقل الزراعي.

٦ ـ المدرسة اليهودية.

٧ ـ المدرسة التجارية.

٨ ـ دار المعلمات.

٩ ـ دار الفنون.

١٠ ـ المدرسة الزراعية للبنات.

كما يوجد (١٩) مدرسة ابتدائية خصوصية تملكها مؤسسات يهودية مختلفة، كذلك (٥) مدارس ثانوية، ودارين لتمرين المعلمات، وست دور للأيتام، و٣٣ داراً لتعليم التلمود، و(٢٤) روضة أطفال، كلها خصوصية إلا تسعة رياض أطفال، فهي عمومية[١].

الجامعة العبرية:

تقع على جبل الزيتون (سكوبس) على ارتفاع ٢٠م عن سطح البحر، وتعد من أعظم المؤسسات الثقافية اليهودية في الشرق.

تعود فكرة تأسيسها إلى الدكتور (هرمان شابيرا) أستاذ الرياضيات في جامعة هيدلبرغ بألمانيا، سنة ١٨٨٤، حيث نشر عدة مقالات دعا فيها اليهود إلى إقامة جامعة تحفظ تراثهم العلمي والأدبي القديم، وتساهم في نهضتهم العلمية الحديثة.

في سنة ١٨٩٧م عرض فكرته د. شابيرا على المؤتمر الصهيوني الأول، لكن بقيت آراءه عند حدود القول فقط، لكن في سنة ١٩٠١م حاول د. وايزمان أن يقنع المؤتمر الصهيوني الخامس، كي يقوم بدراسة دقيقة ليبت بأمر الجامعة، لكن د. هرتسل لم يضع اقتراحه للتصويت، إنما وعد بدراسته، وفي سنة ١٩٠٢م، استأنف وايزمان مساعيه وأسس في جنيف مكتباً غايته السعي لإيجاد مؤسسة للدراسات العالمية، وفي أيار سنة ١٩٠١ طلب هرتسل من السلطان عبد الحميد

السماح لليهود بتأسيس جامعة لليهود بالقدس، لكنه رفض، وفي سنة ١٩١٣ أقر المؤتمر الصهيوني الحادي عشر خطة إنشاء الجامعة، وفي تلك السنة ١٩١٣م تم شراء الأرض التي سيقوم عليها بناء الجامعة، وفي ٢٤ تموز سنة ١٩١٨، وضع د. وايزمان الحجر الأساسي للبناء، وفي أول نيسان سنة ١٩٢٥ تم تدشين الجامعة.

يقول شراب في موسوعته إن الدراسة بدأت فيها سنة ١٩٢٣، وافتتحها رسمياً بلفور صاحب الوعد المشؤوم في ١ نيسان ١٩٢٥، وقد حضر الحفل بعض العرب ممثلين مؤسساتهم العلمية، ومنهم أحمد لطفي السيد رئيس الجامعة المصرية، وقد قال الشاعر إسكندر الخوري البتجالي في ذلك:

فأنت أصل الفاجعة		يا لوردُ ما لومي عليك
لنا أكفاً صافعة		لومي على مصر تمدُّ
وقلوب قومك هالعة		يا سيّدُ قد جئتنا
لا العلوم النافعة		وشهدت جامعة المطامع
مِصْر ظروف الواقعة		نشكو لكم منك بني
أمة متقاطعة		أوهمتمُ الأعداء أنّا

لقد وضع حجر الأساس للجامعة بعد أشهر قليلة من دخول الإنكليز القدس، وهذا يدل على أن اليهود كانوا يرون أن الوطن القومي والدولة اليهودية قائمان لا محالة، فالجامعة تعد أساس البنيان، وقد قام الجيل الأول من المؤرخين اليهود في الجامعة العبرية بالقدس (قسم الدراسة العبرية) بدور بالغ الأهمية في اختلاق التاريخ اليهودي، ضمن التصور الصهيوني، وتمكن هؤلاء من اختلاق هوية قومية جماعية جديدة للشعب اليهودي، في الوقت نفسه لم يكن أحد من المؤرخين العرب قد خطَّ سطراً في تاريخ فلسطين في عصور ما قبل الميلاد، وفي الجامعة

العبرية اليوم قسم للتاريخ فيه أكثر من /١٢٠/ أستاذاً، وكلهم متفرغون للأبحاث والدراسات، وفيها معهد خاص باسم ـ معهد دراسات القدس ـ وهو واحد من بين معاهد وجمعيات تركز أبحاثها على مدينة القدس، ومنها الجمعية التاريخية الإسرائيلية، وجمعية الآثاريين الإسرائيليين، والجمعية الاستشراقية بالجامعة العبرية، وجمعية استكشاف إسرائيل، ومركز البحث لمدة ما قبل التاريخ في القدس، والجمعية الإسرائيلية للأبحاث التوراتية. والحق يقال... إن عند اليهود اليوم أكثر من عشرة معاهد لدراسة تاريخ القدس..![٢].

وهناك جامعة تل أبيب التي أسست سنة ١٩٥٧.

الهوامش والمصادر :

١ ـ المفصل ٦٥٣-٦٥٤.

٢ ـ المفصل ٦٥٥، موسوعة بيت المقدس ١/١٧٣-٢٥٦-٢٥٧، ٢/٩١٩-٩٢٩.

القسم الثانـي

المكتبات

مكتبات القدس

مقدمة حول نشوء المكتبات :

لا يخفى أن الكتابة هي دعامة الحضارات القديمة والحديثة على اختلاف عصورها وشعوبها وبلدانها، فهي التي حفظت علوم القرون السابقة، ومهدت للمتأخرين سبيل التبسط فيما اتصل إليهم من معارف الأولين، وما كاد يتعلم الإنسان فن الكتابة حتى أولع بتدوين أعماله وآثاره ومعلوماته، فتولدت فيه فكرة صيانتها، وبازدياد تلك المعلومات وازدياد الحرص عليها نشأت المكتبات وانتشرت الرغبة بين الناس في جمع المؤلفات، وقد أثبت البحث في نينوى وبابل وتل العمارنة وجميع الأماكن الأثرية القديمة، أن الميل إلى جمع الوثائق والصكوك وأخبار الأولين ليس حديثاً في الدنيا، لكنه يرتقي إلى أبعد الأزمنة السابقة...

فمن البديهي أن نرى الإنسان مفطور على الافتخار بأعماله والتباهي بآثار أجداده، وأن يشيد بمآثر أبطال وطنه يتغنى بها حقبة بعد حقبة، وجيلاً بعد جيل، ولأجل ذلك نراه لا يألوا جهداً في نقشها على الأضرحة أو حفرها في الهياكل والأبنية التاريخية أو تدوينها على الأختام وعلى النقود وفي بطون القراطيس، كما جرى لجميع الأمم الراقية التي وصلت إلينا بقاياها.

وكل من له إلمام بعلم التاريخ يشهد بما خلفه القدماء... الآشوريون والبابليون والمصريون والحثيون والفينيقيون والصينيون والهنود والفرس والسريان واليونان والرومان والعرب وغيرهم من الآثار الباهرة التي تنطق بعبقريتهم واتساع دائرة معارفهم.

وهل يجهل أحد أسماء المكتبات الشهيرة التي أتى عليها الزمن وصارت في خبر كان، فمن منا لم يسمع بمكتبة الرها والقدس ومكتبتي المتحف والسيرابيوم في

الإسكندرية، والمكتبة الأوكتافية ومكتبة ابولون في روما، ومكتبتي القسطنطينية، ومكتبات الصين التي أمر الإمبراطور (هي ـ هوتك ـ ني) بإحراقها سنة ٢١٣ق.م، ومكتبة أرسطو التي استولى عليها ثيوفراست، ثم اشتراها بطليموس فيلادلفوس، وأمثلة كثيرة...

وعرفت القدس مكتبات مسيحية قديمة جداً، مثل مكتبة الأسقف (إسكندر) قبل سنة ٢١٢م، ومكتبة (آوريجين بامفيلوس) الذي أسس مكتبة كبيرة سنة ٣٠٩م، والتي كان فيها كتاب مجموعة الدهور وهو خمسون مجلداً...

مكتبات القدس :

يمكننا أن نقول أنه ابتداءً من أواخر القرن السادس الهجري، بدأت تتضح ملامح جديدة لحركة الكتب والمكتبات في فلسطين بشكل عام، وفي مدينة القدس بشكل خاص، لأن العصر الأيوبي والعصر المملوكي وبدايات العصر العثماني كانت عصور نهضة علمية، وبالتالي وجدت نهضة مكتبية تمثلت في مظاهر حضارية متعددة، أهمها:

ـ بناء المساجد والجوامع.

ـ إنشاء المدارس المختلفة.

ـ انتشار الخوانق والزوايا والربط التي كانت أشبه ما تكون بالمدارس.

ـ ازدهار معاهد العلم.

ـ كثرة التأليف ورواج الكتب.

ـ إنشاء المكتبات الخاصة والعامة.

وإن كانت معظم تلك المكتبات قد ضاعت، كما تلف قسم آخر منها، وبعض ما بقي إما سرق وإما بيع بثمن بخس ليستقر في مكتبات الغرب، هذا غير الذي

سرقه العثمانيون ووضعوه في الآستانة، وبالإضافة إلى ذلك فإن الزلازل والحرائق والحروب قد ساهمت بضياع قسم كبير منها...

والدارس لأحوال مكتبات القدس يرى أن الوضع قد اختلف عمّا كانت عليه قبل القرن (١٩م)، فقد شهدت القدس أوضاعاً متغيرة منذ منتصف القرن (١٩م) وما بعد ذلك، حيث تغلغل الاستعمار بأشكال مختلفة، وتأسست في القدس مدارس تابعة للدول لتحل محل المدارس الدينية القديمة، وفي هذه الفترة من تاريخ القدس أخذت الإرساليات الأجنبية البريطانية والفرنسية والألمانية والروسية وغيرها من الإرساليات تنشئ المدارس في مدينة القدس، كما أخذ علماء الآثار يدرسون آثار فلسطين والقدس، وينشؤون معاهد وجمعيات أثرية ومكتبات تابعة لهذه المعاهد والجمعيات، كما دخلت المطابع الحديثة لأول مرة أراضي فلسطين، فقد أدخل الآباء الفرنسيون (الفرنسيسكان) مطبعتهم سنة ١٨٤٧م، وأسس الروم الأرثوذكس مطبعتهم سنة ١٨٥١م، وبعد الانقلاب العثماني سنة ١٩٠٨م بدأت الصحف الخاصة تصدر في مدينة القدس...

كل هذا أدى إلى ازدهار الاتصالات الثقافية بين فلسطين وأوروبا، وظهر أوائل المقدسيين الذين تلقوا علومهم في معاهد وجامعات أوروبا، مثل (يوسف ضيا باشا الخالدي وروحي الخالدي)، هذه المتغيرات الثقافية كان لها في القدس أثر كبير في مجال الكتب والمكتبات، فقد تم فتح مكتبات جديدة من جهة، كما تم إعادة تنظيم ما بقي من المكتبات القديمة من جهة أخرى، كالمكتبة الخالدية ومكتبة الجمعية الروسية الأرثوذكسية، ومكتبة المعهد الإنجيلي الألماني لدراسة آثار فلسطين، ومكتبة المعهد الكتابي والآثاري الدومينيكاني للأبحاث الشرقية، وغيرها من المكتبات...

ومن المكتبات التي أعيد تنظيمها ووضعت فهارس لبعض محتوياتها، مكتبة البطريركية الأرثوذكسية (دير الروم) وكانت قد تأسست سنة ١٨٦٥، ومكتبة دير المخلص التي تأسست سنة ١٥٥٨.

وإذا درسنا أحوال مكتبات القدس أيام الانتداب البريطاني (١٩١٧-١٩٤٨) نرى أن الحكم البريطاني عمل على قيام الوطن القومي لليهود في فلسطين، لذلك أعطى شؤون تعليم اليهود إلى الوكالة اليهودية، بينما أبقى شؤون تعليم الفلسطينيين في أيديهم، وقد قصر كثيراً في فتح المدارس في القرى والريف، فلم يكن قبل سنة ١٩٤٨ في كل فلسطين إلا ثلاث مدارس ثانوية، وهي دار المعلمين (الكلية العربية)، ودار المعلمات والمدرسة الرشيدية، والثلاث كانت في القدس.

ولم تعط إدارة المعارف أي اهتمام للمكتبات المدرسية، ففي سنة ١٩٢٠ لم يكن يوجد في أي مدرسة مكتبة، ثم بدأت عملية انتشار مكتبات المدارس ولكن كانت بشكل بطيء لعدم رصد ميزانية لذلك، فالكتب كانت تشترى من تبرعات الطلاب، أو من الهدايا التي يقدمها المحسنون، ولم يكن هناك غرفاً مخصصة للمكتبة في المدرسة، بل كانت مجرد خزائن فقط، من غير فهرسة أو موظف مختص بالمكتبات.

لذلك يقول كامل جميل العسلي.. لغاية سنة ١٩٤٨ كانت المكتبات المدرسية في القدس وغيرها من باقي المدن فقيرة، فقد كان متوسط عدد الكتب في المدرسة الابتدائية الكاملة (٦٠٠) كتاب، وفي المدرسة الثانوية (١٢٠٠) كتاب، وكانت أكبر المكتبات الأكاديمية الرسمية (مكتبة الكلية العربية في القدس) التي تأسست سنة ١٩٢٠ كان فيها سنة ١٩٤٥ حوالي (٧٠٠٠) كتاب باللغة العربية والإنكليزية.

وفي الوقت نفسه كانت المكتبات الحكومية أو التابعة لجهة ما مغلقة، فلم تفتح أبوابها زمن الانتداب، لحرص الاستعمار المتعمد على تجهيل الشعب، لذلك حاولت بعض المؤسسات غير الرسمية أن تسدَّ جزءاً من الفراغ الحاصل، فنشطت بعض النوادي والجمعيات بإقامة نشاطات ثقافية وفتحت مكتبات خاصة بها، مثل المركز الثقافي الفرنسي، والمجلس الثقافي البريطاني، وجمعية الشبان المسيحيين، كذلك نشطت بعض الدوائر الحكومية بإنشاء مكتبات متخصصة، مثل مكتبة دائرة الزراعة، دائرة المعارف، ومحكمة العدل العليا، ومتحف الآثار الفلسطيني، ودائرة الإحصاءات، ودائرة الإذاعة، ودائرة المطبوعات.

وبعد حرب سنة ١٩٤٨ وحدوث النكبة، صارت مدينة القدس الشرقية والضفة الغربية تحت إشراف الأردن، وكانت الظروف صعبة، ومع ذلك فُتحت مدارس ومؤسسات عامة، وتم تطوير المكتبات ولكن في نطاق ضيّق، فالأردن زوّد مكتبات المدارس وقام بدورات تدريبية للعاملين بها، كما أدخل نظام المكتبات المتنقلة، لذلك تحسن وضع المكتبات المدرسية قليلاً ما بين (١٩٤٨ و١٩٦٧) أما المدارس الثانوية فقد تحسنت مكتباتها بشكل أفضل، أما أهم تطور وتحسن للمكتبات خلال هذه الفترة كان بتأسيس المكتبة العامة سنة ١٩٦٤، وتعرف اليوم باسم (مكتبة القدس المركزية) وتشرف عليها بلدية القدس، وتضم أكثر من خمسين ألف كتاب.

أولاً- مكتبات المدارس

١ ـ مكتبة المسجد الأقصى (أول مدرسة في القدس).

تعد مكتبات المساجد والجوامع من أول المكتبات العربية التي عرفتها فلسطين بشكل عام ومدينة القدس بشكل خاص.

وقد أضيفت إلى هذه المكتبات التي كانت تضم المصاحف وكتب الحديث في القرن الثالث الهجري مجموعات من الكتب التي بدأت تنتشر في بلاد الشام في تلك الفترة، مثل كتاب الزهري والأوزاعي والوليد بن سلم، كذلك الكتب التي صنفها المحدثون الفلسطينيون والمحدثون الذين أمُّوا القدس في القرنين الثالث والرابع الهجريين بشكل خاص.

وهناك نصوص تتعلق بخزائن المجسد الأقصى يتضح منها أن أهم ما كانت تضمه هذه الخزائن، نسخ القرآن الكريم التي كانت توضع في المسجد أو توقف عليه أو تهدى إليه، فقد ذكر ابن الفقيه في كتاب البلدان الذي ألف سنة ٢٩١هـ/٩٠٢م أنه كان في المسجد الأقصى في زمنه ستة عشر صندوقاً للمصاحف، وقال ابن عبد ربه المتوفى سنة ٣٢٨هـ/٩٣٩م في العقد الفريد أن في المسجد الأقصى سبعون مصحفاً، وهناك نص ثالث أورده محمد بن علي بن ميسر سنة ٦٧٧هـ في تاريخه إذ يقول (إن الإفرنج حاصروا بيت المقدس في رجب سنة

٤٢٩هـ/١٠٩٩م فهدموا المسجد... وأحرقوا المصاحف)، ويعتقد الباحث كامل العسلي أن بقية من المصاحف القديمة لا تزال موجودة حتى اليوم في مكتبة المتحف الإسلامي بالقدس، والتي تضم أكثر من ٦٥٠ مصحفاً قديماً، معظمها كتب ما بين القرن الثالث والقرن الثاني عشر للهجرة، من بينها نصف مصحف قديم على ورق بخط كوفي كتب عليه (كتبه محمد بن الحسن بن الحسين بن بنت رسول الله).

لكن المخطوطات القديمة التي ألفت قبل القرن السابع للهجرة لم تصلنا، لأنها هلكت أثناء الحروب والفتن الأهلية والحرائق والزلازل. وكان المسجد الأقصى كغيره من المساجد الإسلامية الكبيرة، ولا يمكن أن يكون المسجد مركزاً علمياً عالمياً دون أن يوجد فيه مكتبات ضخمة مليئة بالكتب.

بدأت خزائن كتب المسجد الأقصى تضم بوجه خاص أمهات الكتب بعد القرآن الكريم وكتب الحديث الشريف والتفسير والفقه وغير ذلك من الكتب الدينية، ثم تطورت هذه الخزائن مع مرور الزمن فضمت آلاف المخطوطات والكتب في العلوم الأخرى مثل علوم العربية وآدابها، وعلوم الحساب والمنطق والتاريخ، بالإضافة إلى مؤلفات الذين درسوا في المسجد الأقصى عبر العصور، وكان كل من درس بالأقصى يوقف مكتبته عليه، ومن يؤلف كتاباً من كل أنحاء العالم الإسلامي يرسل نسخة إلى مكتبة الأقصى ويوقفها على طلاب العلم فيه.

وعندما حرر صلاح الدين بيت المقدس... أوقف على مسجد قبة الصخرة الأوقاف، وحمل إليها المصاحف والختمات والكتب وجعلها فيها، ثم أوقف كثير من الأمراء والسلاطين المصاحف والمكتبات... ويقول العسلي: (إن خزائن الكتب في الحرم القدسي كانت موزعة بين المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة... وأنه كان في كل منهما خزائن خاصة للكتب).

ومما يؤكد ذلك أنه كان لكل من الأقصى وقبة الصخرة خزنة للكتب أو أمناء مختصون بذلك، فالسخاوي يذكر في ترجمة شمس الدين محمد بن أحمد بن حبيب الغانمي المقدسي أنه كان خازناً للكتب في المسجد الأقصى في أواسط القرن التاسع الهجري، وممن تولى أمانة الكتب في مسجد الصخرة في القرن الحادي

عشر الهجري يشير الخليل وخوفاً على ما تبقى من مخطوطات المسجد الأقصى وقبة الصخرة، رمم المجلس الإسلامي في منتصف القرن العشرين المدرسة الأسعردية التي بنيت حوالي سنة ٧٦٠هـ/١٣٣٨م ونقل إليها الكتب، وتقع بالقرب من المدرسة الجاولية شمالي الحرم الشريف، كما ذكر عارف العارف في المفصل، أما صلاح الدين المنجد فيذكر في كتابه المخطوطات العربية في فلسطين أن المكتبة في جامع المغاربة بالمسجد الأقصى، وذكر أنها خزائن لطيفة هي ضمن المتحف الذي أسسه مجلس الأوقاف الإسلامي، وذكر أن فيها أكثر من عشرة آلاف كتاب أكثرها مطبوع، وهذا الرقم حوالي ١٩٤٠م، وفيها أكثر من ألف مخطوط، وكان يشرف عليها يعقوب البخاري شيخ الزاوية النقشبندية، ولها فهرس مخطوط، ويقول عارف العارف أنها تأسست سنة ١٩٢٧، وكان فيها سنة ١٩٤٥م حوالي ١٨٠٠ مخطوط.

وذكر إياد الطباع أن في مكتبة المسجد الأقصى نحو ١٦٠٠ عنوان مخطوط، منها المجاميع، وقد صدر لها فهرس مطبوع بثلاثة أجزاء، أعده خضر إبراهيم سلامة، الجزء الأول طبع بالقدس سنة ١٩٨٠ وأعيد طبعه سنة ١٩٨٣، والجزء الثاني طبع بعمان، مؤسسة آل البيت سنة ١٩٨٣، أما الجزء الثالث فقد طبع في لندن سنة ١٩٩٦، قامت بطبعه مؤسسة الفرقان للتراث.

كما قام مركز الأرشيف الوطني الفلسطيني بإجراء دراسات ومسوحات خلال الأعوام الماضية بعد قيام السلطة الفلسطينية، شملت تسع مكتبات فقط في القدس، منها مكتبة المسجد الأقصى.

من مصائب المكتبة :

يقول اسحاق موسى الحسيني عاشق التراث، وأحد حاملي راية الدفاع عن التراث الفلسطيني عن مأساة تراثنا السليب (.. ويظهر أيضاً أن تجار المخطوطات من الغرباء سطوا على كثير من الكتب الثمينة والتي وقفها السلاطين والأمراء والأعيان، وهربوها إلى خارج البلاد في غفلة من أهلها، فهناك صناديق مليئة بالمخطوطات في جامعة (هايدلبرغ) في ألمانيا عليها ختم المسجد الأقصى، هذا عدا ما تسرب إلى أوروبا وأمريكا وتركيا من تراثنا السليب...).

وقد ذكر طرازي في موسوعته (خزائن الكتب العربية في الخافقين).. ومن أثمن ما وقع عليه نظرنا في القدس الشريف سنة ١٨٩٣م مصحف بديع موشى بالعسجد واللُجين، كتبه عبد الله بن أمير المسلمين أبي سعيد عثمان سلطان الجزائر، وهذا المصحف الذي يزين خزائن المسجد الأقصى مكتوب بحبر أحمر وأزرق وأخضر وقرمزي مُزج بالمسك والزعفران، يرتقي تاريخه إلى سنة ٧٤٥هـ، ولما سُرق منذ بضعة أعوام، قامت الحكومة الفلسطينية وقعدت للأمر، وبثت العيون على اللصوص في جميع الأمصار، حتى عثرت عليه سنة ١٩٣٦ في حانوت أحد تجار العاديات بالقاهرة، وأعادته إلى مركزه في خزائن المسجد الأقصى.

ويؤكد المؤرخون أن مكتبة المسجد الأقصى تعرضت كسائر المكتبات لذوي المطامع، فضاع كثير من كنوزها التي لا تقدر بثمن، لكن تنبه المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى في القدس لهذا الأمر، وتولى بنفسه السهر والمحافظة على بقية تلك الكنوز من الضياع والسرقة، فأنشأ سنة ١٣٤١هـ داراً للكتب في المسجد الأقصى ضم إليها كل نادر ونفيس من الأسفار المخطوطة والمطبوعة...

ومن النوادر المحفوظة في هذه المكتبة...

ـ مصحف مجزء ثلاثين جزءاً كتبها بيده أحد ملوك المغرب على رق غزال، وهي مجلدة على الطريقة المراكشية، وموضوعة في صندوق مزخرف بالميناء على الطريقة الأندلسية.

ـ نسخة من القرآن مكتوب على رق صقيل بالخط الثلثي الجميل، يعود لعهد المماليك، هوامشه مذهبة، وأسماء السور مكتوبة يحبر أبيض براق على أرضية ذات زخارف جد بديعة، غنية بنقوشها الهندسية وألوانها الذهبية الزاهية الحمراء والزرقاء، ولفظ الجلالة مكتوب بالذهب.

ـ الاختيار بشرح المختار في الفقه الحنفي، تأليف مجد الدين الموصلي المتوفى سنة ٦٨٣هـ، ومنسوخة سنة ٨٢٣هـ، وقفها مصطفى آغا وكيل دار السعادة.

طبقات الشافعية لأبي بكر بن أحمد بن قاضي شهبة المتوفى سنة ٨٥١هـ، وهي نسخة فريدة نفيسة، مقسّمة إلى ٢٩ فصل، كتبت سنة ٩٦٩هـ.

ـ صور الأقاليم للاصطخري المتوفى سنة ٣٤٠هـ، نسخت في القرن الخامس الهجري[١].

٢ ـ مكتبة المدرسة الناصرية :

تقع في ساحة الحرم على برج باب الرحمة من أبراج السور الشرقي، أنشأها نصر إبراهيم المقدسي في أواسط القرن ٥هـ/١١م، وعرفت هذه المدرسة بالغزالية نسبة للإمام الغزالي الذي اعتكف فيها مدة أتم خلالها تأليف كتابه إحياء علوم الدين، جددها الملك المعظم عيسى ٦١٠هـ/ ١٢١٣م، وجعلها زاوية لقراءة القرآن والاشتغال بالنحو وعلومه، ووقف عليها كتبها.

يقول مجير الدين الحنبلي في الأنس الجليل... ثم أنشأ الملك المعظم المدرسة الناصرية، وجعلها زاوية لقراءة القرآن والاشتغال بالنحو... ووقف عليها كتبا من جملتها كتاب إصلاح المنطق لابن السكيت، وقال.. وقد وقفت على كراسة منه بخط ابن الخشاب، وعلى ظهر الكراسة الوقف، وهو مؤرخ في ٩ ذي الحجة سنة ٦١٠هـ، ثم يقول.. وقد درست الزاوية في عصرنا (توفي مجير الدين سنة ٩٢٧هـ)[٢].

٣ ـ المكتبة الفخرية :

وتعرف بمكتبة خانقاه الفخرية، وقفها القاضي فخر الدين أبو عبد الله محمد بن فضل الله المتوفى سنة ٧٣٢هـ/١٣٣١م، كان ناظر الجيوش الإسلامية، والمكتبة قسم من الخانقاه الفخرية المجاورة لجامع المغاربة، وكانت غنية بمخطوطاتها الدينية والفلكية، تقدر بعشرة آلاف مصنف، ثم آلت الزاوية إلى عائلة أبي السعود في بداية القرن العشرين، ودخلت في أملاكهم، وهي عائلة معروفة سكنت القدس منذ القرن السابع الهجري، ومع أنها عائلة علم تعرف قيمة الكتاب

المخطوط إلا أنهم اقتسموا هذه الكتب فتفرقت بين أفرادها فبعثرت، كان الأجدى لهم لو عملوا مثل عائلة الخالدي، هذا نوع من أنواع مصائب المكتبات[٣].

٤ ـ مكتبة المدرسة الأمينية :

المدرسة الآمينية الواقعة برواق الحرم الشمالي، كان فيها غرفة مخصصة للكتب، وعرفت بالمكتبة.

٥ ـ مكتبة المدرسة البلدية :

عرفت فيها مكتبة الشيخ محمد بن محمد الخليلي مفتي الشافعية بالقدس/ وكانت من المكتبات الهامة، ثم باع حسن بك الترجمان المكتبة للوقف.

٦ ـ مكتبة المدرسة الأشرفية :

كانت مدرسة مشهورة وقد وضع واقفها فيها مكتبة، كما أوقف بعض مدرسيها مكتباتهم الخاصة عليها.

٧ ـ مكتبة المدرسة الغادرية :

كان فيها مكتبة كبيرة، لكنها ذهبت كما ذهبت المدرسة وأوقافها.

وإذا جزمنا أنه كان في كل مدرسة مكتبة لم نكن بذلك مخطئين، وكذلك الزوايا والتكايا والخوانق والربط، ومن الزوايا المشهورة بمكتبتها الكبيرة الزاوية البخارية، وهي عامرة إلى اليوم.

٨ ـ مكتبة الكلية العربية :

التي تأسست سنة ١٩٢٠، كان فيها سنة ١٩٤٨ حوالي (٧٠٠٠) كتاب باللغة العربية والإنكليزية، لكنها بعثرت بعد سنة ١٩٤٨ ونهب اليهود قسماً مهماً منها، وما بقي منها نقل إلى الرشيدية في الجزء العربي من المدينة[٤].

ثانياً: المكتبات العائلية :

١ ـ المكتبة الخالدية :

عرفت فلسطين عائلة تنسب إلى خالد بن الوليد، وقد سكنت القدس بعد الفتح العمري، ثم نزحت أثناء الحروب الصليبية إلى قرية (دير مردا) في جبل نابلس، ولأجل ذلك أطلق على كل من انتسب إليها لقب الخالدي الديري في القرن السابع والثامن والتاسع للهجرة، ومعظمهم كانوا أهل علم.

مؤسس المكتبة الخالدية والمشتركون في تعزيزها :

اقتنى الخالديون على مدى الأجيال آلاف الكتب المخطوطة، وحفظوها في ديوان أسرتهم الواقع في باب السلسلة، وهو الحي المعروف بهم في القدس، وقد خطر ببال راغب الخالدي أن ينشئ مكتبة عامة تبقى وقفا ينتفع به طلاب العلم على مدى الأيام والدهور، وكانت خديجة بنت موسى الخالدي قد أوصت بمبلغ من المال لأعمال البر، فأقنعها ابنها راغب أن تؤسس بهذا المال معهداً يستوعب المكتبة، وبعد المفاوضة في الأمر اتفق أركان الأسرة الخالدية على أن يكون باب السلسلة مركزاً لتلك الخزانة العلمية التي فتحت أبوابها رسمياً سنة ١٩٠٠م للمطالعين. والبناء الذي جعل مكتبة كان في الأصل تربة مملوكية تعرف باسم تربة الأمير بركة خان، وفيها قبره وقبر ولديه بدر الدين وحسام الدين، وتذكر بعض المصادر أن البناء استخدم كمدرسة انتهت ملكيتها إلى خديجة الخالدي ابنة القاضي موسى الخالدي قاضي عسكر بر الأناضول، فأوصت ابنها راغب الذي تولى مناصب قضائية مثل جده أن يحولها إلى مكتبة لتحتوي كتب العائلة.

وجرى الاتفاق على أنه متى توفي أحد أفراد هذه الأسرة تنقل كتبه إلى المكتبة العائلية، وهكذا ضمت إليها كتب يوسف ضياء الدين باشا الخالدي نائب القدس في مجلس المبعوثان العثماني ١٨٧٨م، وهو العالم الأديب أول من ألف معجماً في اللغتين الكردية والعربية ويعد الأول من نوعه، ومكتبة روحي بك الخالدي الرئيس الثاني لمجلس المبعوثان العثماني سنة ١٩٠٨ بالآستانة، ونظيف بك الخالدي أحد مهندسي السكة الحديدية الحجازية، وأحمد بدوي بك الخالدي، وغيرهم...

تبويب المكتبة وتنظيمها وعدد مجلداتها:

ما كادت تظهر المكتبة للوجود حتى وصل إلى القدس العلامة طاهر الجزائري منفياً من دمشق بأمر من السلطنة العثمانية، وكان من غلاة الكتب وصديقاً حميماً لراغب الخالدي، وهو ممن ساعد بإنشاء ظاهرية دمشق، فكلفه بتبويبها وترتيبها، وسعى في إنشاء أوقاف خاصة بها، لتضمن نجاح مستقبلها، وأعد لها فهرساً خاصاً طبع سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م/ مما سهل على العلماء والدارسين معرفة كل محتويات هذه المكتبة النفيسة والنادرة، وهذا الفهرس لا يشمل إلا كتب راغب وياسين وموسى الخالدي فقط، أما باقي الخزائن فلها فهرس محفوظ؟

وقد كتب (جرجس فيلوثاوس عوض) أحد علماء الأقباط لطرازي من القدس في ١٤ نيسان ١٩٣٦... أنه زار المكتبة الخالدية وتعهد محتوياتها، فقيل له إنها تشتمل على سبعة آلاف مجلد ثلثها مخطوط، وبين مخطوطاتها سبعة وخمسون مجموعة يضم أعظمها ستين رسالة مختلفة، ومن تلك المخطوطات ما يبلغ عمره السبعة قرون، ولهذه المكتبة مدير خاص يشرف عليها ويحافظ على ذخائرها...

وقد زارها علامة الشام جمال الدين القاسمي المتوفى سنة ١٩١٤م أثناء رحلته إلى بيت المقدس، فعبر عن إعجابه بها فقال:

كتبُ آل الخادي أنعِمْ بها		مَوْرِداً للفضل منه فاحتَسي
مَن آتى منهلها العَذْبِ يُرى		منه بالي فهمهِ فضلاً كُسي
هكذا فليأتَسي مَن كان يطـ		ـلُبُ مَجْداً هكذا فليأتسي
غرسوا في القدس فخراً باهراً		ورثوهُ عن كرامِ المغرسِ
فجزاهم ربُّنا خيرَ الجزاء		ما سرى رَكبٌ لأرض المقدسِ

وقد جعلها أفراد العائلة دار علوم عمومية لمن يرغب المطالعة من أي فرد كان، وشرطوا أن لا يخرج منها كتاب حرصاً على المنفعة العامة، وضمت بالإضافة إلى كتب العائلة المتوارثة كتبا للمستشرفين، كما ضمت عدة مكتبات أوقفها عليها بعض العلماء.

وبلغت محتوياتها بعد ترتيبها ونموها عشرة آلاف مجلد، منها خمسة آلاف مخطوط في كل نوع من الأنواع العلمية العربية والإسلامية، وكان أمينها الشيخ أمين الأنصاري يستهدي نفائس المخطوطات إليها.

كما ضمت المكتبة آلاف الوثائق، وقد اكتشفت مصادفة سنة ١٩٨٧ تحت السقف القرميدي للمكتبة أثناء عمليات الترميم، بعضها وثائق عثمانية، ويذكر عارف العارف أنها ضمت ١٢ ألف كتاب سنة ١٩٤٥، وذلك حسب ما جاء في نشرة دائرة الآثار بحكومة فلسطين الانتدابية، من بينها ٤٠٠٠ مخطوط.

مصائب تعرضت لها المكتبة :

في سنة ١٩٦٧ احتل الصهاينة مدينة القدس، فتعرضت المكتبة كغيرها للعدوان، فقد حاول الصهاينة الاستيلاء عليها عدة مرات.

وفي سنة ١٩٧٣ لم يبق منها إلا ٦٠٠٠ كتاب من بينها ١٥٠٠ مخطوط فقط.

في سنة ١٩٨٢ قاد غورين كبير حاخامي الجيش الصهيوني سابقاً حملة ضاربة للاستيلاء على المكتبة، واحتل الطابق الأعلى منها، وأتى بعدد من تلاميذ مدرسة ياشيف التلمودية التابعة لحركة يهودية مغالية، وذلك تحت شعار إعادة بناء الهيكل في ساحة الحرم القدسي، فتصدت له عائلة الخالدي، وجمعت هِبات من العرب والمسلمين والفلسطينيين، وتحركت على محورين، اللجوء إلى المحاكم المحلية لمنع ضرر وأذى الحاخام، وترميم المكتبة وما فيها من كنوز، وبعد فشل الحاخام من استيلائه على المكتبة بدأت مضايقات أخرى، مثل ما فعلته بلدية القدس للاستيلاء عليها، وما فعله الجيش الصهيوني والمستوطنون المسلحون، لكن

المرحومة هيفاء الخالدي تصدت لهم وصبرت على ذلك، وأخيراً أعطيت إذناً بترميمها، وكان ذلك في سنة ١٩٨٧، وبقي المبنى في حوزة آل الخالدي، لكن المكتبة التي انتصرت على الصهاينة، هزمتها عوامل أخرى أدت إلى إغلاقها، وصار حالها كحال سبيل الماء الخرب في مدخلها، ولا يعرف إلى اليوم سبب إغلاقها.

أخبار عن المكتبة :

في سنة ١٩٧٧ أصدر د. رشيد الخالدي دراسة عن طريق جامعة كولومبيا في نيويورك، كشف فيها عن محتويات المكتبة الوثائقية وباللغة الإنكليزية.

في سنة ١٩٨٥ بدئ بوضع فهرس جديد لها وستنشره مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن، وهو من صنع د. نظمي الجمعة.

في سنة ١٩٩٥ بدأت أعمال ترميم المخطوطات، كما بدأت أعمال ترميم مبنى كبير من أوقاف العائلة المقابلة للمكتبة، ليصبح ملحقاً توضع فيه الكتب المطبوعة ولتبقى المخطوطات محفوظة في المبنى القديم، كما تلقت المكتبة معونات من اليونسكو والصندوق العربي للإنماء، ومن هولندا.

ولكن لماذا توقف كل هذا العمل وأغلقت المكتبة أبوابها لا أحد يعلم..؟

من نفائس مخطوطات المكتبة :

ـ الكشاف للزمخشري ـ تفسير للقرآن ـ نسخة نفيسة جداً كتبت سنة ٦٨٥هـ، وهي بقلم عبد الحميد القاهر بن علي الحموي.

ـ شرح المنظومة الشاطبية في علم القراءات لعلم الدين السخاوي، كتبها أحمد الجزري بمدينة أرزنجان سنة ٦٧٦هـ، ويوجد نصف المخطوط فقط.

ـ سنن النسائي في الحديث، يوجد الجزء الثالث فقط، كتبه ابن قاسم بقرطبة سنة ٣٨٣هـ.

ـ النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، الجزء الأول منه بخط ابن أخي المؤلف سنة ٦٩٢هـ.

ـ المدهش لابن الجوزي، ونموذج العلوم لمحمد بن حمزة القاري، ومختصر حياة الحيوان للسيوطي، وقهوة الإنشاء لابن حجة الحموي، ومثير الغرام بفضائل القدس والشام للمقدسي، وتفسير أبي الليث السمرقندي، وغيرها من آلاف المخطوطات النادرة[٥].

٢ ـ مكتبة آل البديري :

وتعرف بالمكتبة البديرية وبمكتبة محمد بن حبيش، المتوفى سنة ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م، وآل البديري أسرة عريقة من أعرق أسر القدس، وعند هذه العائلة مكتبة نفيسة، فيها مخطوطات كثيرة، قسمها الأكبر في عهدة أحد أبناء هذه العائلة وهو الشيخ محمد أفندي البديري، أما القسم الآخر فهو في حوزة غيره من أفراد العائلة، وقد سكنت عائلة البديري القدس منذ القرن الثامن الهجري، والذي اقتسم تشتت شمله وضاع قسم كبير منه، أما ما باقي عند محمد البديري فجعله في جناح من أجنحة المسجد الأقصى، ويقول عارف العارف في المفصل أن كتبها بعثرت، هذا الكلام حوالي سنة ١٩٦١م، أما خضر سلامة مدير مكتبة المسجد الأقصى فقد اهتم بما بقي من مكتبة آل البديري فأعد لها فهرساً خاصاً طبع سنة ١٩٨٧، وتحتوي على ٦٣٦ مخطوط، يوجد على بعضها تعليقات للشيخ محمد بن جيش تعود إلى سنة ١١٧٥هـ/ ١٧٦١م.

ويقول سلامة.. يبدو أن جزءاً كبيراً من مخطوطاته قد جمع أثناء حياته عن طريق الشراء أو الإهداء والوقف، وعن طريق هذه العلامات المميزة للمخطوطات يمكن دراسة اتجاه الكتب وحركتها في تلك الفترة، حيث تضم المكتبة أربعة مخطوطات من مكتبة حسن الحسيني الخلوتي، وستة مخطوطات من مكتبة محمد الخليلي، وثماني مخطوطات تعود لعبد الحي جار الله، وتسعة مخطوطات اشتراها ابن الشيخ عبد الله، وخمسة اشتراها ابنه محمد، وفيها خمس مخطوطات

نسخها محمد سعيد من عبد الله الأنصاري، ووجود مخطوطات تعود لعائلتي الحسيني والخالدي يدل على وجود تبادل ثقافي بينهم.

وبعد وفاة صاحب المكتبة ابن حبيش توقفت مكتبته عن التطور، فقد صار أصحابها يتباهون فيها، ولم يبق لهم دور إلا حراستها، ووضعها في أماكن العتمة، ومُنع المهتمون من الاقتراب منها. والمكتبة كما يقول طباع بجانب باب الناظر، وأنشئت في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، ومؤسسها محمد بن بدير الشهير بابن حبيش، توفي سنة ١٢٢١هـ/ ١٨٠٥م، وقال لقد بلغت مخطوطاتها حوالي ٧٠٠ مخطوط.

والفهرس الذي وضعه خضر سلامة لها بلغ ٦٧٧ صفحة في جزأين، ذكر في المقدمة ترجمة مؤسس المكتبة وعائلته، ثم ذكر العلوم التي تضمنها المكتبة، كما ألحق بفهارس المخطوطات خمسة فهارس تشمل عناوين المخطوطات وأسماء المؤلفين والنساخ والأعلام الواردة أسماؤهم على المخطوطات...

وتضم المكتبة المتبقية ١٨ مخطوطاً في علوم القرآن، ١٤ في التفسير، ٥٦ في الحديث وعلومه، ٥٧ في أصول الدين، ٩٣ الأخلاق والآداب الشرعية، ٦٩ أصول الدين، ٥٦ فقه، ٢٨ مدائح نبوية، ٥٨ لغة عربية، ٩٥ أدب عربي،١٠ تاريخ، ٢٢ منطق، ٢٥ ميقات، ٩ حساب، ٤ طب، ٢٠ مواضيع متفرقة.

ومن نوادرها مخطوط للرسالة القشيرية نسخ في سنة ٥٦٢هـ/ ١١٦٧م، الأسانيد المباركة لابن حجر العسقلاني وهي من مؤلفات ابن حجر وتاريخها ١٤٤٩م[٦].

٣ ـ مكتبة آل الموقت :

أسسها الشيخ أحمد بن محمد بن يحيى الشهير بالموقت، أصله مغربي من مراكش، ولد بالقدس وفيها تعلّم، تضلع في علم الميقات، وعلّمه مع غيره من العلوم العقلية بالقدس عندما درس بالمسجد الأقصى، تولى إفتاء الحنفية بالقدس مرتين، عهدت إليه المدرسة الأفضلية، وجمع بين إمامة مسجد الصخرة وإمامة

المالكية، وكان تاجراً فوفر مالاً كثيراً، توفي سنة ١١٨١هـ/ ١٧٥٧م، وفي رواية المفصل أن وفاته كانت بعد سنة ١١٨١هـ/ ١٧٦٧م.

ذكر عارف العارف في المفصل أن له وقفية مؤرخة سنة ١١٨١هـ/ ١٧٦٧م، قدرت أثمان الكتب التي تركها بتسع وخمسين ألف زلطة.

لكن مكتبته تبعثرت وأصابتها يد الإهمال والسرقة، أدرك بعضها العائلة الخالدية فنقلت إلى مكتبتهم العامة، كما نقل بعضها طاهر الجزائري إلى دار الكتب الوطنية الظاهرية بدمشق[٧].

٤ ـ مكتبة آل قطينة (الحنبلية)

آل قطينة أسرة حنبلية معروفة، يقول أحمد سامح الخالدي.. أنهم الحنابلة الوحيدون في القدس، وأن نسبهم يرجع إلى مجير الدين العليمي الحنبلي، صاحب كتاب الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، عرفوا بمكتبتهم بباب العامود، كان فيها مخطوطات نفيسة في الرياضيات والفلك والتنجيم، ويذكر عارف العارف أن مكتبتهم تحتوي أيضاً مخطوطات تاريخية، وأصحابها آل قطينة من العائلات القديمة، ذكروا في مستندات القرن التاسع للهجرة، كانت مكتبتهم تضم ٤٠٠٠ مجلد من بينها٨٠٠ مخطوط، لكنها بعثرت، ولم يبقى منها شيء، وعرفت بالمكتبة الحنبلية[٨].

٥ ـ مكتبة عائلة جار الله

يقول كامل العسلي في كتابه (معاهد العلم في بيت المقدس).. مكتبة الشيخ جار الله، كانت تضم حوالي ألف كتاب ومخطوطة في العلوم الإسلامية، وعلوم العربية والأدب العربي، ومن بينها مخطوطة قرآن نادرة مجلدة بجلد غزال، وكانت المكتبة محفوظة في خزائن بالقدس، وسرقت سنة ١٩٤٨، وتعد من أشهر المكتبات الخاصة في القدس زمن الانتداب البريطاني[٩].

ثالثاً ـ مكتبات عامة

١ ـ مكتبة المتحف الإسلامي :

أسسه المجلس الإسلامي سنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م، في مكان لائق من الأبنية التابعة للمسجد الأقصى، ويحتوي على مجموعة قيمة من الخزف القاشاني النفيس، ومجموعة من النقوش العربية بالقلم الكوفي، منها ما يرجع إلى أوائل القرن الرابع الهجري.

ويضم المتحف الإسلامي مجموعة من المصاحف الشريفة، يرجع بعضها إلى أواخر القرن الأول للهجرة مكتوب على رق بالقلم الكوفي، كما يضم مجموعة من النقود الإسلامية بعضها يعود إلى سنة ١٢٥١هـ، وعدد وافر من الدراهم الفضية والنحاسية والأوزان الزجاجية، يعود بعضها إلى سنة ١٥٢هـ.

ويذكر العارف أنه كان فيه سنة ١٩٤٥م حوالي سبعة عشرة ألف كتاب باللغات العربية والإنكليزية والألمانية والفرنسية.

وقد نشر د. شاكر مصطفى دراسة بعنوان (كنز الحرم القدسي) مفادها أن موظفة تدعى آمال أبو الحاج تعمل في المتحف الإسلامي بالحرم الشريف رأت صندوقاً قديماً افترسه الصدأ، مكتوب عليه (قطع من الورق الدشت) لا قيمة لها، وفتحت الموظفة الصندوق، ثم استعانت بصديقتها الأمريكية ليندا تورثروب التي تدرس تاريخ المماليك، لتساعدها في فك رموز الخطوط، وحاولت الموظفة أن تستثير اهتمام سلطات الأوقاف لهذه الأوراق، وبينت لهم أنها ثروة أثرية وتاريخية، لكن أحداً لم يلتفت لما تهذي به، فنشرت السيدتان بحثاً عن هذا الكشف الأثري في أواخر سنة ١٩٧٨ في مجلة أجنبية باللغة الإنكليزية. فتلقفت الدوائر العلمية الأجنبية هذا الخبر بالضجة والدهشة، فتحركت جامعة (ماك جيل) في كندا بسرعة، وتكفلت كلية الدراسات العليا فيها بإرسال بعثة من ثلاثة علماء إلى القدس لتصور تلك الوثائق أولاً بأول، واستطاعت البعثة أن تأخذ معونة من شركة تصوير ومن مؤسسة تمويل علمي ومن مؤسسات أخرى لتنجز أعمالها في أسابيع محدودة، وكان وراء هذه العملية المستشرق (دونالد ليتل) وبعد تصوير الوثائق بدأت الدراسات تجري عليها وفي عدة جامعات.

ومما كان في هذا الكنز الثمين.. ٣٥٤ وثيقة كلها أصلي ومعظمها في حالة جيدة، عرضت الباحثتان خمسين وثيقة منها، وتبين في أول مقال نشره دونالد ليتل عن الوثائق أنها ٨٨٣ وثيقة كاملة لم يمسسها أي سوء أو تدمير، كما عثر على ٢٠٠ وثيقة متباينة الحجوم، فهي من ناحية العدد تعد ثاني مجموعة وثائقية إسلامية في الدنيا، بعد مجموعات البردي المصرية تصلنا من العهود السابقة للعثمانيين، فقد كان يعرف عن العصر المملوكي حوالي ٥٠٠ وثيقة فقط، نشر منها ١٥٠ وثيقة، وبهذا الكنز صارت ثلاثة أضعاف مرة واحدة، وتخص هذه الوثائق المرحلة التاريخية التي ما بين أوائل القرن السابع الهجري حتى ما بعد أواسط القرن التاسع، ويعود أقدمها إلى سنة ٦٠٤هـ/ ١٢٠٧، وأحدثها يعود إلى سنة ٨٦٦هـ/ ١٤٦١م، وكلها تخص المجتمع الإسلامي والنظم الإسلامية، والعلاقات الإسلامية والاجتماعية والاقتصادية، وفيها مراسيم سلطانية وأحكام قضائية وشهادات ومحاضر وبراءات الذمة، وعقود زواج وشكاوى ووقف وغير ذلك.

من بين تلك الوثائق ١٨ مرسوماً سلطانياً من الظاهر بيبرس إلى السلطان جقمق، و٣٧٨ محضراً قضائياً، و٩٤ إقراراً وإشهاداً، و٤٧ شكوى، و٢٨ دفتراً للحسابات، وغير ذلك[١٠]..

٢ ـ مكتبة مصلحة المعارف، أسست سنة ١٩٢١، كان فيها سنة ١٩٤٨ حوالي (٢٥٠٠) كتاب باللغة العربية والإنكليزية.

٣ ـ مكتبة محكمة العدل العليا، تأسست سنة ١٩٢٥م، كان فيها سنة ١٩٤٨ حوالي (٣٠٠٠) كتاب، باللغة العربية والإنكليزية والفرنسية والعبرية[١١].

٤ ـ مكتبة مصلحة الإذاعة الفلسطينية، تأسست سنة ١٩٣٦، ضمّت لغاية سنة ١٩٤٨، حوالي (١٨٠٠) كتاب، باللغة العربية والإنكليزية والعبرية[١٢].

٥ ـ مكتبة مصلحة الإحصاءات، تأسست سنة ١٩٣٦، ضمّت لغاية سنة ١٩٤٨ حوالي (٨٢٠٠) كتاب باللغة الإنكليزية[١٣].

* مكتبات حديثة :

بالرغم من كل الممارسات الصهيونية ضد المكتبات في القدس، فإنه قد تم إنشاء العديد منها في مرحلة الثمانينات وما بعدها.. في المدينة أو ضواحيها، ومن أشهر هذه المكتبات:

ـ مكتبة جمعية الدراسات العربية ـ ١٩٨٠.

ـ مكتبة قسم إحياء التراث الإسلامي ـ ١٩٨٣.

ـ مكتبة جامعة القدس ـ ١٩٨٤.

ـ مكتبة مركز مصادر الطفولة المبكرة ـ ١٩٨٥.

ـ مكتبة المركز الفلسطيني لدراسات اللاعنف ـ ١٩٨٥.

ـ مكتبة مركز الأبحاث الإسلامية ـ ١٩٨٦.

ـ مكتبة مركز القدس للأبحاث ـ ١٩٨٦.

ـ مكتبة الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية ـ ١٩٨٧.

ـ مكتبة مركز الدراسات النسوية ـ ١٩٨٩.

ـ مكتبة مركز العمل التنموي (معاً) ـ ١٩٨٩.

ـ مكتبة المركز الفلسطيني لتعميم المعلومات البديلة ـ بانوراما ـ ١٩٩٢.

ـ مكتبة مركز الأرشيف الفلسطيني ـ ١٩٩٩[١٤].

رابعاً ـ مكتبات خاصة في القدس :

لم يخل بيت عالم أو فقيه أو أديب أو قاض من مكتبة، وسأذكر بعض المكتبات الخاصة للتنويه فقط، وإلا فهذا العمل يحتاج إلى موسوعة خاصة في عالم المكتبات، ومن هذه المكتبات الخاصة:

١ ـ مكتبة الشيخ محمود اللحام، وتقع في ضاحية سلوان، وهي خزانة غنية، يزيد عدد كتبها على أربعة آلاف مجلد[١٥].

٢ ـ مكتبة الشيخ إمَّت خليفة بن إبراهيم، عرف من علماء القرن العاشر الهجري، وقف مكتبته على نفسه ثم على أولاده، فإذا انقرضوا آلت الكتب إلى مكتبة المدرسة الأرغوانية بالقدس.

٣ ـ مكتبة ابن النقرزان، عرفت في القرن العاشر الهجري.

٤ ـ مكتبة ابن الدويك، عرف عن قاضي القدس الشيخ محب الدين محمد بن الدويك أنه كان لديه مكتبة كبيرة.

٥ ـ مكتبة ابن قاضي الصلت، عرف الشيخ يحيى شرف الدين بن محمد الشهير بابن قاضي الصلت بمكتبته التي كانت غنية بكتب الفقه والحديث والتفسير واللغة والنحو، كان إماماً بالمسجد القصة، توفي سنة ١٦٣٠م.

٦ ـ مكتبة صنع الله الخالدي، كان عنده مكتبة كبيرة، توفي سنة ١٧٢٧م، أوقفها على أولاده الذكور وأحفاده!.

٧ ـ مكتبة عبد الغني الخليلي، كان فقيه الشافعية في القدس، ومدرسها في المسجد الأقصى، توفي سنة ١٧٤١م، كان عنده مكتبة خاصة مشهورة.

٨ ـ مكتبة الشيخ خليل، وتعرف بالمكتبة الخليلية، أسسها محمد بن محمد الخليلي مفتي الشافعية في القدس، توفي سنة ١١٤٧هـ، وصفها العلامة المؤرخ حسن بن عبد اللطيف الحسيني بقوله... وجمع مولانا خزانة علم فريدة من الكتب الصحيحة المجيدة، أوقفها وسبلها، وهي الآن نفع لكل طالب وصدقة جارية كافية للراغب، وقال عنها مؤرخ القدس عبد الله مخلص.. أما مكتبة آل الخليل ففيها الكتب الخطية النادرة..

وأكد خضر إبراهيم سلامة أنها كانت تحتوي على سبعة آلاف كتاب، وذلك حسب ما ورد في وقفيته، منها حوالي ٤٥٠ مخطوط، وبعد وفاته انتقلت إلى العائلة، وبعد حرب سنة ١٩٦٧ وجدت أبوابها محطمة، وبجرد محتوياتها تبين أن

جيش الاحتلال نهب الكثير من مخطوطاتها، وقال.. ويبلغ عدد ما بقي من مخطوطاتها ٣٦٠ مخطوطاً عربياً.

وذكر (اسطفان) أن محمد الخليلي هو أول من حقق فكرة إيجاد دار عامة في القدس، كما نصت على ذلك وقفية المكتبة، وقد حفظت كتبه في تربته بالمدرسة البلدية بخط باب السلسلة، المدرسة التي أوقفها الأمير منكلي بغا الأحمدي نائب حلب سنة ٧٨٢هـ، وفيها قبره، ويؤكد أسطفان أيضاً.. أن أكثر هذه المخطوطات قد ذهبت، ولا يدري هل لها فهرس أم لا!.

وفي كتاب أهل العلم بين مصر وفلسطين يذكر أحمد سامح الخالدي.. المدرسة البلدية في القدس، ويؤكد أن مفتي الشافعية الشيخ محمد الخليلي مدفون فيها، وهو صاحب الفتاوى الخليلية الشهيرة، وقد توفي سنة ١١٤٩هـ/ ١٧٣٦م، وقال.. وقد ترك خزانة كتب، لكنها بيعت للوقف، طبعاً هذا قبل سنة ١٩٦٧[١٦].

٩ ـ مكتبة حسن بن عبد الله اللطيف الحسيني:

كان مفتياً للقدس توفي سنة ١٨١١م، كانت مكتبته كبيرة، جمعت الكثير من الكتب المتنوعة في كل فنون العلوم والآداب، حتى أنها ضمّت كتب الطب والبيطرة إلى جانب الكتب الدينية والأدبية[١٧].

١٠ ـ مكتبة زادة:

عرف الشيخ محمد أفندي زادة مفتي القدس في القرن الثالث عشر الهجري بمكتبته الضخمة.

١١ ـ مكتبة برهان الدين بن جماعة (١٣٢٤-١٣٨٨هـ):

كانت أسرة بني جماعة عائلة علمية مشهورة، ومنها الشيخ برهان الدين بن جماعة، استلم الخطابة بالمسجد الأقصى، ودرس بالمدرسة الصلاحية، عرف بمكتبه الواسعة.

١٢ ـ مكتبة طاهر مصطفى الحسيني (١٨٤٢-١٩٠٨م):

ولد في مدينة القدس سنة ١٨٤٢، ودرس على علماء القدس، وكان ابناً وحيداً لمفتي القدس الشيخ مصطفى، ورث أباه في الإفتاء وبقي في منصبه حوالي أربعين سنة، كانت علاقته بالسلطان عبد الحميد قوية، وهو ممن تنبه للخطر عندما بدأ اليهود بشراء الأراضي في فلسطين، فقاوم ذلك كثيراً، وترأس سنة ١٨٩٧ لجنة التحقيق في سياسة بيع الأراضي.

اعتنى كثيراً بالعلوم والثقافة والأدب، وجعل بيته في حي الشيخ جراح مقراً لاجتماع رجال الأدب والسياسة في فلسطين وخارجها، ثم وسع بيته فجعله قصراً فخماً للعائلة وعرف باسم قصر المفتي، ولا ندري ما مصير مكتبته الضخمة، ومكتبة أبيه التي ورثها عنه[١٨].

١٣ ـ مكتبة حسن الترجمان، أسس هذه المكتبة حسن بك الترجمان الصالح، حيث عني بجمع كل ما وقع تحت يده من مخطوط ومطبوع، حتى بلغ عدد ما جمعه (٣٠٠٠) مجلد منها (٩٠٠) مخطوط عربي نفيس[١٩].

١٤ ـ مكتبة حسن صدقي الدجاني (١٨٩٠-١٩٣٨)، ولد في مدينة القدس، وفيها تلقى تعليمه حتى أتم دراسة الحقوق، علَّم في مدارسها، ونشط في الحركة الأدبية والسياسية، أصدر ١٩٢٠ صحيفة القدس الشريف، استمرت خمس سنوات، ندد من خلالها بوعد بلفور وإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وساعد على إنشاء أحزاب سياسية معتدلة، واشترك في عدة مؤتمرات فلسطينية، وقد ترك عدة مؤلفات منها:

ـ حذار ـ رواية ـ ترجمها عن التركية لنامق كمال ـ ١٩٢٢.

ـ تفصيل ظلامة فلسطين ـ ١٩٣٦.

ـ في سبيل الإسلام والعرب ـ ١٩٣٢.

قتل غدراً في سنة ١٩٣٨ ودفن بمدينة القدس، وترك مكتبة عامرة لا يُعلم ما حلَّ بها[٢٠].

١٥ ـ مكتبة خليل جواد الخالدي (١٨٦٦-١٩٤١م):

ولد خليل بن جواد الخالدي بالقدس سنة ١٨٦٦م، وتعلم فيها ثم أتمّ تعليمه بالأزهر، وكان من أساتذته جمال الدين الأفغاني والشربيني، بعد ذلك تخرج من مدرسة القضاء بالآستانة فولي قضاء حلب، ثم رحل إلى المغرب والأندلس وتركيا وبلاد الشام، وكان في رحلته يزور دور الكتب، فيقف على ما في خزائنها من مخطوطات وآثار محفوظة، حتى صار ثقة في هذا الموضوع، ونبغ فيه فكان مرجعاً لمن يسأل عن مخطوط، فعنده علم كل مخطوط يسأل عنه، عن مؤلفه ومواضيعه وثمنه ومزاياه، وعندما عاد إلى تركيا استنسخ كثيراً من نوادر محفوظاتها، وبعد عودته للقدس استلم رئاسة محكمة الاستئناف الشرعية، وأشرف على تنظيم المكتبة الخالدية في باب السلسلة، بعد ذلك اختير عضواً في مجمع اللغة العربية بدمشق، توفي بالقاهرة سنة ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م، بعد ما ترك عدّة مؤلفات.

يذكر الزركلي أن له مذكرة في نحو خمسين جزءاً في ذكر ما وقف عليه من الكتب والمكتبات التي زارها لكنه فقد، منها الاختيارات الخالدية في ٣٠ جزء في الأدب.

ترك مكتبة خاصة به تحتوي من الكتب النفيسة ما يزيد عن خمسة آلاف مجلد، بينها ألف مخطوط، وكان مشهوراً بخطه البديع، ويذكر عارف العارف أن مكتبته كانت حوالي سنة ١٩٤٥ محفوظة في صناديق مقفلة.

ويذكر العلامة محمد بهجة البيطار في مقدمة كتاب منادمة الأطلال ومسامرة الخيال لعبد القادر بدران (وكان لي شرف ضيافة الأستاذ ليلة مع صديقه الرحالة الجليل الأستاذ الشيخ خليل الخالدي المقدسي، فأخذ الأستاذ بدران يسأله عما رأى من نفائس الكتب الإسلامية الخطية في ديار المغرب لاسيما الأندلس، والأستاذ الخالدي يجيبه من حفظه بلا تلعثم ولا تريث كأنما كان يملي من كتاب، وقد كنت معجباً بالسؤال والجواب غاية الإعجاب، وأسفت أسفاً شديداً أني لم أسجل عندي تلك الذخائر والمفاخر الخالدة للعرب والمسلمين)[٢١].

١٦ ـ مكتبة إسعاف النشاشيبي (١٨٨٢-١٩٤٧م) :

ولد إسعاف النشاشيبي سنة ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م، في بيت المقدس في أسرة علم في عصر كان فيه المتعلمون قلة، وكانت غاية العلم في هذا العصر معرفة الفقه واللغة والخط والحساب فقط، وكان إسعاف يرتاد مجالس العلماء والأدباء، وقد كان في بيت أبيه مكتبة، كما شاهد مكتبات الشيوخ الذين حضر دروسهم.

درس في بداية حياته في كتاتيب القدس، وأخذ عن شيوخها وحفظ بعض القرآن الكريم، وبعدما أنهى الدراسة الابتدائية نصح الشيخ راغب الخالدي والده أخذه إلى بيروت ليدرس في مدرسة دار الحكمة، وهكذا كان.. وأمضى فيها أربع سنوات فتأثر بأستاذه عبد الله البستاني اللغوي، كما تعلم الفرنسية، وأحب اللغة العربية وأغرم بها حتى قال عنها.. جمعت الحسن كله في نظام، ونبذت جميع لغات الأنام، فالتجود مخاصرها حيثما سارت، والتنوق معانقها أنى دارت، وإذا تنافرت اللغات يوماً وتساجلت جاءت فتاة الجزيرة سيد عقيلة وجئن إماء.. وهي لغة الكتاب ولغة الإعراب ولغة الإيجاز إذا ابتغيت الإيجاز، ولغة الإطناب إن تُرد الإطناب، فهيهات هيهات أن تماشيها في الفصاحة والبلاغة لغة، أو يجاريها في البيان لسان.

في سنة ١٩٠٧ أعلن الدستور ونشط الأدباء، فأنشأ حنا العيسى مجلة القدس وكتب فيها إسعاف، وجاءت كتابته على طريقة بديع الزمان الهمذاني الذي كان متأثراً به كثيراً، وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى كان إسعاف مدرساً للعربية في المدرسة الصلاحية في القدس، والتي أنشأها جمال باشا وسماها باسم صلاح الدين، ودخل الإنكليز القدس سنة ١٩١٨ فأغلقت الصلاحية، وعيّن إسعاف مديراً للمدرسة الرشيدية، ثم صار مفتشاً للغة العربية في فلسطين حتى سنة ١٩٢٩ عندما ترك إدارة المعارف، وله شعر جميل، كما تفرغ للكتابة والرحلات، فرحل إلى مصر والشام.

ورد عنه أنه قرأ أكثر من ٩٠٠ كتاب ليؤلف كتابه (الإسلام الصحيح)، كما كان يزعجه وضع الوطن العربي الغارق بالجهل، وأحس مبكراً بالخطر المحدق بالقدس وفلسطين، وورد عنه أنه تصادق مع أحمد شوقي فتقاربا لفظاً ومعنى، كما كان خطيباً وطنياً، وأديباً مدققاً وكاتباً بليغاً، ترك الكثير من المؤلفات ومنها:

ـ أمثال أبي تمام، نشرها تباعاً في مجلة النفائس سنة ١٩١٢، وقرأ في سبيلها ٤٠٠ كتاباً أدبياً ولغوياً.

ـ الأمة العربية ـ مخطوط فقد في القاهرة.

ـ حماسة النشاشيبي ـ مخطوط لا يعرف مصيره.

ـ جنة عدن ـ مخطوط لا يعرف مصيره.

ـ الإسلام الصحيح ـ طبع سنة ١٩٣٥ بالقدس.

ـ كلمة في اللغة العربية ـ طبع ١٩٢٥ بالقدس.

ـ نقل الأديب ـ طبع ١٩٥٦ ببيروت.

وكان قد اتجه إلى القاهرة في سنة ١٩٤٧ ليشرف على طبع كتابه الأمة العربية وحماسة النشاشيبي، وجنة عدن، فمات في ٢٢ كانون الأول ١٩٤٧، وفقدت كتبه التي كانت معه.

ـ مكتبته ومصيرها:

عند وفاته كان في بيته بالقدس مكتبة عظيمة، قال عنها أنور الجندي.. ولقد كان قصر النشاشيبي في القدس ملاذاً للأدباء ومجمعاً للأدب، وبه مكتبة من أنفس الكتب وأبرزها.

وقال عنها خليل السكاكيني في مذكراته.. وكان واسع الاطلاع ومكتبته لا تشبهها مكتبة.

وعن مصيرها يوجد قولان:

١ ـ يقول عجاج نويهض في كتابه رجال من فلسطين، بعد وفاته وفي شهر أيار سنة ١٩٤٨ نهب بيته ومكتبته، وبيعت كتبه الثمينة بالأرطال بيع غنائم باردة.

٢ ـ يقول يعقوب العودات الشهير بالبدوي الملثم.. ولكن هذه المكتبة القيمة أطبق عليها من لا أخلاق لهم في نكبة سنة ١٩٤٨ عندما اجتاح بعض المرتزقة أحياء القدس العربية (كانت داره في القدس الشرقية خارج السور) زعماً منهم أنها أحياء يهودية، فنهبوا مكتبته وحملوها إلى مدينة الزرقاء بالأردن، وباعوها على مشهد مني بالرطل لأصحاب الأفران، فذهبت طعمة للنيران[٢٢].

١٧ ـ مكتبة عبد الله مخلص (١٨٧٨-١٩٤٩م):

(الجاحظ أعجوبة البيان ومخلص أعجوبة الزمان) هكذا قال عنه أديب فلسطين وعالمها إسعاف النشاشيبي.

ولد عبد الله مخلص في عينتاب بحلب سنة ١٨٧٨م، ذهب مع أبيه الضابط في الجيش العثماني إلى فلسطين، ونشأ في جنين، ثم انتقل إلى حيفا فتعلم فيها وأجاد العربية والتركية والفارسية، كتب في الصحف السياسية والمجلات الأدبية ومنها المقتبس لصاحبها محمد كرد علي، ومجلة النفائس العصرية ومجلة المجمع العلمي العربي بدمشق والزهراء بالقاهرة، والكشاف في بيروت، صار عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق.

شارك في حيفا في الأعمال الوطنية والقومية وعمل في التجارة، تفرغ للتأليف، وعيّن مديراً لأوقاف القدس، فتوسع في دراسة الآثار الإسلامية والمسيحية، لذلك وضع مؤلفات قيّمة في هذا المجال...

كانت عنده مكتبة نادرة.. فماذا حلَّ بها بعد سنة ١٩٤٨؟ في هذه السنة كان مريضاً في بيته القريب من الحي اليهودي بالقدس، ولما شعر بالخطر يقترب من مكتبته نقلها ابنه صلاح إلى دير القربان بالقدس، لكن الصهاينة قصفوا الدير فانهارت الكنيسة وصارت ركاماً، وبعد فترة نقل المكتبة بما فيها من مخطوطات وكتب مطبوعة إلى الجامعة العبرية.

كان عبد الله مخلص يعتز بمكتبته، وكان يطلق عليها اسم (الخزانة المخلصية)، فقد كانت زاخرة بنفائس الكتب والنوادر، ومحلاة بأعلاق نفيسة من المخطوطات والكتب والمجلات، ويعتبر مخلص مع الخالدي فارسا علم

المخطوطات في فلسطين لا يشق لهما غبار ولا يرجى لهما عثار، وكان في مكتبته ٣٠٠ مجلد نادر بينها ١١٠ مخطوطات نفيسة، وبعد أن قصف اليهود الدير حاول عارف العارف إقناع الجنرال رايلي كبير المراقبين الدوليين كي يسمح لأصحابها برفع الكتب من تحت الأنقاض، لكنه لم يفلح، ورفض بحجة أن اليهود لا يسمحون لعربي أن يدنو من ذلك المكان.

هذه المكتبة العزيزة على قلب صاحبها، نشر صاحبها مقالة عنها سنة ١٩٢٤، وصف فيها بعض المخطوطات التي لديه، وذكرها طرازي وتحدث عنها وعن مصيرها عجاج نويهض في كتابه أعلام الفكر والأدب في فلسطين، وأكد كامل العسلي أن كثيراً من مؤلفاته المخطوطة ذهبت مع المكتبة، وذكرت الآنسة مقبولة ابنة عبد الله مخلص في رسالة منها إلى كامل العسلي (إن آل الفقيد كانوا يسعون في فترة الهدنة الأولى سنة ١٩٤٨ إلى نقل المكتبة بمساعدة الصليب الأحمر إلى جمعية الشبان المسيحيين التي وافقت على نقلها إليها، ولكن الاتصالات انقطعت بعد انتهاء الهدنة) وقالت أيضاً.. أن ضابطاً أردنياً أخبرها أن اليهود قد نقلوا صناديق خشبية في سيارات نقل قبل نسف الدير، وإذا صحّت هذه الرواية فإن مكتبة عبد الله مخلص تكون قد نقلت في الغالب إلى مكتبة الجامعة العبرية في القدس، كما فعلت في كثير من مكتبات القدس في فلسطين(٢٣).

١٨ـ مكتبة خليل بيدس (١٨٧٥-١٩٤٩م):

ولد خليل إبراهيم بيدس في مدينة الناصرة سنة ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م، درس فيها الابتدائية، ثم انتسب للمدرسة الداخلية الروسية، وتخرج منها سنة ١٨٩٢، فتولى إدارة المدارس الروسية الابتدائية في أنحاء من سورية وفلسطين، فأقام في حمص حوالي سنتين، ثم انتقل إلى لبنان، وفي سنة ١٩٠٨ رحل إلى حيفا وأصدر مجلة النفائس العصرية، وهي أول مجلة عربية علمية، في سنة ١٩٢٠ قاد المظاهرات العربية في القدس، فحكمت السلطات البريطانية عليه بالإعدام، ثم خفض إلى السجن ١٥ عاماً، وكتب في سجنه كتابه (حديث السجون) وصف فيه سجن المستعمر والأساليب الوحشية التي يتعامل بها ذوو العقول النيرة من رجالات فلسطين (لكن الكتاب فقد مع مكتبته)، وعندما جاء هربرت صموئيل إلى فلسطين

كأول مندوب سام عفا عنه، وتابع إصدار مجلته، وتعليم اللغة العربية وآدابها في مدرسة المطران بالقدس إلى أن تقاعد سنة ١٩٤٥.

في ١٥ أيار سنة ١٩٤٨ هرب من بيته مخلفاً مكتبته العظيمة خشية قتله من قبل اليهود، إلى أن وصل إلى عمان حيث توفي فيها في ٩ شباط سنة ١٩٤٩.

ترك أكثر من عشرة كتب مترجمة عن الروسية، وله عشرات المؤلفات، أهمها تاريخ القدس الذي طبعه سنة ١٩٢٢ بالقدس، ومعجم عربي كبير تركه مخطوطاً.

ـ مصير مكتبته:

سرق اليهود كل مكتبته بما فيها مخطوطاته التي كتبها ولم يطبعها، وأهمها المعجم العربي الكبير، وحديث السجون، ومجموعة مجلة النفائس العصرية.

عُدَّ خليل بيدس رائد القصة العربية الحديثة في فلسطين.

يقول عنه يعقوب العودات الشهير بالبدوي الملثم.. وفي بيت المقدس أسس خليل بيدس مكتبة فريدة حوت مخطوطات قديمة العهد وكتباً ثمينة، لكنه أرغم على تركها في منزله بالقدس لتأخذها العصابات الصهيونية غنيمة باردة عندما اغتصبت فلسطين العربية في أيار ١٩٤٨[٢٤].

١٩ ـ مكتبة راغب الخالدي:

لراغب نعمان الخالدي المتوفى سنة ١٣٧١هـ/١٩٥١م، مكتبة خاصة، غير المكتبة العائلية التي جمع فيها تراث العائلة العريق، يقول عنه وليد أحمد سامح الخالدي... أما مكتبة راغب في منزله بضاحية يافا حيث يقيم بعد تقاعده، فقد استولى عليها الصهاينة عندما احتلت المنزل في أيار ١٩٤٨، وضاعت معظم الكتب التي كان يملكها سائر أفراد الأسرة المقيمون بالقدس، وذلك عندما احتل الصهاينة في نيسان وأيار ١٩٤٨ منازلهم في أحياء القدس الغربية حيث كانوا يقطنون، وهو ما حدث أيضاً خلال سنة ١٩٤٨ لكتب الآلاف من العرب بالقدس وخارجها من أهل فلسطين.

٢٠ ـ مكتبة أحمد سامح الخالدي (١٨٩٥-١٩٥١)

ولد أحمد سامح ابن الشيخ راغب الخالدي في يافا ١٣٠٣هـ/ ١٨٩٥م، تعلم بمدرسة المطران بالقدس، وأتمّ تعليمه العالي في لبنان، فحصل على شهادة الصيدلة من الجامعة الأمريكية في بيروت سنة ١٩١٧، خدم في الجيش العثماني، وبعد إتمام تعليمه العالي عيّن مفتشاً للمعارف في يافا وغزة، وفي سنة ١٩٢٥ صار مديراً للكلية العربية بالقدس، وبعدها عيّن مساعداً لمدير المعارف بفلسطين.

كرس حياته لمساعدة شعبه المشرّد في تعليم أبنائه ورفعهم من الذل الذي أصابهم بابتعادهم عن بلادهم، لذلك نشط اجتماعياً فحقق مشروع اليتيم العربي، وأسس معهداً لرعاية الأيتام وتعليمهم في قرية دير عمرو قرب القدس، وكانوا يتعلمون فيه حرفة الزراعة، لكن الصهاينة هدموا المدرسة سنة ١٩٤٨ كما هدموا قرية دير عمرو التي تقع للغرب من القدس، وترك أكثر من عشرين كتاباً من تأليفه، أهمها:

ـ أهل العلم والحكم في ريف فلسطين، طبع في الأردن.

ـ رحلات في ديار الشام، طبع يافا ١٩٤٦.

ـ أهل العلم بين مصر وفلسطين، طبع القدس ١٩٤٨.

ـ المعاهد المصرية في القدس، طبع ١٩٤٦.

ـ تاريخ المعاهد الإسلامية، مخطوط.

ـ تاريخ بيت المقدس، مخطوط.

عرف بمكتبته النادرة والنفيسة، وكان فيها أكثر من مئة مخطوط، أما المطبوع فكثير، ومن نوادر المخطوطات لديه، نسخة من كتاب الأنس الجليل نسخت في سنة ٩١٠هـ، ونسخة من كتاب الخميس للديار بكرلي، توفي سنة ١٩٥١ في لبنان(٢٦).

ـ مكتبة *خليل السكاكيني (١٨٧٨ - ١٩٥٣)*

ولد خليل قسطندي السكاكيني في القدس سنة ١٨٧٨، وفيها تعلم ونبغ، تخرج من الكلية الإنكليزية سنة ١٨٩٣، وتتلمذ على يد نخلة زريق، ثم درَّس في القدس وانتسب إلى جمعية زهرة الآداب التي تأسست سنة ١٨٩٨ برئاسة داود الصيداوي.

في سنة ١٩٠٧ سافر إلى نيويورك لمتابعة دراسته ، وبعد سنة عاد ليعمل في تنقيح مجلة الأصمعي وصحيفة القدس، كما درس اللغة العربية للأجانب، وأسس في سنة ١٩٠٩ المدرسة الدستورية بالقدس بالاشتراك مع غيره، وعيّن عضواً في إدارة المعارف بلواء القدس سنة ١٩١٤.

أُبعد إلى دمشق وسجن ثم أطلق سراحه في كانون الثاني ١٩١٨ فانضم إلى الثورة العربية الكبرى، ثم رحل إلى مصر وبقي فيها حتى سنة ١٩١٩ ثم عاد إلى القدس ليتولى إدارة المعلمين، لكنه قدم استقالته عند مجيء هربرت صموئيل، ثم سافر إلى مصر ١٩٢٠ وعاد في سنة ١٩٢٢ ليعمل بالصحافة، وفي سنة ١٩٢٦ عيّن مفتشاً عاماً للغة العربية، وأنشأ بالمشاركة كلية النهضة الثانوية بالقدس، وبقي مديرها حتى وقوع النكبة ١٩٤٨.

بعد النكبة سافر إلى مصر حيث توفي فيها ابنه سنة ١٩٥٣، وكان قد فقد زوجته قبل ذلك فاسودّت الدنيا في عينيه، وقد رثاها بقصيدة مطلعها:

قفا نبكي من ذكرى أذابت حشاشتي		ولا تبخلا بالدمع فالدمع حاجتي

ترك خليل السكاكيني مكتبة عظيمة وتراثاً حافلاً معظمه ما زال مخطوطاً، لكن اليهود سرقوه مع ما سرقوه من مكتبات الأدباء والعلماء المقدسيين وغيرهم بعد النكبة في سنة ١٩٤٨، وأشار إلى مكتبته الكبيرة العلامة عجاج نويهض، وترك مؤلفات كثيرة[٢٧].

٢٢ ـ مكتبة عادل جبر (١٨٨٥-١٩٥٣):

ولد عادل جبر ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٥م في مدينة يافا وفيها تعلم، ثم درس في استانبول وجنيف، عرض عليه سلطان مراكش العمل معه وأغراه بالمال والقصر والزوجة، لكنه رفض كل ذلك، واعتذر منه وعاد إلى فلسطين فأنشأ جريدة الترقي سنة ١٩١٤، ثم عمل مدرساً بالقدس بالكلية الصلاحية التي أنشأها جمال باشا ١٩١٥، في سنة ١٩٢٣ عينه المجلس الإسلامي الأعلى مديراً للمتحف الإسلامي ودار الكتب في المسجد الأقصى بالقدس، وعمل أستاذاً بمعهد الحقوق الفلسطيني بالقدس، في سنة ١٩٢٩ أنشأ جريدة الحياة، وبعد نكبة ١٩٤٨ سافر إلى مصر، وفي سنة ١٩٥١ عاد إلى الأردن وصار عضواً في مجلس الأعيان فيها، ولكنه توفي في مدينة أريحا في ١٩٥٣/١٢/١٨.

ترك مؤلفاً مهماً بعنوان (روح القومية) ترجمه عن الفرنسية سنة ١٩٢١، كما ترك بالقدس سنة النكبة مكتبته الخاصة الكبيرة، وكانت مهمة، وقد أشار إليها عجاج نويهض في رسالة إلى ياسر عرفات لينقذها من أيدي اليهود، لأن فلسطين والعرب بحاجة إليها، ولكن هل تخرج مكتبة من أيدي اليهود بعدما وضعوها في مكتبة الجامعة العبرية أو ما شابهها..؟ وقد ذكّر نويهض في رسالته هذه عرفات بمكتبه خليل بيدس وخليل السكاكيني أيضاً[٢٨].

٢٣ ـ مكتبة عارف العارف (١٨٩٢-١٩٧٣):

ولد عارف محمد العارف في مدينة القدس وأتم دراسته فيها، أما الدراسة الثانوية فقد أتمها في استانبول، ونال منها شهادة في الإدارة والسياسة والاقتصاد سنة ١٩١٣، وعمل في استانبول في الصحافة، ثم عيّن مترجماً في وزارة الخارجية العثمانية، التحق سنة ١٩١٤ بالكلية العسكرية فتخرج ضابطاً فأرسل إلى جبهات القفقاس لمحاربة الجيش الروسي، وبعد إبادة الفرقة التركية أسر مع من بقي وأرسل إلى سيبيريا سنة ١٩١٥، وبعد ثلاث سنوات تمكن من الهرب بعد أن تعلم اللغة الألمانية من الأسرى الألمان والنمساويين، ترجم خلال أسره كتاباً ألمانياً، كما أصدر جريدة هزلية خطية بعنوان (ناقة الله).

وبعد وصوله للقدس وجد الاستعمار الإنكليزي يوطد اليهود في فلسطين، فأصدر جريدة (سورية الجنوبية سنة ١٩١٩ مع حسن البديري، ودعت الجريدة إلى مقاومة الاحتلال الإنكليزي والقضاء على الحركة الصهيونية، لذلك تعرض للاعتقال عدّة مرات، وبعد سجنه ١٩٢٠ إثر قيام الثورة هرب إلى الأردن، ثم توجه إلى دمشق وبعد سقوطها بيد الفرنسيين عاد إلى الأردن، وبعد العفو عنه دخل القدس.

عمل بعد ذلك قائمقام مدة ٢٧ سنة متنقلاً بين جنين ونابلس وبيسان ويافا وبئر السبع وغزة، وفي سنة ١٩٦٧ عيّن مديراً لمتحف الآثار الفلسطينية بالقدس، توفي سنة ١٩٧٣م.

كان يجيد عارف العارف سبع لغات: العربية والتركية والفرنسية والإنكليزية والعبرية والروسية والألمانية، ترك مؤلفات كثيرة وكلها مهمة في تاريخ القدس وفلسطين، ومنها:

ـ تاريخ بئر السبع وقبائلها، ترجم إلى الألمانية والعبرية، طبع ١٩٣٤.

ـ الموجز في تاريخ عسقلان، ١٩٤٣.

ـ تاريخ الحرم القدسي، ترجم إلى الإنكليزية والفرنسية والألمانية، ١٩٤٧.

ـ المسيحية في القدس، ١٩٥١.

ـ الموجز في تاريخ القدس، ١٩٥١.

ـ تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك، ١٩٥٥.

ـ النكبة، ستة مجلدات، ١٩٥٦-١٩٦٢.

ـ المفصل في تاريخ القدس، ١٩٦١، وأعيد طبعه في الأردن.

ـ الفلسطينيون في سجون إسرائيل، ١٩٧٣.

إن عارف العارف يعد بحق شيخ مؤرخي فلسطين، بسبب إنتاجه الغزير وكتاباته لموضوعات لم يسبقه أحد إليها، وهو خير من كتب عن القدس، فموسوعة المفصل في تاريخ القدس لم يأت أحد بمثلها لا قبله ولا بعده، أما مكتبته الخاصة والكبيرة فلم نعلم ماذا حلَّ بها، وكل علمنا بها أنها كانت ضخمة، وبعدة لغات[٢٩].

٢٤ ـ مكتبة عجاج نويهض (١٨٩١-١٩٨٢):

ولد عجاج في بلدة رأس المتن بلبنان سنة ١٣١٤هـ/١٨٩١م، تعلم في مدرسة رأس المتن التي أسسها المرسل دانيال أوليفر، ثم بمدرسة الفرندز الإنكليزية في برمانا، ونال الثانوية سنة ١٩١٦ من مدرسة سوق الغرب، ثم انتقل إلى دمشق وأصدر مع عبد الله النجار مجلة القلم، وبعد انهيار حكم الملك فيصل في سوريا توجه إلى القدس وصار سكرتيراً للمجلس الإسلامي الأعلى، ثم مساعد لمفتش المحاكم الشرعية في فلسطين، وفي سنة ١٩٣٢ أسس مجلة العرب الأسبوعية، التي التزم فيها مقاومة الإنكليز والصهيونية، كما دعا إلى الوحدة العربية، توقفت المجلة سنة ١٩٣٤، ودرس الحقوق ثم أسس مكتباً للمحاماة في القدس سنة ١٩٣٦، وكان كغيره من الوطنيين يشارك في الإضراب الكبير، فسجن ستة أشهر، ثم تولى مراقبة القسم العربي في الإذاعة الفلسطينية لمدة أربع سنوات، ثم انتقل بعد النكبة إلى الأردن مخلفاً وراءه مكتبة حافلة بنفائس الكتب.

في الأردن قربه الملك عبد الله وأسند إليه منصب مساعد رئيس الديوان الملكي الهاشمي من سنة ١٩٤٩ حتى ١٩٥٠، ثم صار مديراً للإذاعة الأردنية، ثم مديراً عاماً للمطبوعات والنشر، وفي سنة ١٩٥٩ عاد إلى مسقط رأسه في لبنان وبدأ بالتأليف، ونشر مقالات مسلسلة في جريدة الأنوار البيروتية تحت عنوان (حملة مشاعل الأدب والعلم والفكر في فلسطين العربية).

ـ مصير مكتبته: يروي عجاج نويهض في مذكراته (... أن المعلم طانيوس كان يملك في المدرسة مكتبة، وهي عبارة عن صناديق خشبية، جعل منها صندوقاً كبيراً، وجعل إحدى الواجهات باباً له مفتاح بسلسلة، ويبقى المفتاح بسلسلة معلقاً بجيب المعلم طانيوس، وتفتح المكتبة في وقت ما خارج أوقات الدرس، فيأتي

الطلاب بعضهم لشراء الكتب المدرسية والدفاتر وأقلام الرصاص، وبعضهم للفرجة، وكان منظر هذه المكتبة بنظري من أروع ما رأيت..).

لذلك كان متيماً بجمعه للكتب، فقد جمع في القدس مكتبة أشبه ما تكون بدار كتب وطنية، فقد تضخمت مقتنياته من الكتب، وتعاظمت مجموعاته من الصحف والمجلات، عدا المراسلات التي كان ينضدها في أضابير هوبها ضنين، لكن هذا كله ذهب إلى اليهود، بعبارته التي كان يكررها دائماً، وهو جدّ حزين على ضياع كل هذا التراث الذي جمع فرائده.

أما مكتبته الثانية التي كانت في رأس المتن ببيروت، فقد أوصى بها إلى الثورة الفلسطينية، كما وجه رسالة إلى ياسر عرفات يوصيه فيها بالعمل بعد إنقاذ الأقصى والقدس، أن يحاول استنقاذ مكتبته الخاصة ومكتبات خليل بيدس وعادل جبر وخليل السكاكيني التي نقلت إلى الجامعة العبرية، لتتألف من مجموعها مكتبة ضخمة لفلسطين المحررة.

رحمه الله لقد كان كما قال عنه وديع فلسطين.. عجاج نويهض كالبحر من أي النواحي أتيته، لتنوع اهتماماته، وتفرد شخصيته، وانشغاله الدائم بهموم أمته وثقافتها وفكرها وتراثها وقيمها وآمالها، فقد كان أديباً مترسلا ومؤرخاً أميناً، وشاعراً مجيداً، ومترجماً بارعاً، وعالماً فقيهاً بصيراً، وصحفياً ذا رسالة، ومناضلاً من مناضلي الحركة العربية الشاملة التي استهدفت استقلال العرب ومنعتهم ويقظتهم، واجتماع شملهم تحت راية عربية خفاقة.

من أهم ما كتب وترجمه كتابيه، رجال من فلسطين وترجمته لبروتوكولات حكماء صهيون[٣٠].

٢٥ ـ مكتبة اسحق موسى الحسيني (١٩٤-١٩٩٠):

ينتمي د. اسحق موسى الحسيني إلى عائلة الحسيني الشهيرة في بيت المقدس، التي أنجبت عدداً من كبار المشتغلين بالسياسة والصحافة والاقتصاد، وأبلوا بلاءً حسناً في خدمة قضية فلسطين، واسحق ممن اختار لخدمة قضية بلاده الجانب الأكاديمي والثقافي اعتقاداً منه بأن الثقافة هي سبيل التضامن العربي.

ولد بالقدس سنة ١٩٠٤، وتعلم في المدرسة الصلاحية بالقدس، ثم دخل كلية الفرير سنة ١٩١٨، وفي سنة ١٩٢٣ التحق بكلية الشباب الإنكليزية، تعلم على الأستاذ نخلة زريق، ثم رحل إلى القاهرة سنة ١٩٢٣ ودرس في الجامعة الأمريكية حتى سنة ١٩٢٦، وعاد إلى القدس ثم سافر إلى لندن ونال الدكتوراه سنة ١٩٣٤ عاد بعدها إلى مسقط رأسه ودرس الأدب العربي في الكلية العربية، في سنة ١٩٤٦ عيّن مفتشاً للغة العربية، وبعد نكبة فلسطين ١٩٤٨ نزح إلى حلب.

في سنة ١٩٤٩ درّس الأدب العربي في الجامعة الأمريكية ببيروت، وفي سنة ١٩٥٢ سافر إلى كندا بصفته أستاذاً معاراً للأدب العربي في الجامعة الأمريكية إلى جامعة مكجيل، وألقى محاضرات في الاتجاهات الإسلامية المعاصرة، وفي سنة ١٩٥٥ درَّس الأدب العربي بالقاهرة، وفي سنة ١٩٦٥ صار عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٩٦٦ عيّن عضواً في لجنة البحوث الإسلامية بالأزهر وعضواً في المجمع العلمي العراقي، وفي سنة ١٩٧٤ عاد إلى القدس وبدأ يجمع الكتب العربية من المكتبات العامة والخاصة لتكون نواة لمكتبة إسلامية في بيت المقدس، وقد كان قد كون جزءاً منها قبل أسفاره خاصة ما يتعلق بالأدب والتراث.

اسحق والكتابة :

عندما كان طالباً بدأ بنشر مقالات في مجلة الرسالة المصرية، ونشر كتاب (مذكرات دجاجة) في سلسلة اقرأ في السنة الأولى لصدورها، كما نشر مقالات في مجلة الثقافة عند أحمد أمين.

ومن مؤلفاته التي بلغت أكثر من عشرين مؤلفاً:

ـ علماء المشرقيات في إنكلترا، طبع بالقدس ١٩٤٠.

ـ مذكرات دجاجة، طبع بالقاهرة ١٩٤٣.

ـ هل الأدباء بشر، طبع ببيروت ١٩٥٠.

ـ فضائل بيت المقدس، مجلة البحوث والدراسات العربية ٤-١٩٧٣.

ـ عروبة بيت المقدس، طبع ١٩٦٩ بالقاهرة، أعادت طبعه دار القلم بدمشق ٢٠٠٢ ووزارة الثقافة السورية ٢٠٠٩.

ـ الأبنية الأثرية في بيت المقدس، ترجمة، طبع ١٩٧٧ بالقدس.

ـ وثيقة مقدسية تاريخية تحتوي على ترجمة الشيخ محمد الخليلي، وبحث في الوقف والحكر والخلو وثبت بكتب الخليلي وأحوال القدس في القرن ١٨، حققها مع أميل أبو ليلى وطبعت بالقدس ١٩٧٩.

كان اسحق الحسيني يحمل معه قضية شعبه وأينما حلَّ أخرجها من بين جوانحه ليتناقش بها مع العلماء في شتى أنحاء العالم، لذلك شجع الباحثين على تحقيق المخطوطات التي تتناول تاريخ القدس، فنهض د. كامل السوافيري (١٩٥١-١٩٩٢) بتحقيق كتاب مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام لأبي محمود بن هلال القدسي، كما سعى لتحقيق كتاب الإكليل في تاريخ القدس الجليل.

وبعد ما سافر أولاده إلى الولايات المتحدة، صارت أمتع مباهجه اليومية أن يتجول في صبيحة كل يوم في أرجاء بيت المقدس يستقبل الندى ورذاذ المطر، ويستروح ذكريات الماضي، تؤنس وحدته قدسية المكان وعواطف المحبين، توفي سنة ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

أما مكتبة الأولى فقد احترقت أثناء حرب ١٩٤٨م، ويقول عنها فؤاد عبيد... كانت مكتبة في القدس تضم زهاء أربعة آلاف كتاب، من بينها كتب عرضت في معرض الكتاب الفلسطيني الذي نظم في القدس سنة ١٩٤٦ وذلك لندرتها، ومكتبته الثانية والتي كانت ضخمة ضمت إلى مكتبة الجامعة العبرية وكان لها فهرس مخطوط، وكان حين يذكرها (مما يقول د. عبد الكريم الأشتر) يذكر معها ما انتهت إليه كتب أسامة بن منقذ التي سطا عليها الإفرنج في البحر، وكانت تضم أربعة آلاف مجلد محفوظ فاخر، وخلّفوا في نفسه كما يقول في كتابه الاعتبار (حزازة صحبته إلى آخر العمر)[٣١].

هوامش ومصادر المكتبات في القدس

١ ـ خزائن الكتب العربية في الخافقين لطرازي ٢١/١ ـ ٢٢ ـ ١٤١ ـ ١٤٢، المفصل لعارف العارف ٣٨٧ ـ ٣٨٨ ـ ٦٥٨، المخطوطات العربية في فلسطين للمنجد ٥ ـ ١٢، مجلة مجمع اللغة العربية ١٩٤٥ ـ ١٩٤٦، مجلة المعرفة ٥٤٤.

٢ ـ الأنس الجليل ٣٤/٢، المفصل ٣٧٤.

٣ ـ طرازي ٢٩٤/١، المفصل ٦٥٩، مخطوطات فلسطين ١٢ ـ ١٣.

٤ ـ طرازي ٢٩٤/١، المفصل ٦٥٨، موسوعة بيت المقدس ٨٣٥/٢.

٥ ـ طرازي ١٤٢/١ ـ ١٤٣، المعاصرون لكرد علي ٢٦٩، مخطوطات فلسطين ٥ ـ ١١، رجال في فلسطين لعجاج نويهض ٢٤، مقدمة منادمة الأطلال ومسامرة الخيال لبدران، مجلة المعرفة ع ٥٤٤.

٦ ـ موسوعة بيت المقدس ٢/ ١٠٠٠، مخطوطات فلسطين ١٣، المفصل ٦٦٠، طرازي ١/ ٢٩٤، مجلة المعرفة ع ٥٤٤، موقع مؤسسة فلسطين للثقافة.

٧ ـ المفصل ٦٦٠، أعلام فلسطين لحمادة ٢٧٠/١، سلك الدرر ١/ ١٧٥، طرازي ٢٩٤/١.

٨ ـ طرازي ١/ ٢٩٣، المفصل ٦٦٠، مخطوطات فلسطين ١٣.

٩ ـ معاهد العلم في بيت المقدس للعسلي ٣٩١، موقع مؤسسة فلسطين للثقافة.

١٠ ـ المفصل ٦٥٨ ـ ٦٦١، موسوعة بيت المقدس ٨٧١/٢، د. شاكر مصطفى مجلة العربي ع ٢٧٢ يوليو ١٩٨١.

١١ ـ ١٢ ـ ١٣ ـ المفصل ٦٥٨ ـ ٦٥٩.

١٤ ـ موقع مجلة عرين دراسة د. يحيى عليان ـ الأردن.

١٥ ـ مخطوطات فلسطين للمنجد ١٣.

١٦ ـ الأنس الجليل ٢/ ٣٧٨، سلك الدرر للمرادي ٩٤/٤ ـ ٩٧، المفصل ٣٩٢ ـ ٦٥٧، مخطوطات فلسطين ١٢، طرازي ١/ ٢٩٤، نفائس المخطوطات العربية في فلسطين ١١٣، موقع فلسطين للثقافة.

١٧ ـ موقع مجلة عرين، موقع مجلة النادي العربي د. ربحي مصطفى عليان.

١٨ ـ أعلام فلسطين ١٩٧/٤ ـ ١٩٨.

١٩ ـ طرازي ٢٩٣/١.

٢٠ ـ أعلام فلسطين ١٥٩/٢ ـ ١٦٠، الموسوعة الفلسطينية ٢٣٧/٢.

٢١ ـ الأعلام للزركلي، ٣١٦/٢ ـ ٣١٧، أعلام فلسطين ٤٣/٣ ـ ٤٤، مقدمة منادمة الأطلال ـ م، طرازي ١: ٢٩٣ ـ ٢٩٤، رجال من فلسطين ٢٤، مخطوطات فلسطين ١٠ ـ ١١.

٢٢ ـ أعلام فلسطين ٢٩٨/١ ـ ٣١٥، أعلام الفكر والأدب في فلسطين ٦٢٧، رجال من فلسطين ١٧، مذكرات أنا كذا يا دنيا لخليل السكاكيني ٣٨٢.

٢٣ ـ أعلام فلسطين ٨٣/٥ ـ ٨٤، المفصل ٦٦٠، طرازي ٢٩٤/١، أعلام الفكر والأدب في فلسطين ٥٧٥، رجال من فلسطين ٣٤، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٤٧ ص ٤٥٧، مخطوطات فلسطين ٥ ـ ١٣، الموسوعة الفلسطينية ٥٧٤/٣.

٢٤ ـ أعلام فلسطين ٢٨/٣ ـ ٣١، من أعلام الفكر والأدب في فلسطين ٦٧ ـ ٧٠، رجال من فلسطين ٢٣، موقع فلسطين للثقافة.

٢٥ ـ المكتبة الخالدية بالقدس ٣٢، مقدمة د. حسام الخطيب لكتاب تاريخ علم الأدب لروحي الخالدي، موقع فلسطين للثقافة.

٢٦ ـ طرازي ٢٩٤/١، أعلام فلسطين ١/ ١٨٠ ـ ١٨٢، المفصل ٦٥٨، الأعلام للزركلي ١٢٥/١، موسوعة بيت المقدس لشراب ١٠٣٩/٢.

٢٧ ـ أعلام فلسطين ٥٦/٣ ـ ٦١، وديع فلسطين يتحدث عن أعلام عصره ٤٧/٢.

٢٨ ـ أعلام فلسطين ٥/٥ ـ ٦، وديع فلسطين يتحدث عن أعلام عصره ٤٧/٢.

٢٩ ـ أعلام فلسطين ٢٢/٥ ـ ٢٥، عارف العارف شيخ مؤرخي فلسطيني لخليل محمود الصمادي.

٣٠ ـ أعلام فلسطين ٢٤٩/٥ ـ ٢٥٠، وديع فلسطين يتحدث عن أعلام عصره ٤٦/٢ ـ ٤٧، من أعلام الفكر والأدب في فلسطين ٦٤١، موقع فلسطين للثقافة.

٣١ ـ أعلام فلسطين ٢٩٣/١ ـ ٢٩٧، وديع فلسطين يتحدث عن أعلام عصره ٧١/١ ـ ٧٧، مخطوطات فضائل بيت المقدس للعسلي ١٢٧، مخطوطات فلسطينية واقع وطموح لفؤاد عبيد ٦١، موقع فلسطين للثقافة، مجلة المعرفة ع ٥٤٤.

المكتبات المسيحية والغربية في القدس

من المعروف أن القدس شهدت ولادة المسيح عليه السلام، لذلك نشأت فيهما أولى المكتبات المسيحية، وذلك من خلال جمع مجموعات الكتابات المسيحية في الكنائس منذ العهد الذي تلا عهد الحواريين، لرغبة المسيحيين في جمع أقوال المسيح وأقوال الحواريين، ورسائل الرسل وأوائل الأناجيل، وحفظها في مكان أمين وتعليمها للأجيال اللاحقة، كل ذلك أدى إلى تأسيس مكتبات ألحقت بالكنائس والأديرة، فقد ورد في التاريخ أن الأسقف (اسكندر) أسس مكتبة كبيرة ومهمة في القدس، وذلك قبل سنة ٢١٢م، وكانت على نمط مكتبة الإسكندرية، وفي الوقت نفسه أسس (أوريجين بامفيلوس) أو (بمفيل البيروني) مكتبة مهمة في قيسارية فلسطين، وذلك سنة ٣٠٩م، وكانت تضم طبقاً لرواية (ايسيدورس) ثلاثين ألف مخطوط في شتى العلوم الدينية والعلمية، وكان فيها مجموعة الكتاب المقدس في خمسين مجلداً للعلامة (اوريجانيس ١٨٥ ـ ٢٥٤م) والمعروفة بمجموعة الدهور، لكن هذه المكتبة دمرت وصارت في خبر كان، وكان للقديس (يورنيم) مكتبتان، واحدة في روما، والثانية في بيت لحم[١]، ومن أهم المكتبات المسيحية في القدس:

١ ـ مكتبة ديرمار مرقس للسريان :

تعد من أقدم مكتبات القدس، لأن السريان ما برحوا منذ الحروب الصليبية ينصبون مطارنة من مذهبهم على الكرسي الأورشليمي، غير أن ميخائيل الأول الكبير أثبت في تاريخ الأزمنة أسماء مطارنة السريان الذين تتابعوا على كرسي أورشليم، وذلك من أيام سرجيس (٥٣٩ ـ ٥٤١م) أول بطاركتهم إلى عهده.

كان مركزهم الأول في دير المجدلية ثم انتقلوا إلى دير مارمرقس، فانشؤوا فيه مكتبة آهلة بالمخطوطات والرقوق التي تلاعبت بها الأيدي عدة مرات،

فأفقدتها جانباً عظيماً من ثروتها العلمية، وما خلا الكتب المطبوعة فقد أبقت الأيام ٣٦٢ مخطوطاً بكل حرص في الدير، أما الكتب المطبوعة فهي كثيرة، اطلع فيليب دي طرازي على فهرس تلك المخطوطات قبل سنة ١٩٤٠ فوجد بينها مخطوطات نادرة مكتوبة على رق غزال، ووجد بعضها مزيناً بالصور الرائعة، ومن بينها صكوك وحجج قديمة، وفرامين سلطانية، وايقونات بديعة، ورسائل خطيرة استند إليها بعض الباحثين في تواريخ المشرق ولا سيما بيت المقدس[٢].

٢ ـ مكتبة القبر المقدس :

أنشئت مكتبة القبر المقدس في القدس منذ عهد بعيد، غير أنها حُرمت من الترتيب والعناية، بل بقيت عرضة للنهب والسلب حتى أوائل القرن التاسع عشر، ومن حسن الحظ أن الرهبان اليونان تنبهوا إلى جمع شتاتها وصيانة ما سلم من ذخائرها الثمينة التي يرتقي عهد بعضها إلى القرن العاشر للميلاد، وقد بلغ عدد مخطوطاتها لغاية سنة ١٩٤٠م ٣٠٠٠ مخطوطة باللغة العربية واليونانية والسريانية، وأضيف إليها مكتبة دير النساطرة وأديرة الأردن لا سيما مكتبة دير مارسابا الشهير، بعد أن كانت قد نقلت إلى دير الصليب، ووضع لها فهرس طبع سنة ١٨٨٣م[٣].

٣ ـ مكتبة دير مار سابا :

يقع الدير شرقي جنوبي القدس، أسسه (افتيموس) سنة ٤٧٤م، ثم خلفه الراهب سابا سنة ٥٣٢م الذي شيد أبنية هذا الدير فاشتهر باسمه، ومنذ ذلك الوقت أنشئت فيه خزانة كتب ذاع صيتها في الآفاق لكثرة من سكنه أو حلَّ به، ومنهم يوحنا الدمشقي سنة ٧٤٨م، لكن محناً كثيرة في أزمنة مختلفة طرأت على هذه المكتبة، وأقدمها كانت سنة ٦١٤م عندما أقبل شذاذ البدو من شرقي البحر الميت فاستحوذوا على الدير وقتلوا أربعين من رهبانه، وفي القرنين الثامن والتاسع الميلاديين تعرض البدو أيضاً عدة مرات لهذا الدير، وفي عهد الصليبيين تهدم أكثر بنيانه وخلا من الرهبان، وبقي هكذا إلى أن رممته الحكومة الروسية سنة ١٨٤٠م وطوقه الرهبان بسور منيع لإنقاذه من هجمات البدو، فعادت الحياة النسكية إليه، وزادت ثروة مكتبته الغنية بالمخطوطات الشرقية، وفي أوائل القرن

العشرين نقلت المكتبة إلى دير الصليب، ثم ضمت إلى خزائن كتب القبر المقدس، لتكون في مأمن[٤].

٤ ـ مكتبة دير المصلبة :

لهذا الدير قصة مفادها أنه خلال سلطنة محمد بن قلاوون الثانية (٦٩٨ ـ ٧٠٨هـ ـ ١٢٩٨ ـ ١٣٠٨م) تم تحويل دير المصلبة الكرجي (نسبة إلى الكرج، وهو جمهورية جورجيا) الواقع في الغرب من القدس على بعد خمسة كم من بركة ماملا، وفي سنة ٧٠٥هـ/١٣٠٥م وصلت رسُل من جهة ملك الكرج، ورسول من جهة صاحب القسطنطينية إلى باب الملك الناصر محمد بن قلاوون، وسألوا إعادة الكنيسة لهم، وبعد مفاوضات... أعاد الدير لهم.

في سنة ٧٤٨هـ زار دير المصلبة الرحالة العمري وقال: هو في ظاهر مدينة القدس في شامها بغرب، وهو دير رومي قديم البناء بالحجر والكلس، محكمة الصنعة، مؤنق البقعة، في بحيرة من أشجار الزيتون والكروم، وشجر التين، بإزاء قرية تجري على الدير بمرسوم السلطان،.. ثم قال: وكان قد أُخذ هذا الدير، وجعل مسجداً للمسلمين، وأعلن فيه بالأذان وأقيمت الصلاة، ثم أعيد ديراً...، وقد ذكر نحوه مجير الدين الحنبلي في الأنس الجليل...

وبقي الدير وكنيسته في يد الكرج حتى أواخر القرن السابع عشر الميلادي حيث اشتراه الروم الأرثوذكس، وفي سنة ١٨٥٥م حول البناء إلى كلية لاهوت، ثم أغلقت سنة ١٩٠٩م.

وفي الدير مكتبة كانت تحتوي على ما يقرب من ثمانية آلاف كتاب، وقد أخذ الدير اسمه من مقولة أن الشجرة التي أخذ منها صليب المسيح نمت في المكان الذي ترتفع فيه كنيسة الدير[٥].

٥ ـ مكتبة دير المُخَلِّص :

في سنة ١٥٣٦م عقدت أول معاهدة بين السلطان العثماني سليمان الثاني، وبين ملك فرنسا، أطلق عليها اسم (امتيازات) وقد اعترف نص المعاهدة بحق

عملاء فرنسا في الشرق دون سواهم في رعاية الحجاج الغربيين، ومنح السلطان سليمان الكهنة الفرنسيين سنة ١٥٥٨م (دير القديس يوحنا) فأطلقوا عليه اسم (دير المخلص) وحولوه داراً عظيمة لإقامتهم واستقبال الحجاج الوافدين إلى القدس.

وأنشأ رهبان الدير مكتبة عظيمة في سنة ١٩٤٨ كان فيها أكثر من (٢٥٠٠٠) كتاب، باللغة العربية واللاتينية والفرنسية والإيطالية[٦].

٦ ـ مكتبة دير مار يعقوب للأرمن :

يقع الحي الأرمني جنوبي غرب القدس القديمة، وهو يشغل نحو خمس مساحتها داخل الأسوار، وترجع بداية الوجود الأرمني في القدس إلى القرن الرابع للميلاد (إلى أول عهد اعتناق الأرمن للديانة المسيحية) وفد منهم إلى الأرض المقدسة للحج، واستقرار جماعة من الرهبان والحجاج بالقرب من الغرفة العليا وهي بناء على جبل صهيون كان يعد مكان تجمع للمسيحيين الأوائل، ومن المعتقد أن كاتدرائية (سانت جيمس) للأرمن الأرثوذكس بنيت في هذا الموقع، ومن أبرز معالم حي الأرمن (دير الأرمن) الذي كتب على بابه باللغات الثلاثة الأرمنية واللاتينية والعربية (دير الأرمن مار يعقوب) الذي هدمه الفرس سنة ٦١٤هـ ويحيط بالدير عدة كنائس، أشهرها كاتدرائية سانت جيمس، ومبنى البطركية، ومقر البطرك ومساحات مكشوفة وحدائق ومكتبة ومتحف ومطبعة، ومدارس ابتدائية وثانوية وبيوت للسكن، ويتصل بحارة الأرمن دير الزيتونة، حيث يُحتفظ بجميع سجلات الطائفة الأرمنية، أما المنطقة السكنية المجاورة للدير فهي تتصل به عن طريق الشوارع الضيقة التي تشتهر بها القدس القديمة، وهي تحمل أسماء أرمنية مثل (طريق أرارات).

في سنة ١٩٦٧ أجبر الصهاينةُ الأرمن على تفريغ عدد من المباني، واحتلوها ومنحوها للمهاجرين اليهود الجدد.

كان عدد الأرمن أيام الانتداب الإنكليزي في القدس القديمة والجديدة، أكثر من عشرة آلاف أرمني، وفي سنة ٢٠٠٠ لم يوجد إلا ألف أرمني يعيشون في الحي الأرمني القديم.

ويرتقي عهد المكتبة إلى أيام إنشاء البطركية سنة ١٣١١م، وهي مكتبة تعد من أكثر مكتبات الأديرة في القدس القديمة شهرة، فهي تحتوي على ثاني أكبر مجموعة من الوثائق الأرمنية في العالم، كما أنها تضم كنوزاً علمية نادرة، مثل الرقوق والمصورات والبدائع مما يأخذ بمجامع الألباب، وتشمل على أكثر من (٢٦) ألف مجلد مطبوع، و(٣٥٠٠) مخطوط، منها مخطوطات نادرة.

يقول العلامة اغناطيوس أفرام الثاني رحماني.. أنه تفقد هذه المكتبة سنة ١٨٩٣م أثناء المجمع القرباني، فعثر على بعض المصاحف الأرمنية المكتوبة بلفظ أرمني.. مثل الكتابة الكرشونية، وهي)(أن يكتب المصحف بحروف سريانية ويقرأ بلفظ عربي)، ويطلق البعض على المكتبة اسم (جولبينكيان)[٧].

٧ ـ مكتبة الرهبان ومكتبات الرهبانيات اللاتينية :

للرهبانيات اللاتينية بالقدس الشريف وفي طليعتها الرهبنة الفرنسيسية مكتبات معتبرة كل الاعتبار، فيها الكتب الدينية والوثائق الثمينة في شتى العلوم واللغات، وإن كانت إدارة بعضها غير عربية، والقسم الأوفر من كتبها غير عربي لكنها ترمي إلى غرض واحد يتعلق بالقدس، وبسائر الأراضي المقدسة التي يتكلم معظم سكانها باللسان العربي.

والمكتبة تعد من أغنى مكتبات العالم بما حوته من وثائق متعلقة بالأراضي المقدسة، وقد حافظ عليها أولئك الرهبان محافظة شديدة منذ أكثر من سبعة قرون، وقد تفرغ بعض علمائهم منذ سنة ١٩٢٢ لنشر فهرس يستوفي كل الوثائق بلغتها العربية الأصلية، مع ترجمتها إلى اللغة الإيطالية.

وفي المكتبة ٢٦٤٤ وثيقة يرتقي تاريخ أقدمها إلى عهد الملك الأشرف شعبان بن حسين سلطان مصر المملوكي المتوفى سنة ٧٧٨هـ/١٣٧٧م) ويشاهد المدقق صور الوثائق والفرمانات ونصوصها مع تواقيع الخلفاء والملوك والسلاطين المسلمين، الذين إليهم كان يرجع أمر الأراضي المقدسة في الحقبة المذكورة.

وقد كتب الباحث اللغوي اوغسطين مرمرجي الراهب الدومينيكي إلى فيليب دي طرازي رسالة ذكر فيها أن مكتبة دير الرهبنة بالقدس غنية بتواريخ الشرق الدينية والمدنية، كذلك فيها كل ما يقتضي لدرس الألسنة السامية، كما أن هناك كتباً ثمينة قيمة لدرس تاريخ العرب واللغة العربية والدين الإسلامي.

ثم ذكر له أسماء المكتبات اللاتينية في القدس مع عدد مجلداتها المخطوطة والمطبوعة. فذكر أن:

٨ ـ مكتبة الرهبان الفرنسيس: فيها من الكتب المطبوعة ٤٨ ألفاً، والمخطوطة ١٣٠.

٩ ـ مكتبة الرهبان الدوفكيين: فيها ٤٥ ألفاً من الكتب المطبوعة، وهم يديرون معهد التوراة والآثار، ويصدرون مجلة التوراة.

١٠ ـ مكتبة البطريركية اللاتينية، فيها ٨ آلاف كتاب مطبوع، و١٠٠ مخطوط.

١١ ـ مكتبة الرهبان الإنتقاليين، فيها ١٥ ألفاً من الكتب المطبوعة.

١٢ ـ مكتبة الرهبان البندكتيين، بجبل الزيتون، فيها خمسة آلاف كتاب مطبوع.

١٣ ـ مكتبة الآباء البيض، بالصلاحية فيها مئة مخطوط وعشرة آلاف كتاب مطبوع.

١٤ ـ المكتبة الإنجيلية الأثرية الإفرنسية، تأسست عام ١٨٩٠م، كان فيها عام ١٩٤٥م، ٢٥٠٠٠ كتاب، باللغة الفرنسية والإنكليزية والألمانية.

١٥ ـ مكتبة الدراسات الإنجيلية الفرنسية، تأسست سنة ١٩٢٩م، في سنة ١٩٤٥ كان فيها أكثر من (٥٠٠٠) كتاب بعدة لغات أجنبية، مثل اللاتينية والإنكليزية والألمانية والفرنسية والإيطالية.

١٦ ـ مكتبة البعثة البابوية، أنشئت في القدس سنة ١٩٦٠.

١٧ ـ مكتبة القديسة (آنا) ١٨٨٢م.

١٨ ـ مكتبة معهد الطنطور للدراسات اللاهوتية ١٩٧١.

١٩ ـ مكتبة الفرنسيسكان في دير اللاتيني، أسس سنة ١٥٦١م.

٢٠ ـ مكتبة بطريركية اللاتين، أسست سنة ١٨٤٨م.

وقد كان عدد كتب المكتبات اللاتينية التي في القدس عندما زارها طرازي، وذلك قبل سنة ١٩٤٠ أكثر من (١٣١) ألف كتاب مطبوع، و(٣٣٠) مخطوط.

وعلى كل لا نستطيع حصر عدد الكتب الموجودة في الرهبانيات، ففي كل رهبانية مكتبة، وعدد الرهبانيات كثيرة في القدس، وفي كل دير مكتبة، وفي كل كنيسة مكتبة، وفي كل بطركية مكتبة، وفي بيت كل رجل دين مكتبة[٨].

٢١ ـ مكتبة مدرسة نيومن للإرساليات:

تأسست سنة ١٩٢٨، كان فيها سنة ١٩٤٥م ٣٠٠٠ كتاب باللغة العربية، والإنكليزية، كذلك وجد فيها بعض الكتب باللغة الفرنسية والألمانية والإيطالية[٩].

مكتبات الإرساليات البروتستانية:

للبروتستانت في القدس لغاية سنة ١٩٤٥ ثلاث مكتبات مهمة، يقصدها أهل العلم لدراسة الكتاب المقدس، وللبحث عن العاديات المسيحية، وهي:

٢٢ ـ خزانة كتب الجمعية الأثرية الإنكليزية.

٢٣ ـ خزانة كتب الجمعية الأثرية الأمريكية.

٢٤ ـ خزانة كتب المجمع العلمي الأثري البروتستاني.

وقد أنشئت هذه المكتبات في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وهي مليئة بالكتب المطبوعة ونوادر المخطوطات، وعندما زارها طرازي لم يوفق لمعرفة عدد المخطوط من المطبوع[١٠].

ـ مكتبات الجمعيات في القدس:

عرفت القدس جمعيات البحث عن الآثار وكلها جمعيات أجنبية، أهمها: جمعية ومدرسة الآثار البريطانية، وجمعية البحث عن الآثار الفلسطينية، والمدرسة الفرنسية للبحث عن التوراة، والمعهد الشرقي لجامعة شيكاغو والمعهد الشرقي الألماني، والمعهد الإنجيلي الألماني، والمدرسة الأمريكية للبحث عن الآثار الشرقية، وكان في كل جمعية مكتبة، تضم كتباً من عدة لغات[١١].

ومن هذه الجمعيات العلمية التي ما زال بعضها كما هو للعلم في مدينة القدس.

٢٥ ـ جمعية صندوق التنقيب عن أثار فلسطين تأسست في لندن ١٨٦٥.

٢٦ ـ جمعية فلسطين الألمانية تأسست سنة ١٨٧٨م.

٢٧ ـ جمعية الشرق اللاتيني المؤسسة في باريس سنة ١٨٧٦م.

٢٨ ـ الجمعية الأرثوذكسية الفلسطينية الروسية تأسس سنة ١٨٨٢، ركز علماء هذه الجمعيات على تاريخ فلسطين وإرجاع ما وجدوه من آثار إلى أصول عبرية، ، لهذه الجمعيات مجلات مثل مجلة صندوق التنقيب مجلة الجمعية الألمانية الفلسطينية، وما زال لبعض هذه الجمعيات معاهد للبحث في القدس ولها مدارس مع نشاط علمي واسع في الأديرة، وخصوصاً دير الدومينكان ودير الفرنسيسكان في القدس[١٢].

٢٩ ـ مكتبة الجمعية الروسية الأرثوذكسية، فيها كتب باللغة الروسية والعربية[١٣].

٣٠ ـ **مكتبة جمعية الشباب المسيحيين:** أنشئت هذه الجمعية سنة ١٨٧٢م، ويقول شراب أنها تأسست سنة ١٨٧٦م، ولم تتوطد أركانها إلا في سنة ١٩٢٠ بهمة (د. ارشيبا لوهارث) الذي عرف بالمبشر المنفرِّ، والذي عززها ونظم شؤونها، ومرجعها اللجنة العالمية للجمعية المعروفة بهذا الاسم في مدينة نيويورك، ولها في القدس بناء عظيم تبرع بنفقاته (جيمس نيوبكن جارفي) الذي يعد من أغنياء مدينة مونتكلير التابعة لولاية نيوجرسي في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد افتتح البناء في سنة ١٩٣٣.

يضم البناء عدة دوائر ومعاهد مختلفة، وفيها قسم خاص للمكتبة وغرف للمطالعة وأخرى للمحاضرات.

وتعتبر المكتبة حديثة العهد، وتضم كتباً مفيدة في كل العلوم والآداب، وهي مرتبة ومنظمة، كانت تضم في سنة ١٩٤٠ أكثر من ثلاثين ألف كتاب في اللغة العربية وبعض اللغات الأوروبية، أما مخطوطاتها فقليلة جداً لحداثتها.

وكان الهدف من إنشاء هذه الجمعية الدعم للوجود الإنكليزي، فلم يكن الهدف هو التبشير بل دعم الوجود الإنكليزي فقط، وإثارة النعرات الطائفية بين الشباب المسلم والشباب المسيحي[١٤].

٣١ ـ مكتبة البطريركية الأرثوذكسية:

تأسست عام ١٨٦٥م، وكان فيها عام ١٩٤٥ حوالي (٥٠٠٠) كتاب باللغة اليونانية والعربية والإنكليزية والفرنسية[١٥].

٣٢ ـ **مكتبة الآباء اليسوعيين:** تأسست سنة ١٩٢٨، وكان فيها سنة ١٩٤٨، حوالي (٣٥٠٠) كتاب وبعدة لغات[١٦].

٣٣ ـ مكتبة المدرسة الأمريكية للبحث عن الآثار الشرقية:

قام (ثاير) في سنة ١٨٩٥م بتأسيس مدرسة أمريكية لدراسة الآثار الشرقية بفلسطين مع عدد من الباحثين الآثاريين، وكان تأسيسها سنة ١٩٠٠، وقد أدارها («شارل نوري) من بيل، برعاية مجلس من الأمناء يمثلون الجمعيات الثلاث:

ـ جمعية الآثار الأمريكية.

ـ الجمعية الشرقية الأمريكية.

ـ جمعية التوراة الأدبية.

وأصدرت المدرسة سنة ١٩١٩ مجلة، كما أصدرت في سنة ١٩٢٠ حولية.

أمدت هذه الجمعيات المدرسة بالمال، ثم تولى إدارتها (د. وليام أولبرايت) من سنة ١٩٢٠ إلى سنة ١٩٢٩م، ومن سنة ١٩٣٣ إلى سنة ١٩٣٦، وهو عالم آثاري مؤرخ توراتي، وكان من قبل أستاذ الدراسات السامية في جامعة جونز هوبكنز.

أقيمت المدرسة في أجمل بقعة من بقاع مدينة القدس، وهي على بعد ربع ميل من باب الساهرة إلى الشمال، ويشترك في إدارتها ستون كلية وجامعة من الكليات الإلهية والجامعات العلمية في الولايات المتحدة وكندا، وتدفع كل واحدة منها مبلغاً معيناً من المال في كل سنة.

في المدرسة مكتبة تحتوي على أكثر من (٨٥٠٠) مجلد، غير الكتب التي تخص الآثار البريطانية، والموجودة في نفس البناء، وكل الكتب باللغة الإنكليزية والألمانية والعبرية(١٧).

٣٤ ـ مكتبة كنيسة القديس جورج :

تأسست عام ١٨٩٠، كانت تضم عام ١٩٤٥م حوالي (٥٠٠٠) كتاب بعدة لغات(١٨).

٣٥ ـ مكتبة المعهد الألماني الإنجيلي :

لدراسة البلاد المقدسة في العصور الوسطى، تأسست سنة ١٩٠٢، كان فيها سنة ١٩٤٨، أكثر من (٤٠٠٠) كتاب، وكلها باللغة الألمانية والفرنسية والإنكليزية[١٩].

٣٦ ـ مكتبة المدرسة الأثرية البريطانية :

تأسس في بريطانيا سنة ١٨٦٥م صندوق اكتشاف فلسطين، ويدأ التغلغل الأوروبي في القدس بعد افتتاح أول قنصلية بريطانية في القدس، وكان أول رئيس لهذا الصندوق (أسقف يورك).

كان الغرض من هذا الصندوق هو البحث في آثار وجغرافية وجيولوجية تاريخ فلسطين الطبيعي لإثبات التراث الإنجيلي بطرق علمية، والتعرف على الأماكن لمحاولة الوصول إلى برهان علمي على المعتقدات الدينية، ولكن الغاية الاستعمارية كانت من بين الأهداف، إن لم تكن هي الغاية الأولى، فقد كان من العاملين في المسح الجغرافي والتنقيب الأثري عددٌ من رجال المخابرات البريطانية ومنهم (كوندور ولورنس وكتشز)، وأصدر هذا الصندوق عدداً من المطبوعات، وأسس (المدرسة الأثرية البريطانية) بالقدس سنة ١٩١٩م، وأصدرت مجلة فصلية، وكان في هذه المدرسة مكتبة ضمت كتباً باللغة الإنكليزية والفرنسية والألمانية بلغ عددها سنة ١٩٤٨ أكثر من (٢٥٠٠) كتاب[٢٠].

٣٧ ـ مكتبة دار التمرين على الخدمات :

تأسست سنة ١٩٣٤، ضمت ٦٠٠٠ كتاب لغاية سنة ١٩٤٥، وكلها باللغة الإنكليزية والألمانية، وبعض كتبها باللغة الفرنسية والعبرية والتشيكية والبولونية[٢١].

٣٨ ـ مكتبة دائرة المطبوعات :

تأسست سنة ١٩٤٤م، ضمت ٩٠٠ كتاب باللغة الإنكليزية لغاية سنة ١٩٤٥[٢٢].

٣٩ ـ مكتبة المركز الثقافي الفرنسي :

تأسست سنة ١٩٣٧م، كان يضم المركز قبل سنة ١٩٥٠ أكثر من (٤٠٠٠) كتاب، وكلها باللغة الفرنسية[٢٣].

٤٠ ـ مكتبة غولينجيان طوريان، (البطريرك طوريان مادنيا ثاران)

تأسست سنة ١٩٢٩، كان فيها حوالي سنة ١٩٥٠، أكثر من (٧٠٠٠) كتاب، وكلها باللغة الأرمنية والإنكليزية والفرنسية[٢٤].

٤١ ـ مكتبة المجلس البريطاني :

تأسست سنة ١٩٤٤، كان فيها بعد سنة واحدة من تأسيسها (٦٠٠٠) كتاب، وكلها باللغة الإنكليزية[٢٥].

هوامش ومصادر المكتبات المسيحية في القدس :

١ ـ خزائن الكتب العربية في الخافقين لطرازي ٩٧٢/٣ ـ ٩٧٣.

٢ ـ طرازي ٤٧٨/٢ ـ ٤٧٩، موسوعة بيت المقدس لشراب ١٠٨١/٢ ـ ١٠٨.

٣ ـ طرازي ٤٧٥/٢.

٤ ـ طرازي ٤٧٥/٢.

٥ ـ موسوعة شراب ٤١٩/١ ـ ٤٢٠ و٨٤٨/٢ ـ ٨٤٩.

٦ ـ موسوعة شراب ٤١٩/١ ـ ٤٥٥ و٨٤٧/٢، المفصل ٦٥٧، الموسوعة الفلسطينية ١٤٣/٢.

٧ ـ موسوعة شراب ٨٣٩/٢ ـ ٨٤٨ ـ ٩٧٠، ٤٥٦/١، طرازي ٤٧٨/٢.

٨ ـ طرازي ٤٧٧/٢ ـ ٤٧٨، المفصل ٦٥٧ ـ ٦٥٩، موسوعة شراب ٤٥٥/١ ـ ٤٥٦ و٥٩٩/٢ ـ ٨٠٠ ـ ٨٠٦ ـ ٨٤٧.

٩ ـ المفصل ٦٥٨.

١٠ ـ طرازي ٤٧٩/٢.

١١ ـ موسوعة شراب ٢٧٢/٢.

١٢ ـ موسوعة شراب ٩٢٥/٢ ـ ٩٢٦.

١٣ ـ المفصل ٦٥٧.

١٤ ـ موسوعة شراب ٢٧٣/١ ـ ٤٢٤ ـ ٤٢٥، المفصل ٦٥٩، طرازي ٤٨٠/٢ ـ ٤٨١.

١٥ ـ المفصل ٦٥٨.

١٦ ـ المفصل ٦٥٨.

١٧ ـ المفصل ٦٥٨ ـ ٦٦٥ ـ ٦٦٦، موسوعة شراب ٧٧/١.

١٨ ـ المفصل ٦٥٧.

١٩ ـ المفصل ٦٥٨.

٢٠ ـ المفصل ٦٥٨، موسوعة شراب ٧٧/١ ـ ٧٨.

٢١ ـ المفصل ٦٥٩.

٢٢ ـ المفصل ٦٥٩.

٢٣ ـ المفصل ٦٥٩.

٢٤ ـ المفصل ٦٥٩.

٢٥ ـ المفصل ٦٥٩.

مكتبات اليهود في القدس

ورد في كتاب (تاريخ القدس ودليلها).. أما المدارس اليهودية في القدس لغاية سنة ١٩٢٠ فكثيرة العدد، يقوم بنفقات بعضها أموال روتشلد، ونفقات البعض الآخر الأموال اليهودية التي يقدمها أغنياؤهم.

هذه المدارس مهمتها بثُّ الروح في البلاد، وقد كان كاتب يهودي.. إنه منذ أول سنوات الدراسة والطلبة في المدرسة يلقنون يومياً خطبة مطولة عن الواجبات المقدسة نحو أمتنا وبلدنا وأرض أجدادنا، فيجب أن تخلص أرضنا لنا نظيفة من الكفار العرب، وعلى الطلاب أن يسخروا حياتهم لخدمة أرض الآباء وللقتال من أجلها.

هذه هي المدارس التي أسست وبدأت بنفث سمومها في العهد التركي، حيث كان الحكام الأتراك نيام وغافلون عن ذلك، أما العرب فهم في شغل عن ذلك، ليس لديهم وقت للرد على اليهود، فهم مشغولون بشرح المتون وتحشية الشروح وكتابة التعليقات على الحواشي، ويتقاتلون على المناصب، كلٌ مشغولٌ بنفسه كيف سيصل إلى السلطان ويشتري منصب القضاء أو الفتوى، ونحن العرب وحالنا هكذا من أين لنا أن نتصدى لليهود ومكائدهم ودسائسهم.؟.

حينما كنا مشغولين بقراءة الحواشي كان اليهود يبحثون عن الآثار في أرض القدس ويطمسونها في المتاحف ليخفوا الحقائق وليحولوها مثل ما يريدون، في الوقت الذي كان فيه المسلمون مشغولون في الطرق الصوفية، وهل تجوز إمامة

الأعزب أم لا تجوز..كان اليهود يضعون أطلسا للقدس ولكن وفق رؤيتهم هم، ولما شغلنا متى سيخرج المهدي؟ وشغلنا بتفسير المنامات ورواية الكرامات، كانت دور نشر متخصصة عندهم تنشر الكتب يومياً عن القدس، كما تنشر الموسوعات التي تثبت حق اليهود في فلسطين، وفي حين يسأل أغنياء المسلمين عن مقدار الزكاة؛ وهل تجوز قمحاً أو شعيراً أم نقداً، كان أغنياء اليهود يقدمون الأموال بلا حساب لبناء المستعمرات والمدارس والجامعات ويبنون الجيوش؛ في الجامعة العبرية مئة وعشرون أستاذاً في قسم التاريخ، مئة منهم متفرغون للأبحاث وعشرون للدراسات، وبالمقابل كانت مدارسنا الدينية لا تدرس إلا الفقه والنحو والصرف والكتب التي ألفت في عصور الانحطاط الفكري... في الجامعة العبرية معهد خاص باسم (معهد دراسات القدس) وهو واحد من بين مئات المعاهد والجمعيات التي تهتم بنفسه الموضوع، فهل يوجد معهد واحد في الوطن العربي والإسلامي مهتم بشؤون القدس، إن مئات المجلات ودور النشر والصحف هي في خدمة الفكر الصهيوني اليوم، وينشرون من المجلات أعداداً ضخمة، أما مجلاتنا نحن ماذا فيها لتصدَّ هذه الهجمة الصهيونية..؟.

ـ اليهود والكتب :

عُرف كثير من المستشرقين اليهود بعنايتهم بالكتب وجمعهم لها، فكونوا مكتبات كبيرة في عدة بلدان من العالم، فقد عرفت مكتبة سلمون موتك في باريس، ومكتبة الحاخام زاكي كوهين الذي أسس مكتبة في مدرسة يهودية في بيروت، ومكتبة بمباي بالهند الذي أسسها الثري العراقي داود ساسون، ومكتبة البارون مكس قون في برلين، كذلك عرفت المكتبة الإسرائيلية، ومكتبة مكس مايرهوف في القاهرة، ومكتبة اغناطيوس غولد تسيهر في بودابست، هذه المكتبة النادرة التي اشترتها الجامعة العبرية في القدس بعد وفاته من ورثته، كذلك أسس بعض اليهود مكتبات خاصة بهم في فلسطين، كما أسسوا مكتبات عامة أيضاً، ولكن تركيزهم كان على القدس بشكل خاص، ومن هذه المكتبات:

١ ـ مكتبة الجامعة العبرية :

تنوعت الأساليب عند اليهود الصهاينة في العبث بتراثنا، فقد ركزوا كثيراً على سلب ونهب هذا التراث من مخدعه الآمن ليصبح لقمة سائغة في يدهم، وكان للجامعة العبرية التي تأسست في القدس سنة ١٨٩٢ النصيب الأوفر من هذا التراث، وبالتتابع يندهش المرء عندما يرى هذا الكم الهائل من المخطوطات والمكتبات التي نقلت كاملة إلى مكتبة الجامعة العبرية.

يقول د. نزار ريان.. لقد زرت الجامعة العبرية في ثمانينيات القرن العشرين، فوجدت فيها من تراثنا ومخطوطاتنا ما يندى له الجبين، حتى أني رأيت مكتبات كاملة عليها ختم المكتبات الأصلية موجودة في المكتبة.

من المكتبات العربية التي نقلت إلى مكتبة الجامعة العبرية:

١ ـ مكتبة راغب الخالدي الخاصة، مؤسس المكتبة الخالدية العمومية والمتوفى سنة ١٩٥٠.

٢ ـ مكتبة أسعد الشقيري المتوفى سنة ١٩٤٠.

٣ ـ مكتبة درويش مصطفى الدباغ اليافي المتوفى سنة ١٩٥١.

٤ ـ مكتبة الشاعر إبراهيم مصطفى الدباغ اليافي المتوفى سنة ١٩٤٦.

٥ ـ مكتبة عجاج نويهض المتوفى سنة ١٩٨٢.

٦ ـ مكتبة محمد إسعاف النشاشيبي المتوفى سنة ١٩٤٧.

٧ ـ مكتبة خليل بيدس المقدسي المتوفى سنة ١٩٤٩.

٨ ـ المكتبة الخليلية، التي أسسها في القدس الشيخ محمد بن الخليلي مفتي الشافعية، المتوفى سنة ١١٤٧هـ.

٩ ـ مكتبة عبد الله مخلص المقدسي المتوفى سنة ١٩٤٧.

١٠ ـ مكتبة آل النحوي في صفد.

وفيها أيضاً كثير من المكتبات الخاصة والعامة، ومعظمها سرقه اليهود بعد حرب ١٩٤٨، وليس من القدس فقط، إنما من كل فلسطين.

لذلك إذا عرفنا أنه يوجد في المكتبة (٤٦٠٠٠) كتاب، لا نصدق هذا الرقم، بل إن ما يوجد في المكتبة يتجاوز مئات الألوف، لأن ما نهبوه ليس بالقليل..!

لقد حاول اليهود من خلال هذه الجامعة إبراز عدة أمور، حيث أنهم أظهروا لنا أكثر من خمسمئة مجموع للمخطوطات والذي يأخذ حكم الندرة ولا ثاني له في العالم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أهم ما تحويه هذه المكتبة العبرية من مخطوطاتنا، فإنها تحتوي على ما يقارب نصف المخطوطات الموجودة في فلسطين، وهم بالطبع لم يفصحوا عن عدد المخطوطات الحقيقي الموجود فيها، إنما قالوا يوجد عندنا فقد (٢١٤٣) مخطوطة، والحقيقة أن ما خفي أعظم من ذلك بكثير، ومن هذه المخطوطات (٤٠٠) مخطوطة باللغة الفارسية، و(١٢٠) مخطوطة مزينة بالرسومات، و(١٠٠) مخطوطة باللغة العثمانية، و(١٢٥) مصحفاً، وعدة مئات من هذه المخطوطات تعد من النوادر.

وبالأصل تكونت مكتبة الجامعة العبرية من عدة مصادر، وهي:

١ ـ مجموعة يهودا التاجر اليهودي (١٨٧٧ ـ ١٩٥١) ويعد وفاته أهديت مكتبته إلى مكتبة الجامعة العبرية، وفيها (١١٣٥) مخطوط.

٢ ـ ما قدمته الحكومة الصهيونية للمكتبة من مخطوطات، وقد بلغت (٥٤٣) مخطوطاً.

٣ ـ كانت الجامعة تمتلك بالأصل (٤٦٥) مخطوطاً.

٤ ـ مكتبة المستشرق (غولد تسيهر)، فقد كان هذا المستشرق جمَّاعاً للكتب، خاصة المخطوطات القديمة، وعندما كان سائحاً في الشرق اقتنى نوادر وذخائر المخطوطات، وحملها معه إلى وطنه، وأنشأ منها ومما جمعه من مؤلفات المستشرقين خزانة ذات قيمة كبيرة، وبعد وفاته باعتها أسرته إلى دار كتب الأمة اليهودية والجامعة العبرية في القدس، وغولد تسيهر (١٨٥٠ ـ ١٩٢١) مستشرق مجري يهودي ضليع وغزير الإنتاج، عرفت أسرته بمكانتها وقدرها الكبير.

ويوجد في مكتبة الجامعة العبرية الكثير من نوادر المخطوطات، ومنها عدد جيد بخطوط مؤلفيها مثل عبد الغني النابلسي والمرتضى الزبيدي وشمس الدين الجزري وعلي بن إبراهيم الحلبي.. وغيرهم، ومن هذه المخطوطات ما هو نادر لا ثاني له في العالم مثل مخطوط (فضائل البيت المقدس) لأبي بكر الواسطي من أعلام القرن الخامس الهجري، وكان ضمن مجموع نادر في مكتبة جامع أحمد باشا الجزار، وكانت دار الكتب الوطنية المصرية قد صورته سنة ١٩٣٢ ثم أعاده إلى المكتبة وفي سنة ١٩٤٨ احتلت الجيوش الصهيونية مدينة عكا واستولت على كنوزها، ثم اختفى هذا المجموع الأصلي، ولم يظهر إلا في سنة ١٩٦٩، حيث قام بتحقيقه باحث صهيوني يدعى (اسحاق حسون) ونال به درجة الماجستير من الجامعة العبرية ثم صدر مطبوعاً سنة ١٩٧٩[١].

٢ ـ مكتبة بلدية زمّارين :

زمارين مستعمرة يهودية أنشأها آل روتشلد لإيواء اليهود اللاجئين إلى فلسطين، أنفقوا على تكوينها وتعزيزها مبالغ طائلة، وكان فيها مكتبة كانت تضم لغاية سنة ١٩٤٠ أكثر من أربعة آلاف مجلد بعدة لغات وعدة علوم، منها ٤٠٠ مجلد باللغة العربية، ومعظمها يبحث في الزراعة والصناعة وبعض العلوم الأخرى، وكانت الغاية من إنشاء هذه المكتبة إفادة الصهاينة ومساعدتهم على القيام بأعمالهم الزراعية طبقاً للفن الحديث[٢].

٣ ـ مكتبة هارون ارتسون في زمارين :

تعد أسرة ارتسون من أقدم الأسر اليهودية التي هاجرت إلى فلسطين في الربع الثالث من القرن التاسع عشر، فصرفت المساعي منذ ذلك العهد لإنشاء دولة صهيونية في فلسطين.

وكان هارون ارتسون مشققاً وصاحب همة عالية في رحلاته العلمية وقد اكتشف القمح البري في جبال حرمون واللوز البري في جبل قاسيون بدمشق، وله نظريات واسعة في العلوم الزراعية، وخلف مجموعة نباتية من نباتات فلسطين وسوريا ولبنان. وأهم ما تركه مكتبته الخاصة، والتي كانت ضخمة فيها أكثر من

سبعة آلاف مجلد، وفي عدة لغات، حيث كان يجيد التكلم والكتابة في لغات عديدة، ومما يوجد في مكتبته ٧٠٠ مجلد باللغة العربية، بينها أربعون مخطوطاً معظمها في علم النبات والفلاحة، حيث يوجد في مكتبته نسخة من كتاب (الفلاحة) الذي ألفه ابن العوام، وهذه النسخة نسخت في حياة المؤلف[٣].

٤ ـ مكتبة بصاليل الصناعية :

تأسست سنة ١٩٠٦م، كان فيها لغاية سنة ١٩٤٥ مجموعة ضخمة من الكتب بلغت (١٤٠٠٠) مجلد باللغة الإنكليزية والعبرية والألمانية والفرنسية والروسية[٤].

٥ ـ مكتبة مصلحة الزراعة :

تأسست سنة ١٩٢٠، كان عدد كتبها في سنة ١٩٤٥ أكثر من (٣٦٠٠) كتاب، باللغة الإنكليزية والعربية[٥].

٦ ـ مكتبة أورشليم (بني بريث) :

أسست سنة ١٩٣٠، ضمت في سنة ١٩٤٥ أكثر من (١٥٠٠٠) كتاب، باللغة العبرية والإنكليزية والألمانية[٦].

٧ ـ مكتبة شوقن :

تأسست سنة ١٩٣٥، ضمت لغاية سنة ١٩٤٥، أكثر من (٤٠٠٠) كتاب باللغة العبرية والألمانية والإنكليزية[٧].

٨ ـ مكتبة معهد الأبحاث الاقتصادية :

ويتبع هذا المعهد للوكالة اليهودية، وقد تأسست سنة ١٩٣٦م، في سنة ١٩٤٥ كانت تضم أكثر من (٤٠٠) كتاب باللغة الإنكليزية والفرنسية والعبرية والألمانية[٨].

٩ ـ مكتبة بشورن :

تأسست سنة ١٩٣٩، في سنة ١٩٤٥ كانت تضم حوالي (٤٠٠٠) كتاب باللغة العبرية والألمانية والإنكليزية[٩].

١٠ ـ مكتبة العمال :

تأسست سنة ١٩٤٠، في سنة ١٩٤٥ كان فيها (٥٥٠٠) كتاب باللغة العبرية والإنكليزية[١٠].

١١ ـ مكتبة موسى بيشوتو :

تعد أسرة بيشوت من أقدم الأسر الأوروبية اليهودية، نزحت من ليفورنو بإيطاليا سنة ١٧٣٠م واستوطنت حلب، فتولى أفراد أسرتها قنصليات النمسا وتوسكانا، والدنمرك، وغيرها من دول أوربا، وفي بداية القرن العشرين تفرق أبناء هذه الأسرة في الشرق والغرب.

كان منهم (موسى دي بيشوتو) الذي ولد بحلب سنة ١٨٦٨م، ثم رحل إلى القدس سنة ١٩٣٣م، وعرف عنه أنه كان شديد الهيام بجمع الكتب، لذلك اقتنى طائفة كبيرة منها باللغة العربية وغيرها، وضمت مكتبته كثيراً من المخطوطات العربية القديمة، والمؤلفات المهمة، كما ضمت مجموعات من أرقى المجلات العربية مثل المقتطف والمشرق والهلال وغير ذلك...

بعد وفاته سنة ١٩٤٣ تحولت مكتبته الخاصة إلى مكتبة عامة، وذلك وفقاً لوصيته ليستفيد منها أبناء اليهود الصهاينة[١١].

١٢ ـ مكتبة متحف الآثار الفلسطيني :

تعد من أهم المكتبات الرسمية المتخصصة في القدس، تأسست في سنة ١٩٣٥، في نفس العام الذي تم فيه افتتاح المتحف والذي بني بأموال الثري الأمريكي (جون روكفلر) الذي تبرع بمبلغ مقداره (٢) مليون دولار سنة ١٩٢٧، صرف منه نصف مليون للبناء، ونصف مليون للتأثيث وشراء الكتب، واحتفظ بالباقي في بنوك بريطانيا ليصرف ريعه على إدارة المتحف الذي يقع تجاه الزاوية

الشرقية الشمالية للسور، وعلى بضعة أمتار منه بين الحي المعروف بوادي الجوز وباب الساهرة، وافتتح المتحف أبوابه للجمهور سنة ١٩٣٨م. يضم المتحف مجموعة نادرة من النقوش والحجارة والآثار الفلسطينية، ومكتبته قيمة تشغل أحد الأجنحة، كان فيها لغاية سنة ١٩٤٨ أكثر من (١٧) ألف كتاب، من جملتها مخطوطات نادرة وبعدة لغات، لكن السلطات الصهيونية استولت عليها سنة ١٩٦٧، فهي خاضعة اليوم لإدارة المتحف الإسرائيلي، في هذه المكتبة (٢٠) مخطوطة عربية مصورة، وفيها مخطوطات نادرة نسخت عن غيرها، ومنها:

ـ نصاب الاحتساب لعمر بن محمد الشامي

ـ تراجم أهل القدس في القرن الثاني عشر لحسن عبد اللطيف الحسيني.

وكانا قد صورا عن مخطوطات المكتبة الخالدية، ثم فقدت أصولهما[١٢].

١٣ ـ مكتبة المتحف الإسرائيلي :

تأسس المتحف سنة ١٩٦٥، وهو متحف مستقل في القدس الغربية، أهديت إليه مكتبة الناشر الألماني (اكسيل ابشرنجر)، ويتألف المتحف من عدة وحدات أهمها المكتبة، وفيها كثير من المخطوطات العربية والإسلامية باللغات العربية والفارسية والتركية، ومما فيه:

٤٨ منمنمة من نسخة هندية من كتاب (عجائب المخلوقات) للقزويني، تعود إلى القرن الثامن عشر.

ـ خمسة مصاحف بزخارفها يعود بعضها إلى القرن الخامس عشر الميلادي، وأحدها نسخة كشميرية مكتوبة سنة ١٠٠٠هـ، ١٦٩٩م، على ورقة من الحرير، ومجلدة بجلدة غنية بالأشكال الزخرفية من الخارج، وبالأشجار المزهرة على أرضية حمراء من الداخل[١٣].

١٤ ـ مكتبة جامعة تل أبيب :

أسست سنة ١٩٥٧، وتحوي على ٤٩ مخطوطة، أهمها القسم الثاني من كتاب (الكشف عن تفسير القرآن) لأحمد بن إبراهيم الثعالبي، هذا غير الكتب العربية المنهوبة[١٤].

١٥ ـ مكتبة متحف ذكرى مائير :

ويعرف بالمتحف الإسلامي ويقع في القدس الغربية في شارع بلماخ، أسس المتحف سنة ١٩٧٤، وهو متحف خاص، أنشأته زوجة عالم الفن الإسلامي (ل.مائير) تخليداً لذكراه، وفيه كل ما جمعه أثناء حياته من مخطوطات وتحف إسلامية، ففيه (١٩) مخطوطاً، (٧) عربية، ومصحفان وأربعة أجزاء من ربعات، وكل المخطوطات مزينة بالرسوم النباتية والهندسية، ومن المخطوطات ما هو بالفارسية وهي مزينة أيضاً بالرسوم والزخارف.

ومن مخطوطاته التي تعد نادرة:

ـ رسالة دعوة الأطيار لابن بطان، نسخت في القرن ١٣ م.

ـ فتوح الحرمين لمحيي الدين عبد الرحمن الناصر، وهي وصف مزين بالرسوم للحرمين (مكة والمدينة)[١٥].

هوامش ومصادر مكتبات اليهود في القدس :

١ ـ طرازي ٦٦١/٢ ـ ٦٦٢، موسوعة شراب ٩١٩/٢ ـ ٩٢٩. المخطوطات الإسلامية في العالم ٤٥٤/٣، معجم المستشرقين ١١٥ ـ ١١٦.

٢ ـ طرازي ٦٦٠/٢ ـ ٦٦١.

٣ ـ طرازي ٦٦١/٢.

٤ ـ المفصل ٦٥٨.

٥ ـ المفصل ٦٥٩.

٦ ـ المفصل ٦٥٩.

٧ ـ المفصل ٦٥٩.

٨ ـ المفصل ٦٥٩.

٩ ـ المفصل ٦٥٩.

١٠ ـ المفصل ٦٥٩.

١١ ـ طرازي ٦٦٢/٢، المفصل ٦٦١ ـ ٦٦٢.

١٢ ـ المفصل ٦٦١، موسوعة شراب ٨٧٠/٢، موقع مجلة عرين دراسة د. عليان، المخطوطات الإسلامية في العالم ٤٣١/٣ ـ ٤٣٢.

١٣ ـ المخطوطات الإسلامية في العالم ٤٢٦/٣ ـ ٤٢٨.

١٤ ـ التراث العربي المحفوظ في فلسطين ١٠٥.

١٥ ـ مجلة المعرفة العدد ٥٤٤ خاص عن القدس دراسة إياد طباع ص ٣٠٣.

الخاتمة

في آخر هذا العمل أقول للعرب وللمسلمين أما آن لكم أن تحرروا الأرض المقدسة، أرض المسجد الأقصى وكنيسة القيامة من الصهاينة الإرهابيين، ومما يفعلونه.. إن الحروب الصليبية استمرت طويلاًولكن انتهت لصالح القدس وكامل

فلسطين، إن الذي فعله الفرنج (الصليبيون) كان بشعاً جداً، ومع ذلك انتصر العرب عليهم، لقد ذبحوا وهدَّموا وأحرقوا.. ولكن في النهاية اندحروا.

يقول غوستاف لوبون في حضارة العرب.. عندما دخل الصليبيون القدس الشريف سنة ١٠٩٩م كان سلوكهم عكس سلوك عمر بن الخطاب حين دخلها، فقد قال كاهن مدينة (لُوبوي) ـ ريموندُ داجيل ـ عن ذبح عشرة آلاف مسلم كانوا داخل مسجد قبة الصخرة (لقد أفرط قومنا في سفك الدماء في المسجد الشريف، وكانت جثث القتلى تعوم في الساحة هنا وهناك، وكانت الأيدي والأذرع المبتورة تسبح كأنها تريد أن تتصل بجثث غريبة عنها، فإذا ما اتصلت ذراع بجسم لم يعرف أصلها، وكان الجنود الذين أحدثوا تلك المجزرة لا يطيقون رائحة البخار المنبعثة من ذلك إلا بمشقة)...

ويتابع غوستاف لوبون قائلاً... ولم يكتف الفرسان الصليبيون الأتقياء بذلك، فعقدوا مؤتمراً أجمعوا فيه على إبادة جميع سكان القدس من المسلمين واليهود وخوارج النصارى (الاسم الذي أطلقوه على مسيحيي القدس) وكان عددهم نحو ستين ألفاً فأفنوهم على بكرة أبيهم في ثمانية أيام، ولم يستثنوا منهم امرأة ولا ولداً ولا شيخاً، ثم بعد ذلك انهمكوا في كل ما يستقذره الإنسان من ضروب السكر والعربدة حتى وصفهم مؤرخوهم بالمجانين، ويشبهوهم بالفروس التي تتمرغ في الأقذار.. ويقول أيضاً.. لم تنل القدس على أيامهم إلا الخراب..! وقال عنهم غليوم الصوري.. أنهم سفهاء وفاسدون وملاحدة فاسقون، وتلك هي رذائلهم الوحشية التي لو أراد كاتب أن يصفها لخرج على طور المؤرخ ليدخل في طور القادح الهاجي.

وقال الكاهن انكتيل عن الحملة الصليبية الثانية.. لم يترك أولئك الصليبيون جرائم وحشية وخراباً من قطع الطرق وفضائح مزرية إلا اقترفوها...

وحرر صلاح الدين القدس منهم سنة ١١٨٧م، وعادت البلاد إلى ما كانت عليه.. ولكن بعد خلاص القدس من الحكم العثماني استعمرها الإنكليز وقبل خروجهم وطدوا أقدام اليهود فيها ليحلوا محلهم وهذا الذي كان..!

وفي سنة ١٩٤٨ أعلنت الدولة المزعومة الصهيونية، وفي سنة ١٩٦٧ ضم كامل القدس لتكون عاصمة لدولة الإرهاب الذي لا مثيل له في العالم القديم أو الحديث، لقد دمروا البلاد فوق ساكنيها، وأحرقوا التراث العلي، وهدَّموا الأبنية الأثرية الإسلامية والمسيحية، وهاهم قد حفروا الأنفاق تحت المسجد الأقصى، وأزالوا في طريقهم عشرات المدارس والأبنية القديمة، وفي سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٦٧ وإلى اليوم ما زالوا يجمعون المكتبات من أصحابها ويضعونها في مراكزهم العلمية وعلى رأسها الجامعة العبرية، التي فيها اليوم أكثر من نصف مخطوطات فلسطين.

لقد أحرق الصليبيون مكتبات الأقصى وقبة الصخرة، واليهود أحرقوا آلاف المكتبات غير التي سرقوها، هذا التراث الذي ينادينا مستغيثاً اليوم، ويستنجد ببني قومه ولسان حاله يقول:

متى عهدتمونا نقبل يد كل لامس، ومتى عرفتمونا نُهان ونُسرق، ونُنهب في وسط الظلام الدامس، ومتى أدركتمونا نألف سماء الأعداء، هذا التراث يخاطبنا اليوم ويقول لقد صرنا نستخدم لتزوير التاريخ وسلب الدسائس، فهبوا وأنقذوه يا عرب من يدٍ نجسة لا تعرف قيمته، احملوا تراثكم فوق رؤوسكم وارعوه حق رعايته.

وأخيراً إن غايتي من هذا العمل أن أذكر الأمة وأبناءها وأجيالها القادمة بقدسهم، الجوهرة المغتصبة، ولأذكرهم بما بناه الأقدمون فيها من مساجد ومدارس ومكتبات، وأديرة وكنائس ومجدٍ أضعناه، إنها القدس تنادي محبيها... لينقذوها من الأيدي الصهيونية النجسة القذرة، إن قبة الصخرة تنادينا، وأبواب الأقصى تنادينا، وكنيسة القيامة تنادينا ومكان مولد عيسى ينادينا ومكان مسرى الرسول ينادينا.... إن كل حجر في القدس يستصرخنا وينادينا، وكل قطرة ماء تهطل على صخورها تنادينا، وكل ذرة تراب بأرضها تنادينا.. لبيك يا قدس.

المصادر والمراجع

١ ــ الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ــ عبد الرحمن بن محمد العليمي (مجير الدين الحنبلي) ــ ط عمان ١٩٧٣.

٢ ــ أهل العلم بين مصر وفلسطين ــ أحمد سامح الخالدي ــ ط القدس.

٣ ــ الأعلام ــ خير الدين الزركلي ــ ط ٥ ــ بيروت ١٩٨٠.

٤ ــ الأبنية الأثرية في القدس الإسلامية ــ د. إسحاق موسى الحسيني ــ إصدار المدرسة البريطانية لعلم الآثار في القدس ــ ١٩٧٧.

٥ ــ الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ــ للسخاوي ــ بغداد ــ ١٩٦٣.

٦ ــ إسعاف النشايشبي ــ أكرم زعيتر ــ مجلة العربي العدد ١٢٣ شباط ١٩٦٩.

٧ ــ أعلام النساء ــ عمر رضا كحالة ــ ط١ المتحدة ــ دمشق.

٨ ــ بلادنا فلسطين ــ مصطفى مراد الدباغ ط ٢٠٠٣، ــ حيفا ــ دار الهلال.

٩ ــ البداية والنهاية ــ إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ط ــ مصر ــ ١٩٩٠.

١٠ ــ برنامج المكتبة الخالدية العمومية في القدس ط ــ ١٩٠٠.

١١ ــ بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت (١٥١٦ ــ ١٧٩٨) ــ عبد الكريم رافق ــ ط ــ دمشق ١٩٦٨.

١٢ ــ البعد الأكاديمي والمعرفي لبيت المقدس ــ عبد الفتاح محمد العويسي المقدسي ــ سلسلة دراسات بيت المقدس رقم ٩ ط ــ ٢٠٠٨ ــ دار مؤسسة فلسطين للثقافة ــ دمشق.

١٣ ـ تاريخ الدولة العلية ـ محمد فريد بك المحامي ـ تحقيق د. إحسان حقي ط ٦ ـ دار النفائس دمشق ـ ١٩٩٣.

١٤ ـ تاريخ الحركات الفكرية في عصر النهضة ـ علي محافظة ط ـ بيروت ١٩٨٧ ـ الأهلية.

١٥ ـ التعليم في فلسطين منذ العهد العثماني وحتى السلطة الوطنية الفلسطينية. عمر جميل نشوان ـ ط عمان ٢٠٠٤ ـ دار الفرقان.

١٦ ـ تاريخ علم الأدب عند الإفرنج والعرب وفيكتور هوكو ـ روحي الخالدي. تقديم ـ د. حسام الخطيب ط ٥ ـ دمشق ١٩٨٥.

١٧ ـ تاريخ العرب والتمدن الإسلامي ـ جورجي زيدان ـ ط بيروت ١٩٢٠.

١٨ ـ التربية عند العرب ـ خليل طوطح ـ ط ٢ ـ ٢٠٠٤ دمشق وزارة الثقافة ـ سلسلة آفاق شهرية ـ العدد ١٨.

١٩ ـ التراث العربي المخطوط في بيت المقدس ـ إياد خالد الطباع ـ مجلة المعرفة ـ دمشق وزارة الثقافة العدد ـ ٥٤٤ ـ عدد خاص عن القدس عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٩.

٢٠ ـ تاريخ الكتاب ـ د. الكسند ستيبتشفيتش ـ ترجمة د. محمد الأرناؤوط ـ سلسلة عالم المعرفة ـ الكويت ـ رقم ١٦٩ ـ ١٧٠ ـ سنة ١٩٩٣.

٢١ ـ التربية عبر التاريخ ـ د. عبد الله عبد الدائم ـ ط ٦ ـ ١٩٨٧ بيروت دار العلم للملايين.

٢٢ ـ تاريخ مصر الحديث ـ جرجي زيدان.

٢٣ ـ تراث فلسطين في كتابات عبد الله مخلص ـ تحقيق كامل جميل العسلي ـ ط ١٩٨٦ عمان.

٢٤ ـ تاريخ الصحافة العربية ـ الفيكونت فيليب دي طرازي ـ ط١ ـ ١٩١٤ بيروت.

٢٥ ـ خطط الشام ـ محمد كرد علي ـ ط ١ (١٩٢٥ ـ ١٩٢٨) ـ بيروت.

٢٦ ـ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ـ محمد المحبي ـ ط بيروت مكتبة المثنى.

٢٧ ـ خزائن الكتب العربية في الخافقين ـ الفيكنت فيليب دي طرازي ـ ط ١ 1931 ـ بيروت.

٢٨ ـ حوادث من تاريخ القدس ـ طه أحمد مارديني ـ ط ـ دار المشرق ـ دمشق ـ ٢٠٠٧.

٢٩ ـ حضارة العرب ـ غوستاف لويون ـ ترجمة عادل زعيتر ـ ط شعبية ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ مصر.

٣٠ ـ حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ـ عبد الرزاق البيطار ـ تحقيق محمد بهجة البيطار ـ ط مجمع اللغة العربية بدمشق ـ ١٩٦١.

٣١ ـ الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ـ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ـ مصر ١٩٦٩.

٣٢ ـ الدارس في أخيار المدارس ـ عبد القادر بن محمد النعيمي ـ تحقيق الأمير جعفر الحسيني ـ ط ـ مجمع اللغة العربية بدمشق ـ ١٩٤٨.

٣٣ ـ دمشق فترة السلطان عبد الحميد الثاني ـ د. ماري دكران سركو ـ إعداد خيري الذهبي ـ طبع وزارة الثقافة بدمشق ٢٠٠٨.

٣٤ ـ الدرة المضية في الدولة الظاهرية ـ محمد بن محمد بن صصرى ـ إعداد خيري الذهبي ـ وزارة الثقافة بدمشق ٢٠٠٨.

٣٥ ـ ذيل تاريخ دمشق ـ حمزة بن أسد (ابن القلانسي) ـ تحقيق د. سهيل زكار ـ ط ١ ـ دمشق ـ دار حسان ـ ١٩٨٣.

٣٦ ـ الرحلة الإمبراطورية في الممالك العثمانية ـ إبراهيم الأسود ـ إعداد خيري الذهبي ـ وزارة الثقافة بدمشق ٢٠٠٨.

٣٧ ـ الروضتين في أخبار الدولتين ـ عبد الرحيم بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي (أبو شامة).

٣٨ ـ رحلة ابن بطوطة ـ ط ـ القاهرة ـ ١٩٥٨.

٣٩ ـ رحلة ابن جبير ـ ط ـ القاهرة ـ ١٩٥٥.

٤٠ ـ رحلة أوليا جلبي صورة...

٤١ ـ رجال من فلسطين عجاج نويهض ـ ط ـ بيروت ١٩٨١ ـ منشورات فلسطين المحتلة.

٤٢ ـ رحلات في ديار الشام ـ أحمد سامح الخالدي ـ ط ـ يافا ١٩٤٦.

٤٣ ـ سفرنامه ـ رحلة ناصر خسرو إلى لبنان وفلسطين ومصر والجزيرة العربية في القرن الخامس الهجري ـ ترجمة د. يحيى الخشاب ـ ط ـ دار الكتاب الجديد ـ بيروت ـ ١٩٨٣.

٤٤ ـ سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ـ محمد خليل المرادي ـ ط ـ مكتبة المثنى بغداد.

٤٥ ـ سورية والعهد العثماني ـ القاضي يوسف اللاذقاني ـ ط ـ ١٩٦٦.

٤٦ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ عبد الحي ابن العماد الحنبلي ـ ط دار المسيرة ـ بيروت ـ ١٩٧٩.

٤٧ ـ الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ـ كاشكبري زاده ـ ط ـ بيروت ١٩٧٥.

٤٨ ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشا ـ أحمد بن عبد الله القلقشندي ـ ط ـ القاهرة ١٩٢٠.

٤٩ ـ صحيح الإمام البخاري ـ صورة عن ط ١٨٨١.

٥٠ ـ صحيح الإمام مسلم ـ صورة عن ط ١٩٧٨.

٥١ ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ـ محمد بن عبد الرحمن السخاوي ـ ط ـ بيروت.

٥٢ ـ طلائع النهضة في فلسطين (خريجوا المدارس الروسية ١٨٦٢ ـ ١٩١٤) ـ حنا أبو حنا ـ ط ـ بيروت ٢٠٠٥، مؤسسة الدارسات الفلسطينية.

٥٣ ـ طبقات الفقهاء الشافعية ـ محمد أحمد العبادي ـ ط ليدن ١٩٦٤.

٥٤ ـ طبقات الشافعية ـ تاج الدين السبكي ـ ط ـ القاهرة ١٣٢٤هـ ـ المطبعة الحسنية.

٥٥ ـ طبقات المستشرقين ـ د. عبد الحميد صالح حمدان ـ ط ـ مكتبة مدبولي ـ القاهرة.

٥٦ ـ عروبة القدس أو بيت المقدس ـ د. إسحاق موسى الحسيني ـ ط ٢ ـ دار القلم، دمشق ٢٠٠٠.

٥٧ ـ فضائل بيت المقدس ـ محمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي ـ تحقيق محمد مطيع الحافظ ـ ط ١ ـ دار الفكر دمشق ١٩٨٥.

٥٨ ـ فلسطين التاريخ المصور ـ د. طارق السويدان ـ ط ٦ ـ ٢٠٠٥ ـ مؤسسة الإبداع الفكري ـ الكويت.

٥٩ ـ فضائل الشام ودمشق ـ علي بن محمد بن صافي بن شجاع الربعي ـ تحقيق د. صلاح الدين المنجد ـ خرج الأحاديث ـ الشيخ ناصر الدين الألباني.

٦٠ ـ فلسطين في التاريخ الإسلامي ـ عمر سعادة ـ ط ١ ـ دار الفكر دمشق ٢٠٠٨.

٦١ ـ فضائل القدس ـ أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي ـ تحقيق جبرائيل جبور. ط بيروت ١٩٧٩.

٦٢ ـ القول المبين في تأريخ القدس وفلسطين ـ محمد محمد حسن شراب ـ ط ١ ـ مؤسسة فلسطين للثقافة ٢٠٠٦.

٦٣ ـ القدس في التاريخ من العصر المملوكي من العصر الحديث ـ الجزء السادس ـ د. سهيل زكار ـ ط ١ ـ ٢٠٠٢ ـ ليبيا ـ منشورات القيادة الشعبية الإسلامية العالمية.

٦٤ ـ قضاة دمشق ـ شمس الدين محمد بن علي الصالحي ابن طولون ـ تحقيق د. صلاح الدين المنجد ـ ط ـ مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٥٦.

٦٥ ـ القدس مدينة الله أم مدينة داود ـ حسن ظاظا ـ ط ١ ـ دار القلم دمشق ـ ١٩٩٨ ـ سلسلة كتب قيمة رقم ٢٠.

٦٦ ـ الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ـ نجم الدين الغزي ـ ط ١ ـ بيروت ـ ١٩٧٩ ـ تحقيق ـ جبرائيل جبور ـ دار الآفاق الجديدة.

٦٧ ـ كامل جميل العسلي ـ ملف عن حياته ـ مجلة الثقافة ـ جامعة الأردن ـ العدد ـ ٣٧ ـ ١٩٩٦.

٦٨ ـ لواء القدس في أواسط العهد العثماني ـ عادل منّاع ـ ط ١ ـ بيروت ٢٠٠٨ ـ مؤسسة الدارسات الفلسطينية.

٦٩ ـ موسوعة أعلام فلسطين ـ محمد عمر حمادة ـ دار الوثائق ـ دمشق ٢٠٠٠.

٧٠ ـ مخطوطات فضائل بيت المقدس. د. كامل جميل العسلي ـ ط ـ ١٩٨٤ ـ عمان.

٧١ـ من أعلام الفكر والأدب في فلسطين ـ يعقوب العودات (البدوي الملثم) ط ١ ـ عمان ١٩٧٦ ـ جمعية عمال المطابع التعاونية.

٧٢ ـ المسجد ودوره التعليمي عبر العصور ـ عبد الله قاسم الوشلي ـ ط ١ ـ مكتبة الجيل ـ صنعاء ـ ١٩٨٨.

٧٣ ـ موسوعة بيت المقدس والمسجد الأقصى (التاريخ ـ الآثار ـ أعلام الأمكنة والرجال) ـ محمد محمد حسن شراب ط ١ ـ عمان ـ ٢٠٠٣ ـ الأهلية.

٧٤ ـ معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ـ ط٣ ـ دار صادر ـ بيروت.

٧٥ ـ المفصل في تاريخ القدس ـ عارف العارف ط ٧ ـ ٢٠٠٥ ـ بيروت ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٧٦ ـ المخطوطات العربية في فلسطين ـ د. صلاح الدين المنجد ـ ط ـ بيروت ـ دار الكتاب الجديد ـ ١٩٨٢.

٧٧ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار الفكر بيروت ـ ١٩٤٥.

٧٨ ـ المدارس في بيت المقدس ـ عبد الجليل حسن عبد المهدي ـ ط ـ عمان ١٩٩١.

٧٩ ـ المدرسة الصلاحية في القدس وأبرز شيوخها ـ مقتدر حمدان الكبيسي ـ مجلة المعارج العدد ١٠٧ ـ خاص عن القدس عاصمة الثقافة العربية.

٨٠ ـ مكتبات فلسطينية عبثت بها الأيادي الصهيونية ـ أحمد محمد ـ مجلة (العربية ٣٠٠٠) العدد ـ ٣٦ ـ تصدر عن النادي العربي للمعلومات بالتعاون مع جامعة الدول العربية.

٨١ ـ معجم المؤلفين ـ عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى ـ بيروت ـ ١٩٥٧.

٨٢ ـ مختصر تاريخ دمشق ـ لابن منظور ـ ط ١ ـ دمشق ـ دار الفكر ـ ١٩٨٧.

٨٣ ـ منادمة الأطلال ومسامرة الخيال ـ عبد القادر بدران ـ ط المجمع العربي للتأليف والدراسات والنشر ـ ابن عابدين ـ دمشق ـ ١٩٨٦.

٨٤ ـ الموسوعة الفلسطينية ـ ط ـ ميلانو ستامبا ـ إيطاليا ـ ١٩٨٤.

٨٥ ـ موسوعة كتاب فلسطين في القرن العشرين ـ أحمد عمر شاهين ـ دائرة الثقافة ـ منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٩٢.

٨٦ ـ مدينة القدس عروبتها ـ مكانتها في الإسلام ـ د. إسحاق موسى الحسيني ـ ط ـ دمشق ـ دار القلم ـ سلسلة كتب قيمة رقم ٣٤.

٨٧ ـ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ـ أحمد بن يحيى بن فضل العمري ـ ط...

٨٨ ـ معجم دمشق التاريخي ـ د. قتيبة الشهابي ـ ط وزارة الثقافة بدمشق ـ ١٩٩٩.

٨٩ ـ مدارس أنشأتها نساء في العالم العربي والإسلامي محمد عيد الخربوطلي ط ـ دمشق ـ دار بعل ـ ٢٠٠٧.

٩٠ ـ مخطوطات دير الكرمل في حيفا ـ جميل البحيري ـ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ـ مجلد ٦ ـ سنة ١٩٢٦ ـ صفحة ٣٢٠.

٩١ ـ المخطوطات العربية لكتبة النصرانية ـ الأب لويس يشخو ـ.

٩٢ ـ مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ـ ابن واصل الحموي ـ تحقيق حسنين محمد ربيع ـ ط ـ دار الكتب ١٩٧٧.

٩٣ ـ المكتبة الخالدية في القدس ـ وليد أحمد سامح الخالدي.

٩٤ ـ مخطوطات عربية في مكتبة صوفيا الوطنية البلغارية ـ يوسف عز الدين ـ ط ـ بغداد ـ ١٩٦٨ ـ المجمع العلمي العراقي.

٩٥ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ـ جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي ـ تحقيق محمد ومصطفى عبد القادر عطا ـ ط مصر ١٩٦٣ ـ وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

٩٦ ـ نصارى القدس ـ دراسة في ضوء الوثائق العثمانية ـ د. أحمد حامد إبراهيم القضاة ـ ط١ ـ بيروت ٢٠٠٧ ـ مركز دراسات الوحدة العربية.

٩٧ ـ النقود العربية الفلسطينية وسكتها المدنية الأجنبية من القرن السادس قبل الميلاد وحتى سنة ١٩٤٦ ـ سليم عرفان المبيض ـ ط ١ ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ٢٠٠٥ ـ القاهرة.

٩٨ ـ نهاية المماليك ودخول العثمانيين إلى الشام ـ الرؤية الشامية ـ من مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ـ ابن طولون الصالحي الدمشقي ـ إعداد خيري الذهبي ـ ط وزارة الثقافة بدمشق ٢٠٠٨.

٩٩ ـ نهاية المماليك ودخول العثمانيين إلى الشام ـ الرؤية المصرية ـ من بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس ـ إعداد خيري الذهبي ـ ط ـ وزارة الثقافة بدمشق ٢٠٠٨.

١٠٠ ـ نزهة الأنام في محاسن الشام ـ عبد الله بن محمد البدري المصري الدمشقي. إعداد خيري الذهبي ـ طبع وزارة الثقافة بدمشق ٢٠٠٨.

١٠١ ـ وديع فلسطين يتحدث عن أعلام عصره ـ ط ـ دار القلم ـ دمشق ـ ٢٠٠٣.

١٠٢ ـ ولاة دمشق في عهد المماليك ـ محمد أحمد دهمان، ط ـ دمشق ١٩٨١.

١٠٣ ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ـ أحمد بن محمد بن أبي بكر (ابن خلكان) ـ تحقيق د. إحسان عباس ـ ط ـ بيروت دار صادر ١٩٧٨.

١٠٤ ـ يوسف عبد الأحد وأرشيفه الخاص.

المحتوى

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

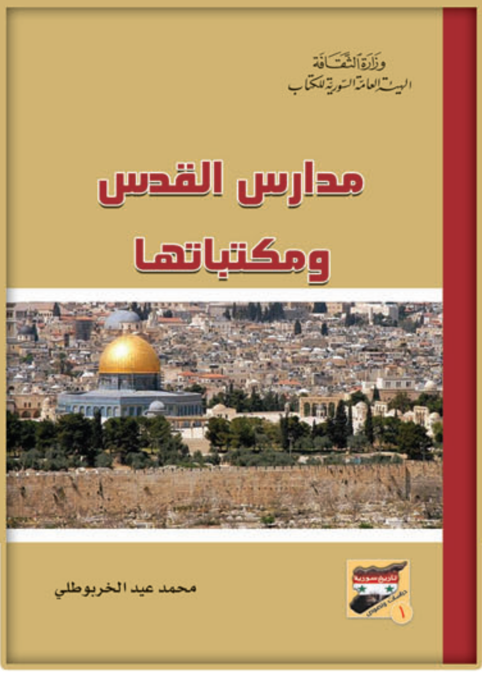
الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة



مدارس القدس

ومكتباتها

الهيئة العامة السورية للكتاب
The Syrian General Organization of Books

www.syrbook.gov.sy

مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١١

سعر النسخة ٢١٠ ل.س أو ما يعادلها